تكويـــن الداعيـــة

ذاتياً... وعلمياً

إعــداد

أحمد المرسي جوهر

دراسات عليا من جامعة الأزهر الشريف

مكتبة الإيمان - المنصورة

ت: 2257882

الطبعة الأولى

1429 هـ - 2008 م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

المنهج – والهدف – وخطة الدراسة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ١ – ٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأن محمداً عبده ورسوله شهادة عبد مسلم يرجو رحمة الله ورضوانه..

والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده؛ محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه.

وبعد؛

فمن القضايا التي تشغل بال الكثير من أبناء أمتنا قضية (**تكوين الدعاة**) بعد أن ولج ميدان الدعوة من ليسوا أهلاً لها، فانضم إليها العاطل الذي لا يجد عملاً والجاهل الذي لم يتلق تعليماً حتى **اختلط الصالح بالطالح** وكاد الناس يفقدون الثقة في الداعية.. والموضوع جد خطير..

إن الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام علم وفن واستعداد وموهبة وثقافة وتقوى وإيمان وإخلاص.. وبذلك فهي أفضل رسالة على وجه الأرض..

هكذا انتظمت معالمها على يد سيد الدعاة محمد عليه السلام..

والدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام علم له أصوله وقواعده وضوابطه.. وبالتالي فيمكن اكتساب هذا العلم بالتعلم والتعليم ذاتياً أو في المدرسة والمعهد والجامعة انتظامياً ثم الاستزادة من ذلك بالتنمية والتدريب والتثقيف في مجال التكوين.

كما أن الدعوة إلى الله تعالى والى دينه الإسلام فن له خصائصه ومميزاته ومجدداته الخاصة به لا يستطيع خوض غماره غير الداعية المتمكن ذو الاستعداد والموهبة الممنوحة من رب

العالمين؛ إذ الدعوة إلى الله شبكة معقدة من الممارسات والعلاقات القيمية والدينية والأخلاقية والتقنية، لا يستطيعها ولا يقدر عليها غير المؤيد بنقاء السريرة وصفاء البصيرة وطهر الطوية.

وعلى ضوء هذا يتضح لنا أهمية إعداد وتكوين الدعاة وأهمية بذل الجهود المضنية في سبيل ذلك من جانب المؤسسات المعنية ومن جانب الداعي نفسه.

وهذا الكتاب هو محاولة على هذا الطريق ابتغاء مرضات الله ورضوانه، استخدمت فيه المنهج الوصفي المؤصل والموثق بآيات الله وسنة رسوله ﷺ وما تيسر من سنن الأنبياء والمرسلين، بل ومن سير الصحابة والتابعين والداعين إلى الله تعالى والذين هم للدعاة أسوة وقدوة.

ومن هنا جاءت خطة الدراسة على النحو التالي :

الباب الأول : الدعوة الإسلامية وموضوعها : الأصول الثلاثة

الفصل الأول : الدعوة الإسلامية ودورها في هداية البشر أجمعين.

الفصل الثاني : حقيقة الدعوة؛ تعريفها لغة واصطلاحاً

أهميتها : موضوع الدعوة؛ الأصول الثلاثة (الإيمان بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً)

أصناف المدعوين

الفصل الثالث : الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومناقشة قضية التوحيد - بحث الأسماء والصفات - الإيمان بالملائكة أحد أركان العقيدة الإسلامية - والجن والشياطين - الركن الثالث من أركان عقيدة المؤمن : الإيمان بالكتب والرسل والوحيّ - وجوب الإيمان باليوم الآخر والحساب والميزان - والجنة والنار والصراط - والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

الفصل الرابع : وجوب الإيمان بمحمدٍ ﷺ رسولاً خاتم النبيين

أرجو أن أكون قد وفقت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الكاتب

أحمـــد جوهـــر

* * * * *

الباب الأول:
فقه الدعوة : ملامح وآفاق الدعوة إلى الله ودورها في هداية وسعادة البشر

الفصل الأول:
حاجة البشر إلى تعاليم السماء

لم يرسل الله تعالى رسولاً إلا أمره بالدعوة إليه سبحانه وتعالى وعبادته لـه وحده لا شريك لـه.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن هنا كانت الدعوة إلى الله وحده وعبادته هي وظيفة الرسل جميعاً ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس بدءاً بسيدنا آدم أبو البشر عليه السلام وختاماً بسيد البشر إمام الدعاة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

لا تستطيع حصرهم بعدد معين نجزم به لا يزيد عنه أو ينقص منه..

ذلك لعدم ثبوته عن الوحي الإلهي، والخبر النبويّ الصحيح، وكل ما ورد عن النبي ﷺ عن بيان عدد الأنبياء والمرسلين حديث أبي ذر الغفاري في مسند أحمد وسنده ليس بالقوة كما قيل ولفظه :

قلت يا رسول الله : أي الأنبياء كان أول ؟

قال : آدم

قلت : يا رسول الله أنبي كان ؟

قال : نعم نبيّ مكلم

قلت : يا رسول الله كم المرسلون ؟

قال : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا

وفي لفظ آخر : كم وفاء عدد الأنبياء

قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيراً (1).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وما ذكره الله في شأن صالح عليه السلام من قوله: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وما أشار إليه من شأن شعيب عليه السلام من قوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

والشواهد على ذلك في كتاب الله وهدى رسوله ﷺ أكثر من يتسع المقام لسردها.. غير أننا نؤكد هنا مجمع ذلك الأصل بما يشمل جميع الرسالات في الدعوة إلى توحيد الله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فهكذا اهتم الرسل بدعوة أممهم إلى أن يعبدوا الله وحده ولا يشركون به شيئاً، **فالتوحيد أصل الدين وذروة سنامه وملاك الإسلام وعموده ودعامته الأولى** لا تصح من إنسان قربة ولا يقبل الله منه عبادة إلا إذا كانت مقرونة بالتوحيد الخالص.. وإخلاص القلب لله وحده، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

(1) مسند أحمد (5/ 178 - 179، 266).

[محمد: ١٩].

وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمـر: ٢ - ٣].

وقال تعالى مخاطباً لرسوله الكريم : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ومن هنا كان التوحيد ثلاثة أقسام :

توحيد في الذات والأسماء والصفات.. وتوحيد في الربوبية وهي اختصاصه جل وعلا وتفرده بالخلق والرزق والتدبير لسائر المخلوقات والملكوت.. وتوحيد في الألوهية أي في العبادة وهو اختصاصه بسائر العبادات وتفرده بها دون سائر المخلوقات.

وقد أرشد الله الناس إلى أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد والاستدلال بآيات الله وسننه الكونية وتفرده سبحانه بتصريفها وتدبيرها على تفرده بالتوحيد واستحقاق والعبادة له وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

لقد سلك الأنبياء والمرسلون هذه الطريقة في دعوة أممهم إلى الهدى ودين الحق اهتداء يهدي الله وهو العليم الحكيم، ومن أبرزهم في ذلك أولو العزم من الرسل الذين جاءت بهم الآية رقم 7 من سورة الأحزاب، حيث قال تعالى مخاطباً رسوله محمد عليه السلام :
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧].

مرتبون في الزمن، فنوح أولهم، ونبينا محمد عليه السلام آخرهم، ومنهم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء، أرسله الله جل شأنه إلى قوم من الفرس عتاة جبارين يعبدون التماثيل فأنكر عليهم عكوفهم لها وتقربهم إليها، وقال لهم ما حكاه القرآن في سورة الأنبياء: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ

ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٢ – ٥٨].

وهكذا كان لكل رسول منهم أسلوبه في الدعوة إلى الله وتوحيده وعبادته..

وكان لسيدنا إبراهيم عليه السلام : أسلوب الحوار مع قومه عبدة الأوثان، ثم كان له بعد ذلك معهم أسلوب المواجهة، مواجهة الباطل الذي غالباً ما يعجز في مواجهة الحق وحينئذ يلوف إلى العنف.. قال تعالى : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وكان الأمر الإلهي القائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدًا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

[الأنبياء: ٦٩ – ٧٠].

وهكذا كانت الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ثورة على الفساد وأوكاره.. ثورة تهدف إلى تغيير المجتمع.. كل المجتمع بجميع طوائفه وطبقاته تغييراً إلى الأفضل عن طريق الإخلاص والعبادة لله رب العالمين والالتزام بتعاليم السماء.

وقد يسأل سائل ويقول : ما الحاجة إلى تعاليم السماء من وعظ وإرشاد وبين أيدينا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وعندنا من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء في العلم ما قد يزيد عن حاجة السائلين ؟

والواقع : أن هذا السؤال يكون في محله وهذا الكلام يكون مقبولاً لو كان الناس جميعاً على مستوى واحد من العلم بالكتاب والسنة والإحاطة بجميع ما جاء به الدين الخاتم : الإسلام على لسان النبي الخاتم القال في أشرف أحاديثه :

«إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية.. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة.. فأنا

اللبنة وأنا خاتم النبيين» [1].

فالإسلام هو الدين الشامل.. وهو الدين الكامل مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

إن الناس مختلفون في العلم بهذا الدين وأصوله، متباينون في فهم نصوص كتابه وأحاديث رسوله ﷺ والإحاطة بجميع ما جاءت به الرسالة الصحيحة من أحكام وتفاصيل والحرص على الاتباع والبعد عن الابتداع.

أما الطباع البشرية فسرعان ما نجد فيها من التقلب والتكون والإقبال على عوارض الشبهات، وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وما سُمي القلب قلباً إلا أنه سريع التقلب بين لحظة وأخرى وبين عشية وضحاها.. ولعلّ هذا ما عناه رسولنا الصادق المصدوق في الحديث الذي أخرجه النسائي وابن ماجه والحاكم قوله ﷺ : **«القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء»**.

وفي لفظ: **«إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء يزيغه أزاغه»**.

ومن هنا كان دعاؤه ﷺ : **«اللهم مصرف القلب صرف قلوبنا على طاعتك»** أخرجه مسلم.

وفي رواية الترمذي والحاكم : **«يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك»**.

ومن أمراض القلوب والدافع إلى تقلبها حب الدنيا والزهد في الآخرة.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ خطب يوماً في جمع من أصحابه فقال :

«إنني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم الدنيا وأن تنافسوا فيها»..

﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ ﴾

(1) انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان (البخاري ومسلم) جـ3 ص94.

[المعارج: ١٩ - ٢١]. متحولاً متقلباً لا يكاد يثبت على حال أو يستقر في قرار.. وأن التبدل سنة الكون والتغير من شيمة كل زمان وطبيعة كل مجتمع مهما كان نصيبه من الأخلاق والفضيلة.

ومن هنا كانت أهمية الدعوة إلى الله والتذكير بآلائه والحث على عبادته وتقواه والتحذير من ناره والترغيب في رضائه وجنته.

ورد في الخبر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام خطيباً في الناس وبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله قال :

أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»**، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

ومن سمات الدعوة إلى الله الناجحة القدرة على تغيير المنكر..

ومجتمعاتنا اليوم في أشد الحاجة إلى تعاليم السماء ووحي الله لما نرى من تفكك الجماعات وإثارة روح العداوة والبغضاء بين أفرادها وتغيير ذلك ليحل محلها في هذه المجتمعات الصفات الطيبة التي منها التعارف والتواصل والتواد والتراحم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] من خلال الدعوة إلى الله.

وقد أظهرت الإحصائيات العديدة انتشار الخوف والقلق الذي عمّ العالم حالياً.. وأصبح انتحار الشباب مرضاً نفسياً.. وأصبحت الحياة كلها وكأنها حرب ضروس على إنسان هذا العصر لا يرى من خلالها إلا كل شر.

والأرض مملوءة جورا مسخرة ::: لكل عاتية في الأرض محتكم

ولن يعيش الإنسان في هذا العالم المعاصر في أمن وأمان مبتعداً عن العداوة والبغضاء وعن التهديد بشبح الحرب إلا بالرجوع إلى تعاليم السماء والتمسك بدستور الله والالتزام بشريعة الإسلام وفق لما جاء بها الداعي الأول محمد رسول الله ﷺ، وبما كان عليه سلفنا

الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

ولذلك ورد في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى..»** قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»** (رواه البخاري).

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢** ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠** ﴾ [النساء: ٨٠].

وحث على الاستجابة لما يدعو فقال : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ** ﴾ [الأنفال: ٢٤]، واعتبر طاعته طاعة لله واتباعه حباً لله: ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال أيضاً : ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل الثاني:
حقيقة الدعوة إلى الله

الدعوة لغة: من الدعاء:

والدعاء إلى شيء منه هو الترغيب فيه والحث عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن ﴾ [يونس: ٢٥] أي يرغب في دار السلام وهي الجنة، وهي بمعنى الإخبار والتجمع يقال دعا المؤذن.

ويقال تداعوا عليه: أي تجمعوا منه الدعوة إلى الطعام أي الاجتماع عليه (1).

يقال: دعا يدعو فهو داع، والمرة منه دعوة بمعنى النداء، يقال دعا فلان فلانا إذا ناده واستدعاه.. فتكون الدعوة لغوياً: الصيحة والنداء.

والدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده وهذا هو ما فضله الشيخ علي محفوظ في تعريفه للدعوة (2).

والدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عليها سواء كان حقاً أو باطلاً (3).

أ) **فمن الباطل**: ما حكاه القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣].

وفي الحديث ورد قول الرسول ﷺ للأوس والخزرج حين اصطفوا للقتال: **«أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم»**..

ب) ومن الحق: قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥ ﴾ [يونس: ٢٥].

وفي كتاب نبينا عليه السلام إلى هرقل: **«إني أدعوك بدعوة الإسلام»**، أي بدعوته.

---

(1) انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي؛ جـ3 ص329.

(2) انظر كتاب هداية المرشدين؛ علي محفوظ..

(3) انظر: علل وأدوية؛ للشيخ محمد الغزالي ص165.

وكما أن هناك دعوة إلى الجنة فقد تكون الدعوة إلى النار، كما في قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون:

﴿ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [غافر: ٤١ – ٤٢].

والدعوة : هي المحاولة القولية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة.. وهذا ما اختاره د. علي غلوش **تعريفاً للدعوة**.

وجاء في المصباح المنير في مادة (دعا) دعوة الله أدعوه يعني الابتهال إليه والسؤال منه.

وعلى ذلك فإن إطلاق لفظ الداعية يشمل كل من يدعو إلى الهدى أو يدعو إلى ضلالة، ويؤكد ذلك قول رسول الله ﷺ : **«من دعا إلى هدىً كان لــه من الأجر مثل أجور من تبعه، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»**.. رواه مسلم، كتاب العلم.

وفي الاصطلاح : يمكن تعريفها بأنها إعلام الناس برسالة سيدنا محمد ﷺ وتذكيرهم بأحكامها ببيان أحكامها ومنزلتها في دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة اقتداءً به ﷺ..

أو هي القيام بواجب البلاغ وراثة عنه ﷺ.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، أي داعياً إلى توحيد الله.

فالداعي : هو الذي يدعو إلى أمر ما والجمع دعاة ودعوات..والداعي والداعية واحد.. والهاء فيه للمبالغة.

فالداعية إذن هو المرء القائم بترغيب الناس في الإسلام وحثهم على التزامه بالوسائل المشروعة وهي بمثابة ندبهم لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها وتخليصهم منها..

يقول الإمام ابن القيم في كتابه مفتاح السعادة :

(والدعاة جمع داع كقاض وقضاة، وإضافتهم إلى الله للاختصاص أي الدعوة المخصصون به الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته.. وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً).

والداعي إلى الله هو الذي يحاول دعوة الناس بالبيان والعمل إلى الإسلام والى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته وانتشالهم من الضلالات والأهواء والشهوات وكل ما يحول بينهم وبين خالقهم.

وهذا يوضح لنا أن موضوع الدعوة هو الإسلام دين الله الخاتم أكمل وأشمل الرسالات من حيث الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومعاملة.. قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وهذه هي رسالة الدعاة.

وفي العرف : الدعوة حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا سعادة الدارين: الدنيا والآخرة.

جمهور المدعوين وأصنافهم : دعوة جميع الناس كل بحسبه باعتبار الإسلام رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة.. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والمقصرون يدعون إلى صدق الالتزام.. والعصاة يدعون إلى ترك الذنوب والآثام، وهكذا.

قال ابن تيمية في تعريف الدعوة : (والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله وتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهما فيما أمروا) [1].

وعرفها بعض المعاصرين بقوله : (هي تبليغ الإسلام الناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة) [2].

وأوجز الطبري القول وأبلغ في المعنى حين قال عن الدعوة : (هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل) [3].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية؛ جـ 15، ص 157.
(2) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص17.
(3) تفسير الطبري (11/ 53).

وبذلك يمكن التوسع في توضيح موضوع الدعوة فيما عرف بالأصول الثلاثة كما جاء به شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه : الأصول الثلاثة وأدلتها [1] وهي معرفة الله ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.. حيث أنها الأساس في بناء العقيدة وموضوع الدعوة الإسلامية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(1) انظر: الأصول الثلاثة وأدلتها، محمد بن عبد الوهاب، ص 3.

الفصل الثالث:

الأصل الأول: الإيمان بالله رب العالمين (التوحيد)

وإن المسلك السهل والسليم للبحث عن الإيمان بالله تعالى أي عن وجوده والتصديق به عز وجل رباً وإلهاً هو مسلك احترام العقل البشري. وقبول أحكامه التي يصدرها على الأشياء نفياً أو إثباتاً وجوداً أو عدماً ومن ذلك حكمه الواضح والصريح بوجود الباري عز وجل وبوجوب معرفته وطاعته والتقرب إليه والأخذ بهدايته.

ولنسمع إليه – أي العقل – وهو يورد أدلته؛ إنه يقول بمنطقه السليم: إن السماء التي تظلنا ونشاهدها بحواسنا ونراها بأم أعيننا.. هذه السماء بقول العقل: إنها موجودة فعلاً ولا سبيل إلى إنكارها بحال من الأحوال: فمن أوجدها ؟؟

ويقول أيضاً: هذه الأرض التي نعيش عليها وهي موجودة فعلاً ولا معنى لإنكارها أبداً فمن أوجدها؟ ويقول: وهذه الكائنات الحية من أرقاها وهو الإنسان إلى أدناها.. من أوجدها ؟

إن العقل يقول: ابحثوا عن الموجد.. عن الخالق.. عن الرازق.. عن المدبر.. عن المنظم.. عن المسخر.. عن خالق الكون واهب الحياة لكل ذي حياة – سألتها عنه حال وصول الأجل.

وحيث أنه لا يوجد موجوداً بغير موجد: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥]، فهل يعقل أن يقال أن الإنسان خلق نفسه بنفسه أو يقال عنه أنه خلق غيره..

حينئذ لا يكون أمام العقل إلا القول: بأن الخالق لكل شيء من العدم.. الرازق الذي يجب أن يقدس ويعبد ما هو إلا الله وحده.. ويظهر بطلان قول الملاحدة: بالطبيعة.. أو بالصدفة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١].

حينئذ يجب التعرف إليه سبحانه وتعالى.. بالعقل والنقل وهي مراتب يترقى فيها الناس: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨]. وهم الذين يعرفونه عن طريق:

- قانون العلة (السببية)
- قانون الوجوب
  - قانون الحدوث
  - قانون النظام
  - قانون العناية بالإنسان

ومن الناس من يتعرف على الله جل وعلا بالهداية الدينية عن طريق أنبيائه ورسله عليهم السلام وبما أوحاه الله لهم من كتب وما ورثوه من ذلك للناس والعلماء..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣]. ووظيفتنا التذكير بجلال الله والتخويف منه.

كما يجب التعرف على أسماء الله تعالى وفي صفاته وفي أفعاله :

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلله أسماء كثيرة وأشهرها لفظ الجلالة.. ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

والمؤمنون المهتدون يؤمنون بأسماء الله تعالى ويصفونه بصفاته أي بكل ما وصف به نفسه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله ﷺ غير مشبهين صفاته بصفات المخلوقين ولا مؤولين لها ولا معطلين مع اعتقادهم بأن الله ليس كمثله شيء وبالعجز الكامل في إدراك كنه ذاته تعالى أو كنه صفاته الذاتية والفعلية على حد سواء.

ومن هنا كان التوحيد ثلاثة أقسام :

توحيد في الذات والأسماء والصفات: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وتوحيد في الربوبية : وهي اختصاصه تعالى وتفرده بالخلق والرزق والتدبير لسائر الخلق والملكوت.

وتوحيد في الألوهية: أي في العبادة وهو اختصاصه تعالى بسائر العبادات دون شريك، وهو مضمون كلمة (لا إله إلا الله) التي جاء بها خاتم النبيين والرسل ودعا إلى قولها واعتقادها بإخلاص ولم يطالب بغيرها طيلة عشر من السنين، ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق سواه خالق كل شيء، فهو الغني عن كل شيء وكل شيء محتاج إليه.

لا إله إلا الله تقتضي بل توجب المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات :

إن مدلول كلمة لا إله إلا الله : الإيمان بالله وحده بأن يعبد ولا يشرك به شيء من خلقه والكفر بكل طاغوت وإطاعة أوامره وطاعة رسوله كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فلا يجوز دعاء غيره أو التوسل والتشفع بدونه قال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

ولا يكتمل الإيمان بأركانه الستة التي جاءت بها الآية : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وينبغي متابعة التذكير بجلال الله وروائع الحكمة وبالغ العظمة في تصريفه لخلقه وإحسانه لصنعته مع الربط بين تلك المشاهد المادية ومشاهد الخلق والموت والبعث والحديث عن السماء وما فيها والأرض وما عليها، ومن ذلك ما قاله نوح عليه السلام لقومه: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

الركن الثاني من العقيدة : الإيمان بالملائكة :

وجوداً وخلقاً كما أخبر الله تعالى كذلك في المقابل الجان والشياطين: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي قوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]. فالإيمان بالملائكة والجن والشياطين وسؤال القبر ونعيمه وعذابه، والإيمان بالبعث واليوم الآخر من السمعيات التي يجب أن يعتقدها المؤمن.

والملائكة خلق عظيم خلقهم الله من النور وعددهم كثير لا يعلمه إلا الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.. يسبحون الليل والنهار لا يفترون.. لا يأكلون ولا يتغوطون حياتهم التسبيح.. أخبر الرسول ﷺ عن مادة خلقهم فقال :

«خلقت الملائكة من نور.. وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصفكم به» (رواه مسلم 8/ 337).

والملائكة يتفاضلون في القرب من الله تعالى وعلو المنزلة وأكثرهم تفاضلاً : الملائكة المقربون ومنهم :

حملة العرش : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة: ١٧].

ومنهم الكربيون : ومنهم غير ذلك وأفضلهم جبريل الروح الأمين.. وميكائيل ملك المطر والنبات، وإسرافيل.. وعزرائيل ملك الموت.. وخدم الجنة لا يقلون عن ثمانين ألف خادم والزبانية الموكلين بالنار وهم تسعة عشر ملكاً ورئيسهم يدعى مالكاً.. قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧ – ٧٨].

والكرام الكاتبون : ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٢].

والحفظة : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

والملك الموكل بالرحم – وملك الجبال – والملائكة السياحون – وملائكة الدعاء – وملائكة العروج.

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [المرسلات: ١ – ٦].

والصافات.. والزاجرات.. فالتاليات. والنازعات.. والناشطات.. فالمدبرات.. فالمقسمات.....

وفي الحديث : **«أطت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع أربع أصابع إلا عليه ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى»**.. رواه أحمد (5/ 73)، والترمذي وابن ماجه والحاكم..

والواجب معرفته من الملائكة عشرة وهم : جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، وكاتبا الأعمال الرقيب والعتيد، وسائلا القبر؛ منكر ونكير.

أما الجان فهم غير أولاد إبليس (الشياطين) منهم الصالحون ومنهم دون ذلك.

والركن الثالث من العقيدة : الإيمان بالكتب الإلهية :

وعلى **رأسها القرآن الكريم** حيث نزل على سيدنا محمد ﷺ..

وقد ذكر القرآن من الكتب السابقة : صحف إبراهيم وصحف موسى وثلاثة كتب هي: توراة موسى، وزابور داوود، وإنجيل عيسى عليهم السلام..

حيث جاء في سورة الأعلى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ – ١٩].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وفي قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٥]. والكتاب هنا المراد به التوراة.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ

ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقولـه عز وجل: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١ – ٤].

ومعنى الإيمان بهذه الكتب أي الإيمان بالوحي بها للرسل من قبل الله حيث جاء في سورة الشورى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

أما الكيفية الثالثة : أن يوحي إليه بواسطة الملك وقد تمثل لـه الملك رجلاً فأحياناً كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ على صورة دحية الكلبي فيبلغه عن الله ما أمره سبحانه وتعالى به.

أما الكيفية الرابعة : فهي الرؤيا الصادقة المنامية.. فكان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.. والحديث أخرجه البخاري.

والكيفية الخامسة : يأتي الملك الرسول مثل صلصة الجرس.. فأحياناً يوحي إليه بواسطة الملك ولا يرى الملك وإنما يعلم بمجيء وحي بظهور علامات تدل على ذلك كدويّ النحل أو صلصلة كصلصلة الجرس فيكلمه الله بالوحيّ.

أما الكيفية السادسة : أن يوحى إليه بواسطة الملك دون أن يرى الملك أو يكلمه.. وإنما يلقي الملك في قلبه ما أمره به من الوحي.

والكيفية السابعة : أن يوحى إليه بواسطة الملك وقد ظهر الملك على صورته التي خلقه الله عليها لـه ستمائة جناح لك جناح قد سد الأفق.

الركن الرابع من العقيدة : الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام :

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وإرسال الرسل داخل في الجائز في حق الله تعالى..

والرسول في اصطلاح الشرع هو ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه فمن

يوحي الله تعالى إليه أصبح نبياً ومن أوحى إليه بالرسالة كان رسولاً.

ويميز بين النبي.. والرسول : فالنبي هو الإنسان الحر السليم من كل عيب الذي أوحى الله إليه بشرع يعمل به.. وقيل عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما جاء في الحديث الذي أوردناه.

الرسول هو الذي أرسله الله عز وجل ومعه كتاب لتبليغ ما أمر بتبليغه لقومه أما النبىّ فهو الذى أرسله الله تبارك وتعالى برسالة شفوية وعلى ذلك فكل رسول نبى وليس كل نبي رسول.

وعدد الرسل ثلاث مائة وثلاثة أو أربعة أو خمسة عشراً..

والواجب معرفته من المرسلين تفصيلاً خمسة وعشرون ورد ذكرهم في القرآن وعلى الخصوص في سورة النساء قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣].

فقد حوت هذه الآية عشرة أنبياء ورسل، أما آيات سورة الأنعام (82-87) فقد شملت نفس الأسماء للأنبياء وزادت عليهم..

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٧].

كما جاءت آيات أخرى عديدة مفصلة بأسماء الأنبياء الأخر السبعة إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم أول الأنبياء وسيدنا محمد خاتمهم عليهم الصلاة

والسلام [1].

قال الشـــاعـــر :

وتلك حجتنـــــا منـــهم ثمانيـــة ::: مـــن بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكـــذا ::: ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وقد سبق أن نوهنا عن أسماء **الأنبياء أولى العزم** وعلى رأسهم فى الفضل سيدنا محمد يليه في الأفضلية سيدنا إبراهيم فسيدنا موسى فسيدنا عيسى فسيدنا نوح: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والواجب في حق الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام أربع صفات هي الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.. اختارهم الله سبحانه وتعالى على هذا الأساس: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥].

ومعنى الصدق في حقهم أنهم لا يكذبون في جميع أقوالهم، فهم معصومون والدليل على صدقهم المعجزة مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله.. الخ من معجزات حسية كونية، أما رسولنا عليه السلام، فرغم ما جاء على يده من معجزات حسية كانشقاق القمر ونبع الماء من بين يديه وتسبيح الحصى في يديه وغيره.. إلا أنه ﷺ قال : **«لا تنسبوا إليّ معجزة سوى معجزة القرآن»**، وهي معجزة عقلية.. ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤].

ومعنى الأمانة : في حقهم أن الله حفظ ظواهرهم وبواطنهم ولو في حال الصغر من التلبس بمنهي عنه، من ذلك ما رواه كل من البخاري ومسلم.. " أن النبي ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة (لما أرادوا تجديد بنائها) وعليه إزاره فقال له العباس عمه : يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة.. قال : فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه فما رؤي بعد ذلك ﷺ عرياناً ".

ومعنى التبليغ : أنهم يبلغون الخلق ما أمروا بتبليغه قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ

---

(1) آدم في (33) من سورة آل عمران وإدريس في 56 من سورة مريم وهود في (50) من سورة هود وصالح في (73) من سورة الأعراف وشعيب في (85) من سورة الأعراف وذو الكفل في (85) من سورة الأنبياء ومحمد في (40) من سورة الأحزاب..

﴿ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومعنى الفطانة : أنه يمكنهم إقامة الحجج على خصمهم والتعبير عما في ضمائرهم بأوضح عبارة.. فمثلاً عندما حاج النمرود سيدنا إبراهيم :

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد أوتي رسولنا كما جاء في الحديث الصحيح: **«وأوتيت جوامع الكلم»**.

ومن ذلك فالمستحيل في حق الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام أربعة : الكذب.. والخيانة.. والكتمان.. والبلادة.

والجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام : كل وصف بشري لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية مثل الأكل والشرب والسفر والمرض الخفيف والتزوج والبيع والشراء، فالأنبياء والرسل ليسوا آلهة ولا ملائكة وإنما بشر مثلنا أنعم الله بنعمة الوحي ليبلغوا رسالة الله للناس.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١١].

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨].

وقال في سورة الفرقان: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

الركن الخامس للعقيدة : الإيمان باليوم الآخر :

والمراد باليوم الآخر أمران :

الأول : فناء هذه العوالم.. وانتهاء هذه الحياة بأكملها وأولـه : **الموت لكل حـــيّ** بعد وفاة الأجل.

والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها **بالبعث والحساب ثم بالجزاء** والمثوى في الجنة والنار بعد الوقوف على الصراط.

والإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بهذه الغيبيات.

سؤال القبر :

وقد دل **الكتاب والسنة** على أن الموت ليس نهاية الإنسان وإنما هناك حياة برزخية تعقـب الموت، حيث إذا وضع في القبر أتاه ملكان منكر ونكير فيسألانه من ربك ؟ ومـا دينـك ؟ وما تقول في الرجل المبعوث فيكم؟

فيجيب المؤمن : ربي الله وديني الإسلام والرجل المبعوث فينا محمد ﷺ..

فيقول الملكان : انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك به مقعداً في الجنة فيراهما ثـم يقـولان لـه : نم نومة العروس.

وأما المنافق أو الكافر فيقول لا أدري.

فيقولان لـه : لا دريت ولا تليت ثم يصيبه ما قدر لـه من العذاب.

ويدل علـى **سؤال القبر** قولـــه تعـالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبـــــراهيم: ٢٧]، والقول الثابت في الدنيا هو كلمة التوحيد.

أما **عذاب القبر ونعيمه** فهو حق أيضاً بدلالة الكتاب والسنة.. قال الله تعالى في شأن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦].

وكذا قولـه تعالى في قوم نوح: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].

والفاء للتعقيب السريع مما يفيد دخولهم النهار عقب الإغراق بـلا مهلـة ولـيس ذلـك إلا عذاب القبر لأن عذاب الآخرة لا يكون إلا بعد قيام الساعة.

وعلى نعيم القبر دل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠].

هذا إلى جانب الأحاديث المتواترة المعنى مثل قوله ﷺ : **«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»** [1].

وروي أن النبي ﷺ مر هو وأصحابه على قبرين فوقف عندهما وقال: **«إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير.. أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة»** (صحيح البخاري : كتاب الطهارة).

هذا وقد تواتر عنه عليه الصلاة والسلام استعاذته من عذاب القبر واستفاض في ذلك في الأدعية المأثورة.

كما يجب أن يؤمن المؤمن ويعتقد في أشراط الساعة الكبرى كظهور المهدي والمسيح الدجال وتظهر على يديه خوارق العادات.. ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة تكلم الناس تقول : يا فلان أنت من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وطلوع الشمس من مغربها بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام وإرسال الله ريحاً تقبض أرواح المؤمنين ويبقى الناس مائة سنة لا يعبدون الله تعالى.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد: ١٨].

وقال: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٨٢].

وقوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [الأنبياء: ٩٦ – ٩٧].

وعن نزول عيسى إلى الأرض قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ [الزخرف: ٦١].

---

(1) انظر كنوز الحقائق للمناوي على هامش الجامع الصغير بنحوه جـ2 ص128.

وفي السنة أخرج مسلم من رواية حذيفة بن أسد الغفاري رضي الله عنه قال :

" اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال : **«ما تذاكرون ؟»** قالوا : نذكر الساعة.. قال: **«إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات : فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»** (صحيح مسلم 8 ص 179).

أما **العلامات الصغرى** فهي كثيرة أوردتها الأحاديث مثل أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة يتطاولون في البنيان، وأن ترى الحفاة العراة برعاة رؤوس الناس..

فإذا ظهرت من هذه **العلامات الكبرى** علامة أغلق باب التوبة على الناس: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [الطلاق: ٢].

بعد ذلك يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ في الصور بدء البعث وقيام الساعة فينفخ فيه نفختين وبالثالثة يصعق به كل شيء إلا من شاء الله كموسى الكليم وحملة العرش.. ثم يميت الله الملائكة ويفنى كل شيء إلا ثمانية وهي العرش والكرسي والجنة والنار وعجب الذنب والأرواح واللوح والقلم.

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨].

ويقول جل ذكره: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحاقة: ١٣ – ١٥].

وحينئذاك يتغير ما نعرفه من الأوضاع والأنظمة ويزول ما يربط هذه الكائنات من قوى ونواميس..

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [الانفطار: ٢ – ٥].

ولا استحالة في ذلك لأن القادر الذي حكم بحكم الوجود ووضع له من القوانين من حقه

وفي قدرته لا ريب أن يحدث تغييرات، وقد أثبت ذلك المعلم الحديث بما يعرف بالانفجار العظيم.

وبالنفخة الأولى في الصور وما تحدثه من هلاك ودمار شامل للكون كله إلا من شاء الله تقع الساعة..

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ [الحج: ١ – ٢].

والبعـــث:

كما يقول علماء العقيدة : هو إحياء الله الموتى وإخراجهم من القبور بعد جميع أجزائهم الأصلية [1].

جاءت بذلك الكتب السماوية جميعاً واهتم به الإسلام فأكد أحقيته في كثير من آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة حيث تجمع الأرواح في الصور ويأمر إسرافيل فينفخ فيه نفخة البعث..

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧ ﴾ [الحج: ٧].

وقوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦ ﴾ [المجادلة: ٦].

وأول من تنشق عنه الأرض **نبينا محمد عليه السلام** ثم يساق الناس إلى المحشر.

قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ [التغابن: ٧].

وقال رسول الله ﷺ في حديث البخاري ومسلم واللفظ له :

«ما بين النفختين أربعون.. قالوا يا أبا هريرة : أربعون يوماً ؟ قال : أبيت.. قالوا: أربعون

(1) انظر: المقاصد؛ جـ2 ص152، شرح البيهجوري على الجوهرة، ص203.

شهراً؟ قال: أبيت.. قالوا: أربعون سنة؟ قال أبيت.. ثم يترل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل.. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبقى إلا عظماً (يفنى) إلا واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» [1].

ما هو الحشر ؟

إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياءً في ساحة واحدة تدعى عرصات يوم القيامة، وذلك لفصل القضاء وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال الصادق المصدوق كما في الصحيحين واللفظ لمسلم (278) والبخاري (8/ 135) واللؤلؤ والمرجان (3/ 275) : **«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عقراء كقرصة النقى فيها ليس فيها علم لأحد»**.

وجاء في الصحيحين أيضاً واللفظ لمسلم (8/ 176) والبخاري (8/ 136) واللؤلؤ والمرجان (3/ 264) : **«يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً»**، قلت: يا رسول الله؛ النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ : **«يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعهم إلى بعض»**.

وقد جاء في الحديث الصحيح ففي مسلم (8/ 135) عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق.. فمنهم من يكون إلى كعبه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه (حضره) ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً.. قال وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه»**.

الشـــــفاعة :

ويشتد الكرب في الموقف فيستشفع الناس بآدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى فيعتذرون

(1) انظر اللؤلؤ والمرجان جـ3 ص315 والبخاري (6/ 158، 205) ومسلم 8/ 210.

إليهم فيستشفعون بسيدنا محمد ﷺ ويقول : أنا لها.. أنا لها.. فيشفع لهم ي فصل القضاء وهو المقام المحمود.. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ [المرسلات: ١١ – ١٥].

الحساب والميزان :

والحساب في اللغة العد وشرعاً : توقيف الله للعباد يوم القيامة على أعمالهم ثواباً وعقاباً.. إن خيراً فخير وإن شراً فشر.. ويتقدم الناس واحداً واحداً حيث ينصب الميزان للحساب..

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) ﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٢].

ويقول تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨]، فيحاسبون إلا من ورد النص باستثنائهم، ويدخل الجنة خلق كثير من أمة النبي ﷺ من غير حساب وبعد الحساب يأخذ العباد الصحف وترد أمة المصطفى على حوضه الشريف ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه لا يظمأ بعده أبداً.. ثم يمرون على **الصراط** وهو جسر ممدودة على متن جهنم، أوله من الموقف وآخره على باب الجنة وأول من يمر عليه سيدنا محمد وأمته.

وقد سئل الإمام عليّ رضي الله عنه : كيف يحاسب الله الناس كلهم في وقت واحد ؟ فقال : كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد.

ولنؤمن بعدالة الحساب بوضع الموازين القسط: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

[2] إقامة الشهادة على العباد :

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ [النور: ٢٤].

وقال جل شأنه : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت: ٢١].

وكذلك شهادة الأنبياء على أممهم.. قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١].

الجزاء : الثواب والعقاب :

ومن الأمور السمعية التي يجب اعتقادها الجزاء المترتب على الحساب ثم بعد ذلك المصير إلى جنة عالية قطوفها دانية وإما إلى نار حامية.

ويجب أن تعتقد أن **الجنة والنار موجودتان الآن في الدنيا** (1).

والجنة شرعاً : هي دار النعيم أعدها الله لإكرام عباده المؤمنين وإثابتهم، فهي دار للطائعين (2)، ولها سبعة أبواب وخزنة من الملائكة بزعامة رضوان.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال ابن القيم عن الجنة : ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات(3).

كما يجب الإيمان بأن الآيات التي تحدثت عما في الجنة من ألوان النعيم المادي دون تأويل أو تشبيه وهي كثيرة.. فقد جاء في الحديث الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه.. قال الله عز وجل: **«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** (رواه البخاري ومسلم).

أما النار :

فهي شرعاً : دار العقاب التي أعدها الله للكفار والعصاة (4).

(1) غاية الرام ص 202 - 203 شرح المقاصد جـ2 ص161؛ شرح العقائد النفيسة ص105 وما بعدها.
(2) شرح العقائد النفيسة؛ تعليق الشيخ صالح شرف ص 104.
(3) نفس المرجع السابق ص 104.
(4) نفس المرجع والصفحة.

وقد أخبر القرآن بأن لها سبعة أبواب وخزنة من الملائكة الزبانية عدتهم تسعة عشر.. فقال تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ [المدثر: ٣٠ - ٣١].

وقد سميت بعدة أسماء منها جهنم وسقر والحطمة والهاوية والجحيم وسجيل ودار البوار.. والقول في تعددها كالقول في تعدد أسماء الجنة فهي مكان واحد تتعدد طبقاته ودركاته حسب ما يشير إليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥].

بعض أنواع طعامهم :

1- الزقوم : قال تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٧].

2- الغسلين : قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٧].

3- الضريع : قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧].

ومن شرابهم :

1- الحميم : يصهر ما في بطونهم ويقطع أمعاءهم: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد: ١٥]. ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٠].

2- ماء الصديد : ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم: ١٦ - ١٧].

3- وماء المهل : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ [الكهف: ٢٩].

الركن السادس للعقيدة : الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره والتسليم لله تعالى فيه :

والإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من العقائد التي أسسها الإسلام على الإيمان بالله تعالى وبناها على المعرفة بذاته وصفاته كصفات العلم الواسع والإرادة الشاملة والقدرة الكاملة، فعلى هذه الصفات قامت عقيدة القضاء والقدر وكان الإيمان بها من مقتضيات الإيمان بالله وعنصراً من حقيقته المشرقة، ويؤكد هذا قول الرسول ﷺ :

«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره» (رواه مسلم 1/ 31)..

وهو أن تعتقد أن الله تعالى قدّر الخير والشر قبل خلق الخلق.. وأن جميع الكائنات بقضاء الله وقدره وخير الأمر وشره منه تعالى فهو الموجد لكل شيء، وإنما الأدب نسبة الخير لله ونسبة الشر إلى النفس أو الشيطان لا سبيل الإيجاد بل الإغواء كما جاء في سورة الجن الآية 10.. ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن: ١٠].

ومن هنا صح لنا أن نعرف القضاء والقدر بأنهما : علم الله تعالى الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق وكتابته في الذكرى الذي هو اللوح المحفوظ كما هو حين يقضي بوجوده في كميته وكيفيته وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن إبانه أو يتقدم ولا يبدل له في كميته بزيادة أو نقصان كما صرح بذلك القرآن الكريم في الآية 43 من سورة فاطر بقوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]. وفي قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقوله: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

وقول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»**.. رواه الترمذي (قيامة/ 59) وأحمد في المسند (1/ 293).

وفي الحديث: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء»**.. (مسلم 8/ 51).

كما يجب الإيمان بالقضاء والقدر ويجب الرضا به والتسليم لله تعالى فيه، فإنه على وفق رضى وبناءً على مشيئته في حكمه وواقع على أساس تدبيره لملكه وخلقه.. وأنه ما من حادثة تحدث في الكون وإلا ولله تعالى حكمة عالية مقصودة كما جاء.. " لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع".

وللرضا بهذا القضاء والتسليم بهذا القدر نتائج سارة وثمرات طيبة.. ففي الحديث القدسي عن الله سبحانه وتعالى: **«من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي وليطلب رباً سواي»**..

ويجب أن نعلم أن القدر لا يعني الجبر.. وأفعال الإنسان داخلة في قضاء الله وقدره.. وقد أبطل الله تعالى الاحتجاج بالقدر سلفاً حين رد على المشركين زعمهم القائل بأن شركهم كان تنفيذاً لمشيئة الله تعالى وقضائه فقال: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ومن ثم فالقضاء والقدر لا يتنافى مع العمل.. قال تعالى: ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]. ومن شأن الإيمان بالقضاء والقدر أن يصلح نفس الإنسان ويجعلها تستقبل الحياة بأفراحها وأطراحها وتستقبل أحداثها بثبات واتزان واعتدال فلا يأخذها الغرر إذا أصابها خيراً ولا يستبد بها الجزع والحزن واليأس والقنوط إذا نزل بها مكروه أو شر وحينئذ يردد صاحبها : الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

خاتمة المقصد :

1- لعله قد اتضح لنا أن هذه الأركان الستة التي جاء بها الحديث النبويّ الشريف: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»**، وما يترتب عليها من حب الله تعالى وتعظيمه وخشيته والإنابة عليه ومعرفة أسمائه وصفاته.

وحب رسوله عليه الصلاة والسلام وتعظيمه وطاعته والاقتداء به: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

ﭐلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

2- فالإيمان بالملائكة : وسيلة إلى الاعتبار بطاعتهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، كما أن ذلك وسيلة للاستحياء منهم والاستئناس بهم لعلم المرء بأن الكرام الكاتبين عن يمينه وعن شماله لا يفارقونه كما أنه وسيلة إلى معرفة عظمة الله تعالى فيهم وقدرته عليهم: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾

[النحل: ٥٠].

3- كما أن الإيمان بالكتب وسيلة إلى الإيمان بالله تعالى ومعرفة علمه وأسمائه ووعده ووعيده.. كما هو وسيلة إلى تصديق الرسل والرسالات الذين أرسلوا بها وأنزلت عليهم مما يثمر قوة الإيمان بالله تعالى ومعرفته.

4- الإيمان بالرسل وسيلة إلى تطبيق شرائع الله تعالى وتدركها واكتمالها في الإسلام الدين الخاتم.

5- والإيمان بالله واليوم الآخر وسيلة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات رغبة فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة والرهبة من عقابه والخوف من عذابه.

6- الإيمان بالقدر وسيلة إلى الصبر والتحمل والطمأنينة والسكون والتسليم لقضاء الله تعالى وقدره وما الإسلام سوى الاستسلام لمشيئة الله تعالى والتسليم لقضائه وقدره.

ولا يجوز الفصل بين هذه الأركان وبين الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومعرفته جل وعز كما يجب أن يكون.

* * * * *

الفصل الرابع:
الأصل الثاني من الأصول الثلاثة
الإيمان بأن محمداً ﷺ نبيّ الإسلام
وخاتم النبيين والرسل

في الحديث الشريف : **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً»** رواه مسلم وأحمد والترمذي عن العباس رضي الله عنه..

فيجب على كل مسلم التعرف عليه ﷺ وعن صفاته ومعجزاته ونبوءاته وبشارات وكل ما يتصل بسيرته مما لا يقبل الشك على أن محمداً رسول الله ﷺ وخاتم الأنبياء والرسل.

التعريف به ﷺ :

نسـبه :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

نشـأته:

وُلد ﷺ بمكة بدار أبي يوسف.. ولدته آمنه بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.. ولدته صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل الموافق لأغسطس عام (570) ميلادية ومات والده عبد الله وهو حمل في بطن أمه فنشأ يتيماً وكفله جده عبد المطلب وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين وحضنته أم أيمن جارية أبيه ومات جده فكفله عمه أبو طالب وهكذا ولد وعاش يتيماً ليصنعه الله على يديه.

زواجه وأولاده :

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد إحدى شريفات قريش فأنجب منها ولدين هما : القاسم وعبدالله ماتا صغيرين وأربع بنات هن فاطمة الزهراء

وزينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهم.

ولم يزاول عليه السلام في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم والتجارة حيث خرج معه عمه مرة إلى الشام وخرج بعد ذلك في تجارة لخديجة فربح لها ربحاً عظيماً، وعن عند قومه بأفضل الأخلاق وأطيب الشمائل ولقب بالأمين، وقد أقسم الله في مطلع نبوته على أنه على خلق عظيم في مطلع سورة القلم وهي أعظم شهادة بدماثه خلقه حيث قال: ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ١ – ٤].

عناية الله به :

ومن ذلك **حادثة شق الصدر** وهو صغير في بادية مرضعته حليمة السعدية وبذلك فقد حماه ربه من كل ما يلوث نفسه أو يعكّر صفاء روحه إعداداً له لحمل رسالته إلى خلقه.. فلم يشرب خمراً ولم يلعب قماراً ولا ميسراً ولم يسجد لصنم قط ولم يظلم أحداً في عرض ولا مال ولا دم.

وقد روى البيهقي عن محمد بن إسحاق عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما.. قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاة غنم أهلها فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى إذا دخلت مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان.. فقال: بلى.. قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير.. فقلت ما هذا؟ قال تزوج فلان بفلان.. فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي..** (وذكر أنه **حصل له مرة أخرى فتم له مثل الذي حصل في الأولى).. ثم قال : فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما بشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته**».

وقد رأينا فيما سبق كيف **ستره الله وهو ينقل الحجارة** في إعادة بناء الكعبة مع قومه.

نبوته وبعثته :

وعلى رأس الأربعين جاءه جبريل في غار حراء بعد أن كان قد حبب إليه الخلاء في شهر

رمضان وقال لـه : اقرأ ثلاثاً.. فقال : ما أنـا بقـارئ وفي الرابعـة قـال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق: ١ – ٣].

فذهب بها إلى خديجة زوجه ترجف بوادره وهو خائف على نفسه وهي تقول لـه: كـلا مـا يخزيك الله أبداً.. إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضعيف وتعين على نوائب الحق.

وانطلقت إلى ابن عمها **ورقة بن نوفل** وكان قد تنصر وعمى فقالت لـه خديجة : اسمع من ابن أخيك فأخبره الرسول ﷺ ما رأى فقال لـه ورقة: هذا الناموس الذي كان ينـزل علـى موسى.. **ليتني كنت فيها جذعاً إذ يخرجك قومك،** فقال: أومخرجـي هـم ؟ قـال: نعـم.. لم يأت رجل بما جئت به إلا عُودي وإن يدركني يومـك أنصـرك نصـراً مـؤزراً.. ثـم لم يلبـث ورقة أن توفيّ..وفـتر الـوحيّ.. أخرجـه البخـارى في أول كتابـه (1/ 5، 6)، ومسـلم (1/ 97، 98)، واللؤلؤة (1/ 32).

وبعد فترة فتر فيها الوحيّ تبدى لـه جبريل في صورته الملائكية ونزل عليه قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ [المدثر: ١ – ٥].

بدء الدعوة :

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه وتوحيده في عبادته..

بدأها **دعوة فردية**.. وتلقى هو ومن آمن به صنوفاً من الأذى وأنواعاً من الاضـطهاد فـأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة حيث كان فيها النجاشي ملكاً لا يظلم.. ثـم إلى المدينـة.. كمـا حوصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بني هاشم.. حوصروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات جاعوا فيها جوعـاً شـديداً أكلـوا معـه ورق الشـجر، وفي هـذه الأثنـاء توفيـت أم المؤمنين خديجة، كما توفي عمه أبو طالب وكانا يحميان الدعوة حتى أنه بموتهما سمـي هـذا العام عام الحزن.

وفي نهاية السنة العاشرة من بعثته ومطلع الحادية عشر **أسرى بـــه** مـن المسـجد الحـرام إلى المسجد الأقصى بالشام ثم عرج به ﷺ إلى الملكوت الأعلى حتـى بلـغ سـدرة المنتهـى عنـد جنة المأوى، وفي هذه الأثناء فـرض عليـه وعلـى أمتـه خمـس صـلوات بخمسـين درجـة في

الأجر..

ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو ويتحمل الأذى في سبيل الدعوة..

وفي هذه الأثناء عقد ﷺ مع بعض رجالات الأوس والخزرج اتفاقية تنص على أن هؤلاء الرجال يحمون من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمونه به أنفسهم وأموالهم وسميت ببيعة العقبة الأولى.. وتمت عندها أخرى فسميت بيعة العقبة الثانية.. على أثرها هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وعمل بها على بناء دولة الإسلام وتوالى نزول الشرائع.

ولم يقبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول إلا وقد اكتمل نور الإسلام ونزل قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

الحاجة إلى نبوته ﷺ :

سبق أن أشرنا إلى أن الله سبحانه وتعالى تعهد عباده منذ أن خلقهم بالأنبياء والرسل الذين يرشدونهم إلى طريق الحق والهدى ويوضحون لهم الحقائق الغيبية.

وكما كانت الحاجة ماسّة إلى النبوات والرسالات السابقة كانت أيضاً في حاجة إلى النبوة الخاتمة والرسالة العامة التي جاء بها نبينا محمد صلوات الله عليه وسلامه عليه.

فقد كثر الجهل وعبادة الأصنام وعمت بين الناس في الجزيرة العربية كثير من المفاسد كشرب الخمر، وسفك الدماء، ووأد البنات، وسبي النساء، وسلب الأموال، وقيام الحروب بين القبائل العربية لأتفه الأسباب، وبلغ الظلم الاجتماعي حداً لا يطاق..

وباختصار كان العالم في ظلمات بعضها فوق بعض، وكان لابد من منفذ يبعث من قبل العناية الإلهية.. وكانت الحالة الإنسانية تستدعي ظهور نبيّ جديد يأتي برسالة توضح العقيدة الصحيحة وتضع المبادئ الإنسانية العادلة، وتوضح سبل السعادة والحياة الفاضلة، وترسي أسساً للعلاقات بين الأمم والشعوب.. وقد **بلغت الإنسانية مرحلة الرشد** فكانت

الرسالة الخاتمة التي جاء به نبينا ﷺ رسالة عامة للإنسانية جمعاء.. رسالة خالدة إلى يوم الدين.

الأدلة على صدق نبوته (المعجزات) وهي نوعان :

1- المعجزات الكونية الحسية المخالفة للسنن الطبيعية التي وضعها الله في الكون:

وقد وضع لنبينا ﷺ الكثير كانشقاق القمر بدعوته، كما في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

ومنها نبوع الماء من بين أصابعه لوضوء جيشه، **وتسبيح الحصى في** يده حتى سمع الحاضرون، وحنين الجذع إليه حتى التزامه، ومجيء الشجرة إليه بأمره ورجوعها بأمره إلى مغرسها وشفاء المرضى **وإبصار الأعمى**[1]، فقد رد عين قتادة حيث تدلت على وجنته يوم أحد فردها ومسح عليها فكانت أحسن.

ومنها معجزاته الحسية : تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشاً كبيراً الألوفات، وتسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع وعشرات المرات.. والإسراء والمعراج، وإخباره بالغيبيات الكثيرة فكانت كما أخبر مثل: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ - ٤] حتى أن أبا بكر هن على ذلك وكسب الرهان.

2- ورغم ذلك فالمعجزة الكبرى له ﷺ هي القرآن : معجزة عقلية:

فالقرآن الكريم وقد حوى أعظم تشريع واشتمل على قدر من العلوم الإلهية والعديد من الحقائق العلمية كنظام الزوجية، حيث يشير قوله تعالى في سورة يس: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس: ٣٦]، كما حوى العديد من القوانين الكونية كعملية إنزال المطر المشار إليها في الآية 48 من سورة الروم بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ

(1) انظر البغدادي؛ أصول الدين ص182.

كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٨].

كما تعرض لبدء الخليقة وذكر من قصص الماضين وإخبار السابقين الشيء العجيب وهـذا الكتاب يأتي به أميّ يتحدى كل الخلق على الإتيان بمثل أو بعشر سورة من مثلـه أو سـورة واحدة منه، فعجز العرب وهم أساطين البلاغة واللغة أن يقبلوا هذا التحدي.

وهذا التحدي لازال قائمـاً إلى يـوم القيامـة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤].

وهذا أحد زعماء قريش وهو الوليد بن المغيرة يسمع القـرآن مـن رسـول الله ﷺ فـلا يجـد أمامه سوى أن ينطق فيقرر وهو من ألد أعداء الإسلام (إن لـه لحلاوة، وإن عليه لطـلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما **يقول هذا بشر**)، والفضل ما شهدت به الأعـداء.. هـذا فضـلاً عـن براءتـه مـن الاختلافـات والتناقضـات: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ومن أدلة نبوته ﷺ ما يلي :

أ) شهادة الكتب السابقة لـــه على نبوته وتبشير الأنبياء السابقين بها، فقـد جـاء في إنجيل يوحنا :

1- إن كنـتم تحبـونني فـاحفظوا وصـايايا وأنـا أطلـب (مـن الأب) فيعطـيكم معزيـا (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد [1].

2- كما ورد في نفس الإنجيل ص 15 عدد 26 " ومتى جـاء المعـزى الـذي سأرسـله إليكم من الأب روح الحق الذي من الأب ينبثق فهو يشهد لي ".

وعبارة المعزى الواردة بالنص ليست دقيقة لأن أصلها في اليونانيـة الـتي ترجمـت منهـا هـذه الأناجيـل مكتوبـة (بيركليتـوس)، وفي التراجـم العربيـة المطبوعـة سـنة 1821، 1831، 1844 في لندن نجدها (فـارقليط) وترجمتهـا محمـد أو أحمـد والـذي جـاء بـه

(1) الباب الرابع عشر الفقرتان (15، 16).

القرآن في الآية 6 من سورة الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

3- وفي الباب السادس عشر الفقرة 7 " إنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى (الفارقليط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم.

4- وفي الباب الرابع عشر الفقرة (6) (والفارقليط) روح القدس الذي يرسله (الأب) باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم بكل ما قلته لكم ".

وصدق الله العظيم القائل: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وفي التوراة في **الطبعات القديمة** : " وعن إسماعيل سمعتك ما أتاه بماه ماه) وهذا اللفظ الأخير عند المحققين من أهل الكتاب صريح في اسم النبي ﷺ (محمد)[1].

وجاء في سفر التيه من التوراة " جاء الرب من سيناء (يقصد موسى عليه السلام) **وأشرق** لنا من ساعير (يقصد عيسى عليه السلام) واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار (يقصد مكة الواقعة بين جبال فاران حيث يظهر سيدنا محمد ﷺ).

ب) شهادة علماء أهل الكتابين :

﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

" روى البخاري في صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك : " أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ قال :

ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟

قال رسول الله ﷺ : **«أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت.. وأما الشبه في الولد فإن**

(1) انظر كتابنا: لماذا أسلم هؤلاء الغربيون ص 283.

الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه لهم.. وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها..».

قال عبدالله بن سلام : أشهد أنك لرسول الله.. هذه شهادة عبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود..

ومن المسيحية تكفي شهادة الملك الصالح أصحمة النجاشي عندما سمع من جعفر الطيار سورة مريم قال : إن هذا وما جاء به عيسى **ليخرجان من مشكاة واحدة** وأسلم قال: أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم [1]، وأرسل رسالة إلى رسول الله ﷺ قال فيها :

فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

ج) شهادة الحق عز وجل وملائكته :

وشهادة الله تعالى تنقسم قسمين؛ شهادة إخبار وشهادة معجزات..

قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

ومن شهادة الإخبار : ما جاء في سورة الفتح: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي سورة النساء أيضاً: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣].

وفي سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

وفي سورة المائدة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(1) البداية والنهاية؛ لابن كثير، 2/ 189.

ومن شهادة المعزات ما سبق ذكره.

النبي الخاتم.. والرسالة العالمية :

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إني مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**.

ختم الله برسالته جميع الرسالات لذلك كان من الواجب على كل إنسان في هذا الوجود أن يؤمن به ويتبع ما جاء به من الحق والهدى تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨]. وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومن السنة :

قال عليه الصلاة والسلام: **«أنا العاقب فلا نبيّ بعدي»**.

فرسالته عليه ا لسلام للناس كافة.. جنهم وإنسهم..

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فما حقيقة هذا الدين الخاتم.. دين الإسلام.. الأصل الثالث من أصول الإيمان ؟..

وما هي أركانه ؟.. وما هي خصائصه ؟.. ومقاصده ؟..

ذلك هو موضوع الفصل التالى من هذا الباب

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل الخامس:
الأصل الثالث من أصول الإيمان: موضوع الدعوة الإسلامية
الإسلام.. الدين العالمي.. دين الله الخالد

تعريف الإسلام :

الإسلام هو دين الفطرة:

1- (الإسلام أن تشهد أن الله إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت أن استطعت إليه سبيلاً)..

هكذا عرفه نبي الإسلام عندما جاءه جبريل ليسمع الحاضرون ويعلمهم أمور دينهم والذي رواه الترمذي وأحمد.

2- الإسلام هو الخضوع والاستسلام للانقياد لله رب العالمين اختيارياً وليس إجبارياً وقسرياً، أو هو الخضوع لله رب العالمين ومظهره الانقياد لشرع الله الذي أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ وأمره بتبليغه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

3- الإسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب.

4- الإسلام هو مجموع ما أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ وهو القرآن والسنة وفيهما جميع أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات.

5- أو أنه الأجوبة الصحيحة الحقة لثلاث أسئلة شغلت عقول البشر في القديم والحديث :

من أين جئنا ؟.. ولماذا جئنا ؟.. وإلى أين المصير ؟..

فعن السؤال الأول : أجاب: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [الطارق: ٥ – ٧].

وعن السؤال الثاني كانت الإجابة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعن السؤال الثالث يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانشقاق: ٦].

6- ومن تعاريف الإسلام أنه : **دعوة التوحيد الكبرى** التي بعث بها رسول الله محمد ﷺ لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية في كل زمان ومكان.

7- ويمكن تعريف الإسلام **ببعض صفاته اللاصقة** فتقول : الإسلام هو الروح الحقيقية للإنسان، والروح الهادي له في دروب الحياة، والشفاء الكافي لأمراض البشرية، والصراط المستقيم الذي لا يضل من سلكه.. قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال: ﴿ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].

والغرض الذي نقصده من إيراد التعاريف المتعددة للإسلام هو أن يجد الداعي جملة من التعاريف يستطيع أن يختار منها ما يناسب حال المدعو من جهة مدى فهمه وثقافته وعلمه وسلامة فطرته [1].

لكنا نختار التعريف الأول الموضح لأركان الإسلام الخمسة بل ويشمل التعاريف الأخرى.

الركن الأول للإسلام : الشهادتان :

فكلمة (**أشهد**) تدل على معنى العلم والمعرفة والبيان وتتضمن معنى الإقرار والإذعان والاعتقاد، وفي الشهادة الأولى (أشهد أن لا إله إلا الله) يكون معنى التوحيد أي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، هو الذي يسمى بتوحيد الألوهية، كما يتضمن توحيد الربوبية ومعناه الاعتقاد بأن الله تعالى هو رب العالمين.

ومعنى الشهادة الثانية (شهادة أن محمداً رسول الله) العلم والتصديق والاعتقاد الجازم بنبوة

(1) أصول الدعوة؛ للدكتور زيدان، ص 14.

محمد ﷺ بالقول : عن طريق النطق بهذه الشهادة ولم وبالعمل بإقامة سلوك الإنسان على أساس ما جاء به قرآناً وسنة.. وأعظم دليل على نبوته هو القرآن معجزة الله الخالدة والاعتراف بنبوة محمد ﷺ إثبات لسائر النبوات ومن لوازم ذلك إطاعته: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وفي الحديث قوله عليه السلام : **«أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه»** [1].

الركن الثاني للإسلام : إقام الصلاة :

فهي عماد الدين، وهي الفارق بين المسلم وغير المؤمن وأنها من صفات المؤمنين والمتقين لا يجوز التفريط فيها على كل حال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

والصلاة بعد **هذا تزكية للنفس** وصلة للعبد وربه وتذكير مستمر له بعبوديته لله وبمعاني كلمة التوحيد، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر.. وهي قرة عين المسلم يفرغ إليها إذا ضاق الصدر كما كان يفعل الرسول عليه السلام.. وفي الحديث قوله عليه السلام : **«بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»** [2].

والركن الثالث للإسلام : إيتاء الزكاة :

وهي عبادة مالية تلي الصيام في ترتيب أركان الإسلام وفي الأهمية [3].

وهي طهارة للمسلم من وراء البخل والشح وعبادة المال وإيثار الله على محبة المال والإسهام في تحقيق التكافل والتعاون المطلوب شرعاً بإعانة ذوي الحاجات.

والركن الرابع للإسلام : صوم رمضان :

والصيام عبادة مشروعة شكراً لنعمة البدن.. ففي الصيام إيثار لمحبة الله على شهوات

(1) رواه البخاري وورد في نيل الأوطار 1/ 341.
(2) نيل الأوطار 1/ 34.
(3) انظر: نيل الأوطار للشوكاني؛ 4/ 135.

الجسد وتعويد المسلم على معاني الإخلاص والإرادة والعزيمة والصبر..

وكل هذه معاني جليلة يحتاجها المسلم لتقوية الإيمان.

والركن الخامس للإسلام : حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا :

والحج تربية عملية للمسلم، ففيه إظهار لعبودية المسلم لله وطاعته، وهو مؤتمر كبير موسع للمسلمين للتشاور في أمورهم.

خصائص الإسلام :

فللإسلام خصائصه التي تميزه عن غيره، فهو من حيث مصدره أنه من عند الله وهذه هي **الخصيصة الأولى.. ومعنى ذلك كماله وخلوه من النقائص :** والجهل والهوى والظلم تطهر فيه صفات الكمال لله سبحانه وتعالى، ومن ذلك العدل الذي يظهر في المساواة بين الناس في الحقوق لا فرق في الجنس أو اللغة أو الدين، كما يترتب على كون الإسلام شريعة من عند الله أنه يظفر بقدر كبير جداً من الهيبة والاحترام من قبل المؤمنين، ويكفي لبيان ذلك أن تحريم الخمر كان الكلمة واحدة وهي: ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠] التي أحدثت في أتباعه قوة هائلة تفوق قوة الجيش والشرطة والقانون عند الغير عندما أرادوا منعه بالقوة والجبر، كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية.

والخصيصة الثانية للإسلام : أنه دين شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان:

وأحكام الإسلام الثابتة لأفعال الإنسان وتصرفاته وعلاقاته مع غيره هي الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة والصحة والبطلان.

أما الأفعال التي تتعلق بها هذه الأحكام تسمى على التوالي : الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح الصحيح والباطل.

1- والواجب : هو ما ثبت قطعاً بدليل ظني كصدقة الفطر والأضحية وقراءة الفاتحة في الصلاة، فإن كلا منها ثبت بخبر الواحد وهو ظني الثبوت.

ويعرف أيضاً بأنه ما يمدح فاعله ويذم تاركه لكن ذم تـارك الفـرض.. ومـن حيـث العمـل والتطبيق الواجب والفرض سواء وإنمـا يختلفـان مـن حيـث الاعتقـاد فمـن أنكـر الفـرض الثابت قطعاً بدليل قطعي كالإيمان بفرضية الصلاة والزكاة والصوم والحج مـن أنكـر هـذا يكفر ومن أنكر الواجب لا يكفر.

2- المندوب : وهو ما فعله الرسول ﷺ وتركه أخرى كالبداءة باليمين في غسـل اليـدين في الوضوء ولبس النعل، ويعرف بأنه ما يمدح فاعله ولا يـذم تاركـه.. وللمنـدوب أسمـاء متعددة منها المستحب والنفل والتطوع والسنة.

3- المحرم : وهو ما ثبت قطعاً بدليل قطعي كحرمة الزنا وحرمة السـرقة وحرمـة الخمـر وحرمة الربا.. ويعرف بأنه ما يذم فاعله ويمدح تاركه.. مـن أنكـره كفـر ومـن فعلـه عصـا وفسق..

والمحرم نوعان : محرم لذاته كشرب الخمر وأكل الميت.

ومحرم لغيره : كأكل مال الغير.

4- المكروه :

أ) **المكروه تحريماً**: وهو ما ثبت قطعاً بدليل ظني كلبس الحرير والتختم بالذهب للرجال.

وحكمه أن يمدح تاركه ولا يذم فاعله.

ب) **المكروه تتريهاً** : وهو ما كان تركه أولى من فعله كلطم الوجه بالماء عند الوضوء.

وحكمه أن يمدح تاركه ولا يذم فاعله.

5- المبـــاح :

هو ما لا يتعلق بكل من فعله وتركه ثواب ولا عقاب.

وهو لا يمدح على تركه أو فعله.

ويقال لـه : الحلال والجائز.

تقسيم الأحكام الفقهية من جهة المبنى الاصطلاحي :

أولاً : الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعتقدات : كأركان الإيمان الستة كالإيمان بالله واليوم الآخر... أو كل ما يترتب عليه عدم الاعتقاد به كفر.. وهذه تسمى أصول الدين أو العقائد.

ثانياً : الأحكام الشرعية المتعلقة بعبادة الله تعالى من صلاة وصوم وزكاة ونحوها كالنذر واليمين.. وهذه تسمى (العبادات).

ثالثاً: الأحكام الشرعية المتعلقة بنظام العلاقة بين الناس وهذه تسمى (المعاملات): وهذه على أنواع :

أ) أحكام الأسرة من زواج وفراق وآثارهما وتسمى (الأحوال الشخصية).

ب) أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم كالبيع والإجارة والرهن والكفالة وتعرف حديثاً بالقانون المدني.

ج) أحكام تتعلق بالقضاء الدعوي وأصول الحكم والشهادة واليمين والبينات.

د) أحكام متعلقة بسلطان الحاكم والرعية وتعرف هذه (بالأحكام السلطانية – أو السياسة الشرعية).

هـ) أحكام متعلقة بعقاب المجرمين وتسمى (العقوبات) من حدود وقصاص وتعزير.

ز) أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب وتسمى الآن بالعلاقات الدولية.

ح) أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة.

ط) أحكام تتعلق بتجديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهي عنها.

رابعاً : أحكام الأخلاق وتسمى الآداب :

وهي المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم وما يجب أن يتحلى عنه كوجوب الصدق وحرمة الكذب والغدر والخيانة والتعاون على الشر والظلم ونحو ذلك.

وهذه كلها أحكام يتعبد بها الله سبحانه وتعالى إذ الكل داخل في مفهوم العبادة وهي كما رأيت شاملة لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان.

والخصيصة الثالثة للإسلام : العموم لجميع الناس:

أي أنه من حيث الأشخاص الذين يحكمهم عام لجميع البشر باق ولا يزال مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وحيث أن الشريعة الإسلامية كاملة تامة سدت كل ما لم تأت به الشرائع السابقة، وأكدت ما جاءت به هذه الشرائع السابقة، فلا حاجة ولا داعي لمجيء شريعة أخرى، فهي الرسالة الخاتمة الكاملة: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

قال تعالى في تعليل رسالة محمد ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والرحمة تتضمن قطعاً رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم لإعلام البشر بأن تحقيق المصالح هو مقصود الإسلام، وأن الأحكام ما شرعت إلا لهذا الغرض، مثل: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد شرعت الرخص عند وجود المشقات في تطبيق الأحكام، وشرع الطلاق عند استحالة الحياة الأسرة، وشرعت الدية في القتل الخطأ على عاقلة القاتل. وقاعدة لا ضرر ولا ضرار في هذه الأحكام العدل والمساواة بين كل الناس.

والخصيصة الرابعة للإسلام :

أنه من **حيث نوع الجزاء** الذي يصيب مخالفة أو زجره فجزاء أخرويّ بالإضافة إلى جزائه الدنيوي، فأحكام الإسلام ليست نصائح وإرشادات ونصائح خالية من الثواب والعقاب.. ثواب يناله الملتزم بها.. وعقاب يصيب المخالف لها على درجات متفاوتة في العقاب والثواب.

وقد ترتب على **الجزاء الأخرويّ** يوم القيامة خضوع المسلم لأحكام الشريعة خضوعاً

اختيارياً في السر والعلن خوفاً من عقاب الله وحتى لو استطاع الإفلات من عقاب الدولة التي توقعه في الدنيا على المخالف لأحكام الإسلام لأن العقاب الأخروي ينتظره ولا يستطيع الإفلات منه :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

وفي هذا وذاك أعظم ضمان لزجر النفوس عن المخالفة والعصيان ومنع الفساد عن الناس وعن الدولة ذاتها التي اتخذت الإسلام أساساً ومصدراً لتشريعها.

فمثلاً عقوبة الزنا أساسها رعاية الأخلاق ومنع إفسادها للفرد والأسرة والمجتمع كشيوع الأمراض واختلاط الأنساب وخراب البيوت والعزوف عن الزواج وما إلى ذلك.

وعقوبة السرقة في الدنيا وهي قطع اليد، ويرى البيهقي العلاج الحاسم لقطع دابر الاعتداء على أموال الغير وإشاعة الطمأنينة في نفوس الناس إذا ما قورنت بعقوبة السجن للسراق إذ الأخيرة ما ردعت وما قللت من حوادث السرقة.

وعقوبة التعامل بالربا واستساغته للظلم وفقدان التعاون الاجتماعي وانحلال المجتمع وفساده، ربما لا يكون هناك تشريع وضعي يزجره ولكنه في الآخرة ينتظر المتعامل به من الله عذاب عظيم.

وكذا عقوبة القتل العمد في الشريعة الإسلامية هي القصاص، أي قتل الجاني ولأهل المجني عليه أن يعفو ويتصالحوا مع القاتل على الدية وهذا تنظيم كامل لهذه الجريمة لم يغفل جانب الطبيعة البشرية، كما لم يغفل جانب المجتمع ومصلحته والعمل على تماسكه وترابطه.

الخصيصة الخامسة للإسلام : الوسطية والتوازن :

مما يوجب التخفيف والتيسير ورفع الجرح فلن يشاد الدين أحد إلا غلبه..

فلما كان الإنسان مؤلف من مادة وروح وللمادة نظامها وعالمها الذي تقوم به، وللروح خصائصها الذي تحيا فيه والإنسان – وقد خلقه الله في أحسن تقويم فهو مطالب أن يكون له حياتان : حياة دية يؤدي بها ما لبدنه من الحقوق في حكمه ونظام وحياة روحانية يحياها وراء عالم المادة يؤدي بها من لروحه من الحقوق، فإذا أقبل الرجل على نفسه فقام بحق بدنه، وحق روحه.

وهنا تأتي **وسطية الإسلام** فتشرع للإنسان التوازن المعتدل بقوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وينبغي أن نقدم الإسلام للناس بالتبشير والترغيب بدلاً من الترهيب والتخويف والتنذير دون دعوة متوازنة في وضع الترغيب والترهيب في مواقعهما الصحيحة..

يقو ل الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقال: ﴿ لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقال: ﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال: ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧].

وفي سورة النمل يقول: ﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النمل: ٢ – ٣].

فتقديم الترغيب على الترهيب هو الأصل في الدعوة إلى الله، وبذلك بدأ رسول الإسلام دعوته للكفار والمشركين والناس أجمعين.

وهو الحد الفاصل بين الرشد والهوى وهو الحد الذي يجب أن يقام عنده الحواجز بين حياة

المادة وحياة الروح وهو حد الوسطية بين حاجيات البدن وبين متطلبات القلب [1]، بحيث يحال بين القلب وبين الهوى وتدارك الخطأ بالزهد في الشهوات وطلب الدنيا، وهذا رسول الله ﷺ يصوم ويفطر ويقوم الليل متهجداً ويرقد ويتزوج النساء [2]. ويبين لنا أن الإفراط مذموم ولو كان في إقبال العبد على حياته الروحية متناسياً متطلبات حياته الدنيوية وقال لعبدالله بن عمرو أن لله عليك حقاً وإن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً، فالإسلام منهج وسط لأمة وسط وهو منهج متوازن بين الروح والجسم، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفردية والجماعية، وبين الحرية والمسئولية، وبين المثال والواقع.

والخصيصة السادسة للإسلام :

أنه من حيث **نزوعه إلى المثالية** دون إغفال للواقع فهو دين مثالي يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال، لكنه في نفس الوقت دين واقعي لا يغفل عن طبيعة الإنسان الترابية وواقعه المعاش، وبهذا توازت استطاعة مع أحكام الله في سائر ظروفه وأحواله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]. **فالاستطاعة هي مناط التكليف،** ولذلك لا يمكن أن يكلفه الشرع الإنسان فوق طاقته والإسلام دين الفطرة: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤].

وهو في ذلك لا يغفل في مجتمع القدوة والسيرة العملية وقد تحقق ذلك كله في رسول الله ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإنما يجب أن **تكون الدعوة حاضرة منسجمة مع الإمكانات والاستطاعات المتوفرة في** مجتمعاً دينياً، والنصوص دالة على رفع الحرج والعسر عن هذه الأمة والتخفيف عنها: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

ولعل التدرج في أخذ الناس بأحكام التشريع وأمثلته الكبيرة الواردة في ذلك والدالة عليه وبيانها المتعدد في إجابات لكل سائل بحسب حاجته، ولعل لنا في التدرج في تحريم الخمر ما

---

(1) القلب قد يطلق على العقل.

(2) رواه البخاري عن أنس.

يؤكد لنا أن الحكم الشرعي والتكليف كان دائماً منوطاً بالاستطاعة وأن الشارع لم يقصد المشقة لذاتها في التكليف.

ويمكن القول هنا أن دراسة أسباب النزول للقرآن وسبب نزوله منجماً الذي يعني فيما يعني اعتبار المناسبات أو الحالات الاجتماعية أو الإشكالات التي تعرض لها المجتمع محل التنزيل فجاء النص معالجاً لها ليكون نموذجاً يجرد من الزمان والمكان ويولد في كل زمان ومكان، ذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول علماء الأصول.

لذلك يجب على الداعية الإلمام بها والتعرف عليها وبين ما جمعته الشريعة بين الثبات والمرونة في أحكامها.

ومن القضايا الجديرة بلفت النظر والتنبيه لها أن الاعتراف بالواقع لا يعني إقراره على ما هو عليه من الخطأ والتخلف والجهل والاستبداد والخضوع له والتنازل عن قيم الكتاب والسنة والعدول عن مثالية الإسلام ومنها الاعتدال الذي يعني عدم الإفراط والتفريط في أي شيء وإعطاء كل ذي حق حقه، فالاعتدال مطلوب حتى في العبادات وفي غيرها.

والمثالية في الإسلام تتصف بالشمول في جميع الأحوال وفي شمول رعايتها لجميع المصالح، ولعلّ الرخصة وهي السهولة في الحكم المتغير إليه لعذر ومع قيام السبب للحكم الأصلي المتغير هي إحدى مسايرة الشرع للواقع والحال والظروف مقابل العزيمة، وهو عبارة عن القصد المؤكد في عرف الشرع.

مقاصد الشريعة في الإسلام[1] :

لقد كان من أبرز معالم العقل المسلم الذي صبغه الإسلام وأعاد تشكيله أنه عقل نمائي تعليلي مقاصدي يدرك أنه ما من شيء فضلاً في هذا الوجود فضلاً عن أحكام الحياة تنظيماتها إلا له حكمة وعلّة وسبب، فلا مكان للمصانعة في هذا الوجود، ولا مجال لانتفاء الأسباب، ولقد كانت هذه القضية من الوضوح في العقل المسلم بمكان، فالعلّة والمعلول والسبب والمسبب والمقدمة والنتيجة صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه.

(1) انظر كتابنا مقاصد الشريعة في الإسلام – طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة –. الفائز بجائزة وزارة الأوقاف (الحج على نفقة الدولة) عام 1994 والجائزة الأولى على مستوى الجمهورية.

فاشتملت آيات كثيرة من الكتاب الكريم على علل ظاهرة وأسبابه تبين قصد الشارع مما شرع، ومن ذلك إرسال الرسل: ﴿وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقلما تجد من التشريعات الإلهية شيئاً لم ينص على علته كما حدث هذا في أحاديث رسول الله ﷺ وسنته وما لم ينص على مقصده وغايته يمكن أن يندرج تحت المقاصد العامة والغايات الكلية والتي جاء بها الإسلام في كلياته الخمس: حرمة الدم وحرمة النفس وحرمة الدين وحرمة العقل وحرمة العرض والنسب.

وقد كان كتاب الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي بحثاً في المقاصد من حيث العموم، وقد عرف بالاستقراء والتأمل أن مصالح العباد تتعلق بأمور ضرورية أو حاجية أو تحسينية..

قال الشاطبي[1] : ومصالح الدنيا على ضربين؛ سواء أكان تحصيلها عن طريق جلب المنافع أم عن طريق دفع المضار..

أ) **مصالح ضرورية** : وهي أعلى المراتب للمقاصد الشرعية.. والضروريات المتفق عليها في الشرائع كلها خمسة.. أشياء لا قيام لحياة الناس بدونها وقد أطلق العلماء على هذه الأمور اسم الكليات الخمسة التي تعتبر عندهم أصولاً للشريعة وأهدافها العامة وهي[2]:

1- **حفظ الدين** : وهو علة الوجوب للقتال والجهاد إذا ما استهدف الدين من قبل الأعداء ونحوهم.

2- **حفظ النفس** : وهو علة وجوب القصاص للمحافظة عليها من القتل وحفظ كرامتها وحريتها.

3- **حفظ العقل** : وهو علة لتحريم المخدرات والمسكرات.

4- **حفظ المال** : وهو علة لقطع يد السارق.. وتحريم الربا والرشوة ونحو ذلك من أكل أموال الناس بالباطل.

---

(1) انظر الموافقات للشاطبي (2/ 13).

(2) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية؛ د/ يوسف حامد العالم ص80.

5- حفظ النسل والعرض : وهو علة لتحريم الزنا وتحريم القذف..

ب) والضرب الثاني : وهي المصالح الغير ضرورية ولكنها هامة غير مستغنى عنها وهي على قسمين :

1- حاجيات : أي يحتاج الناس إليها لتيسير أعمالهم وتحسين معاشهم كالبيع والإجارة والمضاربة، فإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة ولكن يصيب الناس ضيق وحرج.

2- تحسينات : وترجع إلى الأخلاق والآداب ومكارم الأخلاق ومحاسن العادات وما يؤدي إلى المروءة والسير على أفضل منهاج وخير سبيل.

وقد نظم بعضهم المقاصد العامة للشريعة فقال :

وروعى فاعلم ذلك في كل ملة ::: مضت حفظ خمس في جميع الشرائع

هي الدين.. ثم النفس والعقل ثالث ::: مع النسل مال فامشها في المسامع[1]

أنظمة الإسلام :

فالإسلام دين شامل في جميع أمور الدنيا والدين يشمل في منظومته :

1- نظام الأخلاق : من أقواله عليه السلام **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**..

كما أنه عليه الصلاة والسلام : عرف الدين بحسن الخلق.. ومن أمثلته :

أ- الوفاء بالعهد: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

ب- النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

جـ- الأمر بالعدل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

د- التعاون على البر والتقوى والنهي عن البغي والعدوان: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

(1) للتفصيل انظر كتاب المؤلف: مقاصد الشريعة في الإسلام؛ مكتبة الإيمان بالمنصورة.

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

هـ- النهي عن الظلم : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

و- الصبر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ز- الصدق من علامات الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، والنهي عن الكذب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

وغير ذلك من الحث على تفضيل الأخلاق مثل التحلي بالحلم والأناة والحياء، فإن الحياء لا يأتي إلا بخير في الرفق فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه.

والنهي عن الأخلاق الذميمة مثل الحسد والحقد والتباغض والعجب والبخل والشح والفرخ والرياء والنهي عن الغضب وعن المراء والجدل.. وغير ذلك مما يدل على شمول الإسلام لجميع الأخلاق الفاضلة التي لها صلة بتقوى الله وقوة الإيمان.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

2- النظام الاجتماعي : وأساسه العدل الاجتماعي في الإسلام ومراعاة الأخلاق.. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠].

إلى جانب عناية الإسلام بالأسرة اللبنة الأولى في كيان المجتمع وضرورة قيام المجتمع الصالح والاهتمام بالمرأة نصف المجتمع.

3- نظام الحسبة : والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

4- الإسلام ونظام الحكم : بالديمقراطية والشورى والسياسة الشرعية كمبنى للنظام السياسي في الإسلام وقيام الدولة.

5- النظام الاقتصادي في الإسلام وتوفير حرية العمل وحق الملكية الشخصية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل السادس :
حكم الدعوة إلى الله

لما كان الإسلام هو الدين الكامل والرسالة التامة والحلقة الأخيرة في صلة السماء بالأرض، لم يشأ الخالق أن يكون الدعوة إليه قاصراً على زمان بعينه أو خاصاً بفئة محددة، فجعله ديناً لجميع خلقه وكانت رسالة سيدنا محمد ﷺ عامة لجميع الخلائق في كل زمان ومكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أجمع على ذلك جميع علماء الأمة خلفاً عن سلف إلى يومنا هذا من غير نكير من أحد.

أولاً : وجوب الدعوة إلى الله :

وحتى يتحقق ما تضمنته تلك الشريعة من مبادئ الخير والهدى ومعالم النور والحضارة القادرة على حاجة البشرية والصالحة لتنظيم حياتها وحكم تصرفاتها في العسر واليسر.

حتى يتحقق ذلك كله في كل زمان ومكان، كان لابد من حمل الدعوة لهذا الدين العظيم وتبيين أحكامه للناس، صحيحة من الدخيل، سليمة من البدع، خالية من الأهواء لتحصل لهم الهداية بسببها ويشملها نور الله من أجلها.

وهنا يجيء دور الدعوة الإسلامية، ودور دعاتها القائمين على حملها وتبليغها وهم العلماء ورثة الأنبياء: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكما روى الترمذي وأبو داود وأحمد وابن ماجه من حيث رسول الله ﷺ : **«العلماء ورثة الأنبياء.. وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر»**.

ومن هنا كانت الدعوة هي القيام بواجب البلاغ لرسالة سيدنا محمد ﷺ وهي عامة لجميع الناس والإسلام دين الكافة: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن ثم يكون الإعلام بها واجباً وتكون الدعوة إليها أمراً يفرضه الإسلام لما هو مقرر فيه، فلا تكليف من غير إعلام ولا جزاء من غير علم بالرسالة ودعوة بها، وهذا هو دور

الدعاة: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

والعلماء الدعاة إنما هم ورثة الأنبياء فتبقى الدعوة في أعناق الدعاة والهداية إلى الرشد على كاهل المرشدين بتكليف من الله بما ائتمنهم عليه وحملهم مسئولية تبليغه إلى الناس أجمعين.

يقول الشيخ سيد سابق في الإشارة إلى ذلك ما خلاصته :

إن الله فرض على المسلمين أن يحملوا مواريث النبوة وأن يضطلعوا بأعباء الرسالة ويقودوا الناس إلى الله ويوجهوهم وجهة الحق والخير، فتعلو بذلك إنسانيتهم وتسموا مواهبهم ويحققوا معاني الهدى والرشاد، وبهذا كانت هذه الأمة خير الأمم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن هنا نستطيع أن نعرف حكم الله في تبليغ دعوته للناس ونشر هدايته للعالمين، بما ذكره العلماء من أدلة الوجوب العديد من آيات الله عز وجل، من ذلك قوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومن أمثلة أدلة الوجوب في السنة ما جاء من حديث رسول الله ﷺ قال : **«الدين النصيحة»** قالها ثلاثاً.. قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال: **«لله ولرسوله والأئمة المسلمين وعامتهم»** (رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه والبخاري تعليقاً).

ويقول الدكتور غلوش في بيان حكم الوجوب وسببه ما خلاصته :

إن أهمية تبليغ الدعوة تأتي من جانبين :

- **من جانب الناس** : حيث مصلحة الناس وسعادتهم تدعو إلى هذا التبليغ.
- **ومن جانب الدعوة** : لأن طبيعتها الحركة الهادفة والوصول إلى كل مكان في الوجود.

وكان من حكمة الله بالناس أن كلفهم بدينه وأمر المؤمنين باستمرار الدعوة إلى هذا الدين حتى لا يغيب عن ذاكرة المؤمنين، ولذلك وجب أن يستمر دعاة الإسلام في الدعوة لدينهم ولا يتكلوا على وجود بعض مظاهر الخير، لأن الشيطان مستمر في الإفساد والمعارضين

للدعوة كثر عددهم وتعددت وسائلهم – خاصة في هذه الأيام – وعظمت إمكانياتهم.

وينقل عن المغفور لـه الشيخ محمد خضر حسين الشيخ الأسبق للأزهر قولـه :

ولا تنس أن المضلين المخادعين في هذا العصر قد تهيأ لهم مـن وسـائل الدعايـة مـا لم يتهيـأ لغيرهم؛ من نواد تفتح وصحف تنشر وجمعيات تعقد وأموال تنفـق وجـاه يبـذل.. وهنـاك طائفة لم تفسق عن جحود وتمرد، وإنما أتيت من قبل الجهل وعدم صفاء البصيرة فوضـعت بجانب حقائق الإسلام ما يتبرأ من الإسلام.

ثم قال : وهذا يجعل **الدعوة إلى الدين من أفضل الواجبات** وأحد المساعي حيث أن الفائدة حينئذ محققة.. الخ كلامه [1].

نعم؛ قد تكون المشكلة حقيقة اليوم.. وقد عمت الفتنة وكثر الخبث وأصبحت معهـا الأمـة مهددة بالهلاك لانعزال الصالحين عنها وانسحابهم عـن المجتمـع وقعـود الكـثير مـنهم عـن القيام بحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر والـدعوة إلى الخـير [2].. ولكـن إلى مـدى يكون حدود هذا الواجب ؟

حدود الواجب في الدعوة إلى الله:

يقول الإمام ابن القيم تحت عنوان : فصل في تغيير الفتوى واختلافها بحسب الأزمنة والأمكنة ما خلاصته:

الشريعة التي بعث الله بها رسـوله هـي عمـوم العـالم وقطـب الفـلاح والسـعادة في الـدنيا والآخرة، يمثل لذلك بأن النبي ﷺ شرع لأمته إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف مـا يحبه الله ورسوله ﷺ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسـوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملـوك والـولاة بالخروج عليهم فإن أساس كل شر وفتنته إلى آخر الدهر.

ثم يقول : فقد كان رسول الله ﷺ يرى بالمنكرات أكثر المنكر ولا يسـتطيع تغييرهـا بـل لمـا

(1) الدعوة أصولها ووسائلها.

(2) انظر: فقه تغيير المنكر؛ د. محمود توفيق، كتاب الأمة 41، ص 21.

فتح مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده إلى قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد..

ثم انتهى إلى قوله : فإنكار المنكر أربع درجات :

- **الأولى** : أن يزول ويخلفه ضده
- **والثانية** : أن يقل وإن لم يزول بجملته
- **والثالثة** : أن يخلفه ما هو مثله
- **والرابعة** : أن يخلفه ما هو شر منه

فالدرجتان الأوليتان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة..

ويقول : فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان فيه شاغلاً لهم عن ذلك.. وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها إلى كتب البدع والضلال والسحرة فدعه وكتبه الأولى [1].

ويقول في موضع آخر من الكتاب :

وهذا باب واسع.. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : مررت أنا وأصحابي في زمن التتار يقوم بعضهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له : **إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.. وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبيّ الذرية وأخذ الأموال فدعهم..**

---

(1) انظر: إعلام الموقعين؛ لابن القيم، جـ 3، ص 4 - 5.

كما مثّل لذلك أيضاً بأن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الغزو كما رواه أبو داود.

وقال في هذا حد من حدود الله تعالى.. وقد نهى الرسول ﷺ عن إقامته في الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره.. ونقل عن أبي محمد المقدسي إجماع الصحابة عليه..

وأورد من الشواهد عدداً مما يدل على ذلك ومنها : قصة أبي محجن الثقفي فقال :

أتى سعد بن أبي وقاص بأبي محجن الثقفى يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به إلى القيد وحبسه، قال أبو محجن :

كفا حزناً أن تطرد الخيل بالقنا ::: وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا

فقال لسلمى بنت خصفة امرأة سعد : اطلقيني ولك والله عليّ إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد وإن قتلت استرحتم مني..

قال : فحلته حتى التقى الناس وكانت تسعف جراحه..فلم يخرج يومئذ إلى الناس.

قال : وصعدوا به فوق العذيب ينظر إلى الناس واستعمل على الخيل خالد بن عرنطه فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ثم أخذ رمحاً ثم خرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا وهزمهم وجعل الناس يقولون : هذا ملك لما يرونه يصنع..

وجعل سعد يقول : الصبر صبر البلقاء والظرف ضفر أبي محجن وأبو محجن في القيد، فلما هزم العدو رجع أبو محجن حتى وضع رجليه في القيد.

فأخبرت ابنة خفصة سعداً بما كان من أمره..

فقال سعد : لا والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى المسلمين ما أبلاهم فخلّى سبيله.

فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد – وأطهر منها – فأما إذا بهرجتني فوالله لا أشربها أبداً.

قال : وقال قولته؛ بهرجتني أي أهدرتني الحد عني.

ثم قال : وليس هذا ما يخالف نصاً ولا قياساً ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا إجماعاً، بل لو ادعى أنه إجماع الصحابة كان أصوب.

قال الشيخ في المغني : وهذا اتفاق لم يظهر خلافه.

ثم ذكر بعد ذلك من الأمثلة على ما ذهب إليه من منع النهي عن المنكر إذا أدى إلى مفسدة أعظم منه بما يضيق المقام عن سرده [1].

وفي كتابه الشهير الحسبة لابن تيمية [2] يقول :

" فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فلينظر في المعارض له، فإن كان الذي يقوي من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر ".

وفي موضع آخر من نفس كتاب الحسبة يقول ابن تيمية [3] :

" بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه أو حصول فوقه، ولا يتضمن النهي عن منكر حصول أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه ".

ومن تطبيقات ذلك قول ابن النحاس :

" من هذا النوع لوجدنا رجلاً يرقب امرأة ليفسق بها إذا مرت فرأى خمراً فاشتغل بشربه ولو منعناه لامتنع ولكن لا يقدر على دفعه عن المرأة، فإننا لا نمنعه عن شرب الخمر إذا كان شربه يشغله عن منكر أعظم منه [4]".

أما إن تساوى المعروف والمنكر عند شخص أو مجموعة بحيث يغفلوها جميعاً أو يتركوها جميعاً.. فيقول الإمام ابن تيمية :

" إذا الشخص أو الطائفة كانا جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما بل إما

---

(1) راجع إعلام الموقعين؛ للإمام ابن القيم، جـ 3.
(2) كتاب الحسبة؛ ص 122.
(3) ص124.
(4) انظر: تنبيه الغافلين؛ لابن النحاس، ص 100.

أن يفعلونهما جميعاً أو يتركونهما جميعاً لم يجز أن يؤمر بمعروف أو ينه عن منكر، بل ينظر فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسول الله وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب نهى عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر وسعياً في معصية الله ورسوله.

وإن تكافأ المعروف والمنكر لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما فتارة يصلح الأمر وتارة يصلح النهي وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كمان المعروف والمنكر متلازمين وذلك في الأمور المعنية الواقعة..

ومن هذا الفصل نخلص :

- إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أبيّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب من قومه وحميتهم وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه [1].
- ومن ذلك : حين قال عبد الله بن أبيّ في غزوة بنى المصطلق فيها رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فتناحرا : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرج الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال النبي ﷺ : **«دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»** (متفق عليه).. بعدها قال عمر : قد – والله – علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري [2] [3].

ومن ثم فإن تغيير المنكر المترتب على تغييره آثار فردية أو جماعية لا يستقيم القيام به إلا بعد مراجعة ملابساته والموازنة بينها وبين آثاره [4]، ومن هنا كان: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

(1) انظر: الحسبة؛ لابن تيمية ص122، 123.
(2) انظر: البخاري؛ حديث رقم 63 (2584)، جـ 4، ص 45، 46.
(3) انظر: البداية والنهاية؛ لابن كثير، 4/ 185.
(4) انظر: فقه تغيير المنكر؛ ص 32، وانظر: فقه الدعوة إلى إنكار المنكر؛ عبد الحميد البلالى ص 148.

بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويتناول الدكتور / غلوش هذه المسألة أيضاً ولكن بأسلوب آخر حيث يفصل لنا مسألة وجوب الدعوة.. ومن يشملهم الحكم؟ ومتى يتنزل الحكم من الوجوب العيني إلى الوجوب الكفائي ؟ ومنطق القائلين بعدم الوجوب وشبههم والرد عليهم ومن ذلك ما خلاصته :

" **الدعوة ليست كائناً متحركاً بذاته ولكنها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به**.. ولأنها هكذا؛ أوجب الله على رسوله تبليغها فقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن أدلة الوجوب من السنة قوله عليه السلام : **«ليبلغ الشاهد منكم الغائب»**.. رواه البخاري.

وقال عليه السلام : **«بلغوا عني ولو آية»**.

والخلاصة كما نراها ويراها الدكتور عبد الله مبروك النجار [1] أن الواجب في الدعوة يتحدد بالمنهج ولا يتعداه في غايتها، وإذا كان منهج الدعوة لا يتمثل في المضمون الذي يوصله الداعية لمن يدعهم والأسلوب الذي يخاطبهم به أو يمكن تسميته بالشكل والموضوع في الدعوة، فإن الغاية تتمثل في تحقيق ذلك المنهج لهدفه وهو حصول الهدي في قلب من يدعي.

وغاية الدعوة من اختصاص الله عز وجل، فهو الذي يقلب القلوب ويشرح الصدور ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وإن اختصاص الله – سبحانه – بغاية الدعوة ينطوي على أبلغ دلالات التشريف للدعاة؛ إذ سبحانه جعل أمرها شركة بينه وبينهم.

(1) انظر: مجلة منبر الإسلام؛ رجب 1424هـ، ص 100، وانظر للمؤلف كتابه (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: كيف؟.

ولهذا شرفهم حين اختصهم بوارثة الأنبياء واتباع هديها..

وحين أجزلهم العطاء بسببها وجعل لهم من الأجر عليها مثل أجور من يدلونهم على الهداية ويأخذون بأيديهم إلى طريق الله، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً»**.

كما أن **اختصاص الله تعالى لغاية الدعوة** ما يسد الطرائق أمام الإكراه في الدين.. كما أن فيه تدعيماً لهذا المبدأ وتأكيداً له، لأنه إذا كانت الهداية بيد الله.. فإذا كان ذلك كذلك وهو كذلك، فإنه لا يجوز لمشتغل بالدعوة أن يرغم أحداً على الدخول في الإسلام ويترك أمر ذلك لربه حيث يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

وأن النهي عن الإكراه في الدين هو المدخل الصحيح لتحقيق مقصد الشارع الحكيم سبحانه في أمرين:

أولهما : أن الإكراه ينافي حقيقة الإيمان؛ إذ جاء عن إكراه لا يقبله الله، فرعون مثلاً عندما أدركه الغرق: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]، فكان الرد من الله سبحانه: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس: ٩١].

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**.. رواه الترمذي.

ثانيهما : أن أمر الهداية مادام بيد الله سبحانه ولا إكراه ينافي حقيقة الإيمان، فلا جناح على المسلم أن يتواصل مع غير المسلمين وفق الآية 8 من سورة الممتحنة : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨]. ولهذا كان من المقرر أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

ومنهج الدعوة هو الذي ينبغي أن يقف عنده طموح أي داعية، لأنه القدر الذي رسمه

الله.. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية: ٢١ – ٢٢].

طبيعة الوجوب في الدعوة إلى الله :

فإذا كانت الدعوة إلى الله واجبة وهي كذلك، فإن هذا الوجوب قد اعترى توصيفه خلاف في الرأي بين العلماء يمكن رده إلى قولين أو إلى فريقين :

حيث يرى الفريق الأول :

أن تبليغ الدعوة إلى الله على **سبيل الكفاية؛ أي أنه واجب كفائي** ومن أصحاب هذا الرأي الإمام السيوطي حيث يقول في الأشباه والأنظار :

إن من جملة فروض الكفاية : تعليم الطالبين وهداية الضالين وهذا الرأي يقوم على أدلة قوية تؤكد معناه وتبين صحته منها قول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فقد جعل الله تعالى القيام بالدعوة واجباً على أهل الكفاية ممن تتوافر فيهم شروط الدعوة من المسلمين الذين تعلموا لها وأحاطوا بعلومها وتفرغوا للقيام بأمرها..

ومن هذه الأدلة أيضاً قول الله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وفسر البعض أن منكم بأن من بيانية وقالوا أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل قادر عليها.. وهناك من قال أن (من) تبعيض، وأن الدعوة إلى الله واجب كفائي إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين..

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية [1]:

من في قوله منكم للتبعيض ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء.. وقيل : لبيان الجنس والمعنى لتكونوا كلكم كذلك.. ثم يقول : قلت؛ القول الأول الأصح فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والهي عن المنكر **فرض على الكفاية**، وقد عينهم

(1) انظر: تفسير القرطبي؛ جـ 4، ص 165.

قول الله تعالى بقولـه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الحج: ٤١] وليس كل الناس مكنوا.

يقول الشافعي : **فرض الكفاية يكون واجباً على العموم ووجباً على الخصوص**، فوجوب على الخصوص يختص بالقادرين الذين هيئوا لذلك العمل الخاص ووجوبه على العموم، إنما يكون بإعانة هؤلاء القادرين وتربيتهم وإعدادهم.

ومن القواعد المقررة في الشريعة : أن: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا يدل على أنها واجبة على العلماء وحدهم.

أما الفريق الثاني :

فيرى أن الدعوة إلى الله **واجب على الكافة وليس على الكفاية**، أي أنها واجب عيني على كل مسلم حسب قدرته واستطاعته وعلمه ولو بآية واحدة من القرآن.

ومن أصحاب هذا الرأي فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى، وقد استدل بقولـه تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، حيث أسند الحق سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأمة كلها، تدل ذلك على أن القيام بها من الواجبات المتعينة على كل فرد من أفرادها والدعوة من قبيل كل منها.

ويقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]، حيث أخبر النبي ﷺ، كما حكى عنه القرآن أن الدعوة واجب عليه وعلى من اتبعه، ولا شك أن كل مسلم متبع لـه فتتعين الدعوة عليه، وهذا معنى فرض العين.

ثم يقول رحمه الله : **الدعوة من اختصاص الكافة**، وذلك اقتداءً بما كان يفعله الصحابة والتابعون من بعدهم، فكل من كان على علم بالإسلام وحقائق الإيمان، يعلم غيره ويدعوه إلى الله سواء كان من المشركين أو ممن يتصلون به بقرابة أو جوار أو صداقة أو لقاء، ولأنهم يعلمون أن الإسلام دعوة إلى الحق، فيدعون إليه من كون في ضلال من أمره، كما حدث من جعفر بن أبي طالب حيث وقف يشرح للنجاشي ملك الحبشة حقيقة الإسلام وقت أن هاجر إليها.

والرأي الأول هو الراجح في نظرنا لأن الدلالة التي استند إليها القول الثاني وإن كانت تفيد الاختصاص بالدعوة على عموم الأمة إلى أن هذا العموم مخصوص بالاستطاعة ومقيداً بها إعمالاً لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن المعلوم أن **الدعوة إلى الله عبء لا يقدر كل أحد على القيام به** فتجب على سبيل الكفاية، وأيضاً فإن الرأي الأول يحتوي في مفهومه على الرأي الثاني..

كما أن العالم الداعي المتخصص يراعي الوقت المناسب للتبليغ ويتخير الظرف المناسب، يقول صاحب كتاب فواتح الرحمات :

" إن التبليغ وإن أدى في غير وقته المناسب وطرقه الملائمة لم يحدث الاتباع والتأثير ".

وهذا ما لا يتيسر لكل الناس وبذلك تكون الدعوة على فقه.

ولأن القول بعينية الوجوب في الدعوة على كل مسلم يشجع كثيرين ممن لا يصلحون لها، وما يخلطون بين الدعوة ككل وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كجزء من كل، والذين لا يفقهون من أمور الدين ما يؤهلهم للقيام بالدعوة، وقد يحلون الحرام ويحرمون الحلال، وهذا عبث لا منجاة منه إلا بمراعاة التخصص والكفاية.

فنحن نرى أن الدعاة **يجب انتقاءهم وفق سمات معينة** وخاصة في نشأتهم، كما يجب كذلك أن يتم إعدادهم وتكوينهم كما يجب لتنجح دعوتهم..

وهذا موضوع ا لباب الثاني.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الباب الثاني:
تكويـــن الدعـــاة

هل الدعاة إلى الله أناس عاديون.. وهل كل إنسان يصلح أن يكون داعية؟

سؤال يطفو على السطح.. والإجابة عنه هي المفتاح في منظومة تكوين الدعاة.. خاصة ونحن في القرن الواحد والعشرين، نعيش عصر العولمة.. عصر القرية الواحدة والسماوات المفتوحة والقنوات الفضائية لكل من هب ودب ينصب نفسه داعية إسلامية..

وقد سبق أن أكدنا أن الدعوة الإسلامية رسالة وليست وظيفة يلحق بها الخريج بعد أن ينال شهادته..

إن الدعوة إلى الله هي رسالة كل رسول إلى قومه حتى ختمت بسيد المرسلين محمد ﷺ، ورثها منه كل مسلم على وجه العموم.. والعلماء هم المكلفون بأدائها على وجه الخصوص..

فهي مسئولية جسيمة وخطيرة ينبغي أن تؤدى على أكمل وجه، ولذلك يجب الإعداد الجيد للقائمين لها الحاملين لرايتها، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **«اثنان إذا صلحا صلحت الأمة.. وإذا فسدا فسدت الأمة ألا وهما العلماء والأمراء»**.

وليس بجديد أن نؤكد هنا أن الله سبحانه وتعالى قد انتقى واختار أنبياءه ورسله ليبلغوا رسالاته: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقال سبحانه عن سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى في حق سيدنا إبراهيم وأبناؤه من الأنبياء: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص: ٤٦ – ٤٧].

وقال سبحانه وتعالى في حق جميع حاملي الرسالة : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فإذا علمنا أن عملية الدعوة ليست عملية اتصال بسيطة بل **هي عملية معقدة** مركبة، ففي تصورنا أن الداعية شخصية متميزة من أصحاب المواهب والاستعداد، بالإضافة إلى إعداده وتكوينه وتربيته وفق برنامج متكامل، كما يجب مواصلة صقله وإكسابه الخبرة واستزادته من العلم أكاديمياً عن طريق التدريب وذاتياً بمعرفة الداعي نفسه.

إذاً فنقطة البداية الذي يجب أن نبدأ بها هي :

حسن اختيار الدعاة من أصحاب الاستعداد والكشف عن مواهبهم واستعداداهم:

وفي ذلك لا يكفي أسلوب (المقابلة الاختبارية) بل يجب تطبيق (**أسلوب الاختبارات المقننة**) المعدة للكشف عن الشخصية المتوفرة.

فإذا كانت غير متوافرة فلتكلف جامعة الأزهر كليات التربية بها أو بغيرها لإعداد هذه الاختبارات المقننة للكشف عن أهم السمات والصفات التي نطلبها في شخصية الدعاة التي تؤهلهم لحمل هذه الرسالة ذات العبء الكبير.. والمسئولية الخطيرة فإذا لم تفعل ذلك أو يكون ذلك ضمن أهدافها فما ميزتها عن غيرها في الجامعات الأخرى؟

ولا ننسى أننا لكي نقرر التحاق طالب بكلية الشرطة أو أحد الكليات العسكرية تظل الاختبارات منعقدة لذلك زهاء الشهر الكامل أو ما يزيد منها هو اختبارات ثقافية مؤسسة ومؤهلة للالتحاق بهذه الكليات، ومنها ما هو كشف طبي للتأكد من سلامة بدنه وحواسه، ومنها ما هو مهاري تدريبي للتأكد من استعداداته، ومنها ما يتعلق بنطقه وسلامته وخلوه من العيوب كاللجلجة والثأثأة وغيرها، واختبارات الشخصية التي تنتهي بالمقابلة الشخصية Interview..

فهلا اقتفينا الأثر في تلك الاختبارات ومحاكاته في اختيار الدعاة ومسئوليتهم أشد وأخطر وعدم الاكتفاء بالمقابلات الشكلية التي تجري الآن ولا تستغرق للفرد الواحد ربما أكثر من خمس دقائق ولا يكشف فيها ربما إلا التأكد من حفظه للقرآن الكريم وربما قدرته على الخطابة المنبرية.. ثم الاكتفاء بالتدريب الشكلي الذي يخوضه الداعي للترقي في سلك الدعاة..

وكي نكون على بصيرة على **أهم السمات** والصفات المطلوبة في الدعاة نخصص الفصل التالي لذلك حتى لا نظلم أنفسنا بادعائنا ما لا نقدر عليه أو ما لا نملك المقومات الأساسية له.. وفي نفس الوقت حتى لا نظلم الدعوة ذاتها بالانتماء إليها دون توافر الأهلية لهذا الانتماء، أو ما نجلبه لها من مثالب وأوجه نقد لها كانت نضجاً طبيعياً لقصورنا عنها أو تقصيرنا فيها.. ثم نعيب زماننا..

وكما قال الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا ::: وما لزماننا عيب سوانا

فإن من كان في هذا المقام : مقام الدعاة المبلغين والمبلغين والهداة الدالين على معرفة الله سبحانه وتعالى وعلى صفاته والإيمان برسله وكتبه وملائكته وملكوته واليوم الآخر وأيضاً التعرف على خاتم أنبيائه ورسله إمام الدعاة سيدنا محمد ﷺ وسيرته ونبوته ومعجزاته، وأهم معجزة جاء بها وهي القرآن الكريم.. ورسالته التي بعث بها وهي الإسلام والتعرف على أركانه.. ومقاصده ونظمه الشاملة لكل مقومات الحياة.

الداعي إلى ذلك لابد أن يتحقق من مقوماته.. وعلى الناس أن يتحققوا من هويته.. وإلا كان الخطر عظيماً.. والعائد جسيماً.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل الأول:
السمات المشتركة بين الدعاة
والصفات التي يجب توافرها فيهم

وهنا يجب أن نتوقف ملياً لنتعرف على :

من هو الداعية ؟

حتى نتبين موقعه من مسميات شتى راحت في حياتنا.. وكثر الحديث عنها في واقعنا والتي من أبرزها :

- **المرشد** : مشتقة من مادة رشد التي وردت في القرآن في تسع عشرة آية: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
- **الواعظ** : مشتقة من الوعظ؛ قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].
- **والخطيب**..
- **والمفتي**..
- **والمحتسب**.. الخ ما يقال من تلك المسميات..

ويميز البعض بين كل مسمى فيرى أن فرقاً بين مسمى والآخر من هذه المسميات.. بين المرشد.. والواعظ فبينما يرى الدكتور أحمد عبد العزيز أبو العمايم أن الوعظ الديني هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر [1]، يعرف الأستاذ محمد عبد العزيز الخولي المرشد بسماته والتي خلاصتها أن :

المرشد : شخص كملت نفسه وتهذب خلقه ورشد عقله.. عامل بما علم.. واقف عندما رسمه له الشارع.. بصير بأحوال الناس خبير بأمورهم.. لا يعرف اليأس إليه سبيلاً..

(1) الخطابة الإسلامية بين النظرية والتطبيق؛ د. أحمد عبد العزيز أبو العمايم، ص 9.

سياسي.. حكيم نابه إلى آخر ما ذكر من ذلك[1].

وفي أسماء الله الحسنى اسم الرشيد أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها والاسترشاد طلب الرشد.. ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ [غافر: ٣٨].

كما يتناول الشيخ علي محفوظ هذه المسميات بتحديد مفاهيمها ومن ذلك قوله : اعلم أن لهذا الفن ثلاثة أسماء؛ وعظ وتذكير وقصص، بقصد إحداث الوعي المستنير.

فالوعظ والموعظة والعظة : النصح والتذكير بالعواقب سواء أكان ذلك بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب والتخويف بالله ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد..

قال ابن سيده **الوعظ** : هو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب.. وفي الحديث : **«لأجعلنك عظة أي موعظة وعبرة لغيرك»**..

وقد وردت مادة (وعظ) واحد وعشرين مرة في القرآن الكريم.. ومن أشهرها موعظة لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣].

قال وفي الاصطلاح : يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة وهذا شأن العالم الواعظ.

والتذكير : تعريف الخلق بنعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته وعصيانه والتذكير بالعواقب.

والقصص تتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها.

أما الإرشاد : فهو الهداية إلى الطريق المطلوب، كما في القاموس : الهداية والاستقامة على طريق الحق[2].

ويرى الأستاذ البهي الخولي في كتابه تذكرة الدعاة[3] أن الداعية غير الخطيب فيقول :

الخطيب خطيب وكفى والداعية مؤمن بفكره يدعو إليها بالكتاب والخطابة والحديث

(1) إصلاح الوعظ الديني للأستاذ محمد عبد العزيز الخولي.
(2) انظر: هداية المرشدين.
(3) تذكرة الدعاة؛ للبهي الخولي، ص 6.

العادي والعمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية..

ويقول : فهو **كاتب وخطيب ومحدث وقدوة** ويؤثر في الناس بعمله وشخصه.

ويقول : والداعية أيضاً **طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس** ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله.

وهو رفيق وصديق وأخ للغني والفقير والكبير والصغير.. ومن هذه الصفات تشيع المحبّة في قلبه وتتدفق الرحمة من عينيه، وتجري المواساة على لسانه ويديه وهذا ضروري جداً للداعية.. وهو من مواهب الروح والجنان لا من صفات البلاغة وملكات اللسان..

والداعية **قائد في محيطه** وسياسي في بيئته وزعيم لفكرته ومن يتبعه في ناحيته وكل هذا لا تنهض الخطابة وحدها بحقوقه.. فالبد من التأثير النفساني والهيبة الروحية والاتصال بالله.. واستعانة العقل بما حصل من تجارب التاريخ وأحوال الناس.

ثم يقول : ولست بهذا أغض من قدر الخطابة والخطيب فيما يعرف بالخطاب الوعظي لخطيب الجمعة بقوله، وهي – أي الخطابة – صفة راسخة في نفس المتكلم يقدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التاثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه إثارة إحساسه للأمر الذي يراد منها [1].

يقول الشيخ على محفوظ :

فبالخطابة تنهذب النفوس وتتنبه العقول من غفلتها وتستيقظ من رقدتها وتستنير البصائر بنور الطاعة بعد أن أظلمتها المعاصي [2].

أما المحتسب : فيعرفه الدكتور زيدان [3] بأنه من يقوم بالاحتساب أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ثم يقول : ولكن شاع عند الفقهاء إطلاق هذا الاسم على من يعينه وليّ الأمر للقيام بالحسبة وأطلقوا عليه أيضاً اسم والي الحسبة. أما من يقوم بها من دون تعيين من وليّ

---

(1) انظر: الخطابة؛ للشيخ أبو زهرة.

(2) انظر: هداية المرشدين؛ للشيخ علي محفوظ، ص 73.

(3) انظر: أصول الدعوة؛ للدكتور زيدان، ص 177، 178.

الأمر فقد أطلقوا عليه (اسم المتطوع) ثم راحوا يفرّقون بين المحتسب والمتطوع فيما يلي :

أ- **الاحتساب فرض متعين على المحتسب بحكم الولاية،** أي بحكم تعيينه محتسباً، أما فرضه على غيره فهو من فروض الكفاية ومن ثم لا يجوز للمحتسب أن يتشاغل عما عين لـه من أمور الحسبة بخلاف المتطوع.

ب- وقالوا : أن المحتسب عين للاستعداء إليه وطلب العون منه عند الحاجة.. وثم تلزمه إجابة من طلب ذلك منه.. بخلاف المتطوع إذ لا يلزمه من ذلك شيء.

جـ- قالوا : أن المحتسب عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة حتى يتمكن من إزالتها كما عليه أن يبحث عما ترك من المعروف الظاهر حتى يمكن أن يأمر بإقامته.. أما المتطوع فلا يلزمه ذلك.

د- وقالوا : للمحتسب أن يستعين على أداء مهمته بالأعوان فيتخذ لـه من الأعوان ما يحتاجه لأداء مهمته التي عين لها وليس للمتطوع ذلك.

هـ- قالوا : وللمحتسب أن يعزر على المنكرات الظاهرة ولا يتجاوزها إلى إقامة الحدود وليس للمحتسب ذلك.

و- للمحتسب أن يأخذ على عمله أجراً من بيت المال وليس للمتطوع ذلك.

ز- للمحتسب أن يجتهد في المسائل المبنية على العرف فيقر منها ما يراه صالحاً للأفراد، وينكر منها ما يراه مستحقاً للإنكار وليس للمتطوع ذلك.

ثم يقول رأيه في ذلك : من أن هذا التنظيم من الأمور الحسنة بشرط أن لا يكون ذلك مانعاً من قيام الآخرين بواجب الحسنة على الوجه المشروع..

وذلك في حد ذاته مهم.. فالدين في غاياته النهائية هو القيام بحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لخصه الرسول ﷺ فيما روى عن تميم الداري بقوله : **«الدين النصيحة..»** قلنا لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»** (رواه مسلم).

أما المفتي : وهو من يقوم بالإفتاء.. **وهو نائب في تبليغ الأحكام** وقد قالوا : المفتي موقع

عن الله تعالى..

والإفتاء إخبار عن حكم الله حين يسأله المستفتي عن حكم الشرع في مسألة ما..

وهذا يعني أنه جاهل بالحكم وإنما يسأل ليعرفه ويستقوي بذلك..

وليعمل بما يفتيه به المفتي مقلداً لـه بهذه الفتوى المشتقة ولفظها من الفتـوة بقـول الـدكتور زيدان [1]، وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام.

مما تقدم نستطيع أن نقول :

أن هذه المسميات جميعاً عندما تتوافر الصفات الخلقية والسلوكية للداعيـة إنمـا يمثـل أجـزاء من رسالته السامية وعمله المقدس.

أما لو انفصلت عنها تلك السمات الخلقية والوجدانية ومراعاة حق الله فإنها تكـون أمـوراً جوفاء خالية من التأثير لأنها خالية من الغاية السامية والمقصد الشريف.

فكل أصحاب هذه المسميات :

المرشد – والواعظ الديني – والخطيب الديني – والمفتي – والمحتسب.

هم بالمقام الأول هم دعاة..

إذ الخطاب الإسلامي الـدعوي متعـدد ومتنـوع بحسـب جملـة الخطـاب.. وإن كـان محـوره وسيظل هو خطبة الجمعة يقوم على إعدادها وتنفيذها الخطباء.

والمفتي : يعمـل علـى بيـان حكـم مـا شـرعه الله.. والمحتسـب يعـيش الواقـع ويتعـايش المشكلات اليومية وتعقب الأخطاء والمنكرات، ومحاولة دراسة أسبابها وعلاجها يأتي علـى رأس ذلك، قائمة حسبة النهي عـن المنكـر وتصـويبه وعمليـة التغـيير لـه مـن الحسـن إلى الأحسن، ومن المفضول إلى الفاضـل بإبدالـه بـالمعروف البـديل عـن طريـق الإمـلاء بعـد الإخلاء كما يقولون، فإذا كان الإخلاء دون الإملاء فسوف يملأ الفراغ بأشياء قد لا تكون لمصلحة الحق، ومن هنا كان رأي الفقهاء بأن مدافعـة المنكـر لا تشـرع إلا إذا كـان سـوف يؤدي إلى منكر أشد منه وأخطر.. **وهذه رسالة الدعاة**.. ولا ننسى أن جهاز الدعوة هو سر

(1) انظر: أصول الدعوة؛ للدكتور زيدان، ص 160.

خلود هذه الرسالة الخالدة.

ويؤكد ذلك د/ محمد السيد الجليد فيقول :

الخطاب الديني يدور على ألسنة الدعاة والمتحدثين والخطباء وكتاباتهم حول قضايا أربعة وهي : العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق.. وأن العقائد والعبادات والأخلاق تمثل ثوابت الدين وأسسه [1].

ومعنى ذلك أن الخطاب الديني متنوع ألوانه ما بين التعليم والوعظ والإرشاد والتوجيه من الدرس الديني، والمحاضرة واللقاء والدعوة والمناظرة والمجادلة والخطبة والمقابلة والكتاب والبرنامج الإذاعي أو التليفزيوني.. وغير ذلك حسب المناسبة وظروفها.. حتى أنه يصل إلى استخدام الدراما في الفيلم السينمائي الديني.

فإن من يقوم بأحد هذه الوسائل الدعوية هو أحد الدعاة إلى دين الله الحق دين الإسلام.. وإذا كان كل واحد من هؤلاء هو من الدعاة وأكثر من ذلك، فهو الكاتب والمحرر والإعلامي والمفكر الإسلامي.. وكل امرئ هو مكلف بتبليغ رسالة الله رسالة الإسلام.. ولو بآية من كتاب الله ولكن على علم وفهم سليم ووعي وبصيرة.

فإن كل شريحة هي بمثابة جزء من العملية الدعوية والوعظ والإرشاد والتوجيه.. والخطابة.. والإفتاء.. والاحتساب بالإبلاغ.

وإذا كان لكل جزئية من تلك صفات يجب أن تتوافر فيمن يقوم بها.. فإن مجموع هذه السمات والصفات يجب أن تتوافر في الداعية الكل الموسوعة الذي هو كل ذلك.

يحدثنا الشيخ سيد سابق عن (الدعاة) وسماتهم في كتابه دعوة الإسلام في صورة إجمالية.. فيقول :

إن حملة النور لهم سمات خاصة وصفات يتميزون بها عن غيرهم من الناس، ذلك بأنهم الهداة إلى الله.. والدعاة إلى كلمته.. والقوامون على دينه.. والذين يزودون عن حرماته.. والواقفون على مفترق الطرق.. يرشدون الحيارى.. ويبصرونهم على أعلام الطريق..

---

(1) مجلة منار الإسلام؛ عدد رمضان 1424هـ، ص 106.

هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله.. والذين اصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق.

وبداية : ألا ترى معي أن ذلك التعريف للدعاة يتضمن أن يكون الداعي : مبلغاً.. مرشداً.. وواعظاً.. ومدرساً.. وخطيباً.. ومفتياً.. ومحتسباً.. ومؤلفاً ومفكراً ومحرراً.. وكل كاتب مقالة إسلامياً.. وكل حامل لقلم أو فكر إسلامي..

وربما كان أقرب تعبير إلى تحديد الداعية ما ذكره الدكتور / أحمد غلوش في كتاب الدعوة؛ أصولها ووسائلها حيث يقول :

والدعاة اليوم هم المبشرون المنذرون الحاملون صوت النبوة المكلفون بالوصول إليها في كل مكان.. وفي الوجود..

فالدعاية له صفات موروثة من الأبوين.. وأخرى مكتسبة..

فمن هذه الصفات الموروثة : الموهبة.. والاستعداد الشخصي.

أما الصفات المكتسبة :

فتأتي من التنشئة والتعليم والتأهيل.. والصقل.. والتنمية والتدريب، أي باختصار من عوامل التكوين.

- **فالأولى :** صفات فطرية.. تعد هبة من الله سبحانه لمن شاء من عباده من الاستعداد الفطري والسليقة الطبيعية، من طلاقة اللسان وفصاحة المنطق وثبات الجنان وصوت جهوري وأداء متوثب ولسان بين سليم من عيوب الكلام كالنأنأة والثأثأة، وتكون مخارج الحروف عنده صحيحة، بالإضافة إلى عقل راجح وذكاء فطري، والملاحظة الدقيقة وسلامة الاستنتاج مع يقظة حية وبديهة بنبرة وثيقة بالنفس، ورباطة الجأش وقدرة على التقييم والموازنة.
- **والثانية :** يستطيع لمن حرم من أحدها أن يحصلها بجده وصبره بالدراسة والمران.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي [1] : ولكي ينجح الداعي في رسالته لابد أن يتسلح

(1) انظر: ثقافة الداعية؛ للدكتور يوسف القرضاوي، ص 4، 5.

بثلاث أسلحة على الأقل:

- **سلاح الإيمان**
- **سلاح الأخلاق**
- **سلاح العلم**

ويقول الدكتور محمد بن أحمد الصالح [1] :

لابد للداعية من صفات يرتفع إلى أهلية حمل الرسالة التي حملها الرسل من قبل لابد له من :

1- إيمان عميق. **2- علم دقيق.** **3- خلق وثيق.**

والسلاحان : الإيمان والأخلاق : تعودا إلى ما منحه الله للداعية من صفات تعود إلى القدرة الروحية التي يحركها الإيمان ويزكيها الأخلاق ويرسم حركتها الإسلام ويوجهها الإحسان.. فلكي يكون الداعية ناجحاً في دعوته يجب أن تتوفر فيه صفات التمييز الإيماني والتفوق الروحاني..

ويمكن أن نشير إلى ملامح هذه القدرة الروحية على النحو التالي :

- **يقظة الروح** وسرعة اسجابتها لما حق لها.
- **صحوة الوجدان** والمشاعر وغيرتها على الحق.
- **الطموح إلى المثل العليا** في كل شيء.. وعدم الرضا بما دونها.
- **قوة الإيمان وسلامة المعتقد** من الخرافة.. والجمود.. والنزهات.. والأباطيل.
- **الإيمان العميق** بأن الدين الإسلامي الخاتم هو أعظم الأديان والاعتزاز بانتماء واليقين بأن الله مؤيد من يدعو إليه بإخلاص متجرد واحتساب: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].
- **قوة الإرادة.**

(1) انظر: مجلة البحوث الإسلامية؛ العدد 36 الربع سنوي الثاني من العام 1413هـ، ص 165.

- **الحس المرهف** وحسن المظهر النابع من حسن المخبر.
- **الإقبال على العبادة** والشوق إلى كل ما يرضى الله سبحانه وتعالى.
- **الشجاعة**.. والكرم.. ورحابة الصدر والصبر والاحتمال.. والحلم والانتماء والصفح والتواضع والعطف والرحمة والشفقة.. والجرأة والحكمة.. والبذل والعطاء والاستمرار في ذلك.. والألفة والتودد إلى الناس.. قال الرسول ﷺ : **«المؤمن يؤلف.. ولا خير ممن لا يألف ولا يؤلف»** (مسند الإمام أحمد).
- هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى تعود إلى ما منحه الإنسان من قدرة بدنية واستقراء جسدي يمكن صاحبه من حسن أداء عمله وإتقانه.
  - فمثلاُ يفضل فيه : الخلو من الأمراض العائقة للإنسان عن القيام بالعمل.
  - كما يفضل فيه : سلامة الحواس والجوارح.
  - كما يفضل فيه : سلامة الكلام وخلوه من عيوب النطق.
  - القدرة على مجاهدة النفس والشيطان والرغبات والشهوات.

ويمكن أن يرصد من الصفات التي تساعد الداعية في النجاح في مهمته من قدرات عقلية مثل :

- القدرة على استخدام الخبرات السابقة لمواجهة المواقف الجديدة بنجاح.
- القدرة على تكوين أنماط سلوكية جديدة في المواقف الجديدة.. وفي التصدي للبدع والخرافات.
- القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء وإدراك متعلقات هذه الأشياء.
- القدرة على الحكم على الناس والجمهور المدعوين والأشياء حكماً صائباً أو قريباً من الصواب.
- القدرة على النقد والموازنة والتعرف على الموازنة والتعرف على العناصر اللازمة للنقد.

■ القدرة على التحليل والاستنباط والنقد.

■ القدرة على الابتكار.

لعلّ هذه السمات المشتركة بين الدعاة التي نقترحها هي الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال العلماء.

فمن آيات الله التي جاء بها القرآن الكريم مشيراً إلى هذه الصفات قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فالإيمان هو ما وقر في الصدر وصدقه العمل.

روي أن رجلاً جاء سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال : إني أريد أن آمر بالمعروف وأنه عن المنكر يا ابن عباس.. قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو.. قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل.. قال: ما هي؟

قال قوله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]. أحكمت هذه ؟ قال: لا..

قال والثانية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ – ٣]. أحكمت هذه؟ قال: لا.. فالحرف الثالث.

قال : قول العبد الصالح (شعيب) عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]. أحكمت هذه؟ قال: لا..

قال : فابدأ بنفسك [1].

■ وفي ما يجب في الدعاة بتوفر الرصيد العلمي والزاد الثقافي : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

(1) قاله ابن مردويه في تفسيره، كما يقول ابن كثير 1/ 86.

■ وفي أهمية الأخلاق للداعية وأهمها الصبر لله وفي الله قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

■ وفي عمق إيمانه وثقته فيما يدعو إليه قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

■ ومن جوامع القول في سرد هذه الصفات ما نقل عن الإمام أحمد ابن حنبل في خطبته الشهيرة في كتابه (الرد على الزنادقة) قوله : الحمد لله الذي جعل في كل زمان وفترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى.. يحيون بكتاب الله تعالى الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى.. فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه.. وكم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه.. فما أحسن أثرهم على الناس.. وما أقبح أثر الناس عليهم [1]..

ويقول ابن القيم :

" ولما كان التبليغ عند الله سبحانه وتعالى يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة.. مرضيّ السيرة عدلاً في أقواله وأفعاله.. تتشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله.. "

ومن تلك الصفات : **إيمان الداعية بما يدعو إليه وثبات هذا الإيمان الذي يجعل الغيب كالمشاهد** أو أظهر والمعنوي كالمحسوس بل هو اصح وأصدق.

ومن ذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهو ما يعرف بنضج الإيمان.

ولا شك أن مثل هذا الإيمان لابد أن يقرر صفات أخرى عديدة ولكنها وثيقة الصلة برسالة الداعية، ومنها الثقة المطلقة فيمن يدعو إليه والصدق الكامل فيما يدعو له والصبر والرضا على ما يلقاه في سبيل ما يدعو إليه..

---

(1) انظر: إعلام الموقعين؛ للإمام ابن القيم (المقدمة)، جـ 1.

حيث يصوب القرآن الكريم مقدار الثقة المطلقة عند موسى عليه السلام فيقول : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

ولم يكن يعرف موسى كيف يكون ذلك.. ولا يملك من أسباب ذلك شيئاً.. ولكنه واثق.. وكفى.

وتحكي لنا السيرة النبوية أنه عندما كان رسول الله مهاجراً مطارداً من المشركين وأغروا به سراقة حتى إذا بصر به سائراً في طريقه هو وأبو بكر رضي الله عنه وعرف رسول الله مقصده، وهو تسليمه للكفار والمشركين ويحصل على الجائزة حينئذ قدم رسول الله ﷺ إليه جائزة أكبر، بينما هو لا يملك من حطام الدنيا شيء.. قائلاً : أترضى أن يكون لك سوار كسرى ؟

قالها وهو لا يملك من الأسباب شيئاً.. لكنه الوثوق برسالته وصدقها ونصرة الله له.

وهذا الصدق في القول إن صحبه صدق في العاطفة والعمل والسلوك وصدق النية وحسن الإخلاص وتمام المراقبة.. تولد ن ذلك حرارة القول والحديث وكان سبيل الوصول إلى أذن المتلقي فيكون الحديث من القلب إلى القلب.

وخلاصة القول :

أنه لا يبلغ الدعاة إلى الله تعالى مرادهم من دعواهم إلا بمقدار ما يحرزون من رصيد **الإخلاص**.. وعدة الصدق فيه..

ومن الصفات اللازمة للبلاغ.. **صفة العلم**.. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * * * *

الفصل الثاني:
ثقافة الداعية.. والمعرفة الدعوية

وهذا العنصر أساسي لابد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة لتساؤلاتهم وحلولاً لمشكلاتهم..

إضافة إلى ذلك فالعلم هو ألزم ما في عدة الداعية التي يعلم بها أحكام الشرع ومقاصدهم ويرشدهم ويبصرهم بحقائق الواقع.. فالعلم هو السراج، والمصباح المنير للعقل.

وبهذا الزاد العلمي يكون الداعية قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات ومتقناً في العرض ومبدعاً في التوعية والتوجيه، ومن خلاله يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ويفهم مقاصد الشريعة ومحاسنها ويحسن عرضها ونشرها.

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه.. ولابد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي [1] والخوص في غمار الدعوة وميادينها فيما علم للداعي به ترتب عليه آثار.. إذ العلم لا يأتي إلا بعد العلم كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]. فبدأ بالعلم وثنى بالعمل.

لأن العامل على غير علم كالسالك على غير طريق.. والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين [2]، وكمال قال الحسن البصري "فاطلبوا العلم طلباً لا يضر العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم"..

وكما في حديث **معاذ بن جبل** رضي الله عنه : " **العلم : إمام العمل. والعمل تابعه** ".

وكما جاء في كتاب أدب الدنيا والدين : " العلم والد والعمل مولود.. والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وارتحل.. ومن تمام العلم استماله.. ومن تمام العمل استقلاله.. فمن استعمل علمه لا يخل من رشاد.. ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد ".

(1) مفتاح دار السعادة؛ لابن القيم 1/(154).
(2) نفس المرجع السابق؛ (1/ 130)، وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (1/ 33).

فالعلم عصمة والجهل فتنة.. وأن درة الفتن لا تتم إلا بالعودة الرشيدة إلى نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم مناهج السلف.. واختيار أقرب أقوال علماء الأمة إلى دلالة نصوص الشرع وطبيعة الواقع وكل ذلك يكبر بدراسة العلم..

فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق ومواضع السلوك فيقصدها سائراً فيها يجتسب أسباب الهلاك ومواطن العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصلة.. **فقوته العلمية** كنز عظيم بيده يمشي به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة (1)..

ولعلّ من أكبر فتن العاملين للإسلام في جعل الدعوة في هذه الأيام مسارعة البعض منهم في مناقشة ربما هي تقصم ظهور الرجال قبل بلوغ العلم الكافي ولا المعرفة الكافية.. والخطير أن هؤلاء في مجال العقيدة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الإخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة قائمة تقتفي آثارهم ويقتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم...»** إلخ الحديث.

ولهذا كان تقديم العلم واجباً، فهو الذي يهدي إلى صالح العمل، كما أنه يهدي إلى الإيمان أيضاً، بل هو دليل الإيمان، كما أرشد إلى ذلك القرآن حين يأتي (بالفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب في الآية 54 من سورة الحج.. ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤].

ولأن العلم **يسبق الإيمان والعمل** كان أول ما نزل من القرآن: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

ومن أبرز تعاليم الإسلام الحث على طلب العلم، فهو فريضة إسلامية على كل مسلم

---

(1) انظر: أصول الدعوة للدكتور زيدان، ص 135.

ومسلمة، كما في الأحاديث الشريفة..: **«اطلبوا العلـــم ولـــو في الصـــين»** (ضـعيف)، **«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»**، **«وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»** [1].

وفي سبيل العلم كانت رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر عند مجمع البحرين..

ولله در الشاعر القائل :

تعلم فليس المــرء يولــد عالمــاً ::: وليس أخو علم كمن هو جاهـــل

بل إنه سلاح النصر، فمن يملك العلم يملك القوة كما يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

فتعلموا فــالعلم مفتــاح العــلا ::: لم يبــق بابــاً للســعادة مغلقــاً

ثم استمدوا منــه كــل قــواكم ::: إن القــوي بكــل أرض يتقــى

والناس بذلك أحد رجلين : " إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالم يطلب المزيد" [2]..

وفي الأثر : العالم والمتعلم شريكان في الخير، ولا خير في الناس..

وينسب لعليّ بن أبي طالب هذه الأبيات:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهمــوا ::: على الهدى لمــن اســتهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحســنه ::: والجاهلون لأهل العلــم أعــداء

ففز بعلم تعش حيــا بــه أبــداً ::: الناس موتى وأهل العلــم أحيــاء

قال أبو الأسود : ليس شيء أعز من العلم.. الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

وقد أثر عن الإمام عليّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه قولــه : " العلـم خـير مـن المـال.. العلم يحرسك وأنت تحرس المال.. والعلم حاكم والمال محكوم عليه.. والمال تنقصـه النفقـة والعلم يزيد بالإنفاق "..

وفي الحديث : **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله لــه طريقاً إلى الجنة»** [3].

---

(1) صحيح الجامع الصغير (6297.

(2) رواه ابن ماجه.

(3) رواه مسلم وأبو داوود..

وإذا كان العلم حياة النفوس وسلم الرقي وطريق المجد، فلابد أن تكتنفه الأخلاق، فمثلاً النهي عنا لمنكر وهو أحد شقي الدعوة يقول العلماء : العلم قبل الإنكار والحلم عند الإنكار والصبر بعد الإنكار.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ::: فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وفي ذلك يقول الدكتور محمود عمارة [1] :

إن العلم لا يكفي لتكوين داعية والمعرفة وحدها لا تصنع داعية، كذلك لقد قال رسول الله ﷺ : **«أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»**.

إن العلم إذا لم يستند إلى خلق يحميه من نزوات النفس وطغيا الشهوات ويصونه عن الدنايا وسفاسف الأمور يصلح كارثة حين يوجه لغايات آثمة أو يستغل في مآرب خبيثة.

ومن هنا يجب تنمية الإحساس بأن الداعية صاحب رسالة هي امتداد لرسالات النبوة ومسئوليتها لذلك مسئولية ضخمة شرط أولي يجب أن نحرص على التمكين في فلسفة إعداد الدعاة.

ويقول الشاعر في ذلك :

لا تحسبن العلم ينفع وحده ::: ما لم يتوج ربه بخلاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه ::: كان مطية الإخفاق

إن الالتزام الديني بالإسلام فكراً وسلوكاً في كل صغيرة وكبيرة مما يجب تمكينه متأصلاً في أنفس الدعاة.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي:

" ومن الخطورة أن نقدم للناس دعاة يقولون ما لا يفعلون أو يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أو ينهون عن المنكر ولا يتناهون عنه [2] ".

---

(1) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية؛ د. محمود عمارة، ص 61، 62.
(2) انظر: مشكلات الدعوة؛ د. محمد حسين الذهبي؛ ص 27، 28.

العلم المفروض طلبه :

منه ما هو فرض عين..

ومنه ما هو فرض كفاية..

يقول الدكتور / يوسف القرضاوي [1] في ذلك :

" **والذي أراه هنا** أن بعض أقوال العلماء خلطت بين العلم المفروض طلبه على كل مسلم ومسلمة.. وهو ما يسمى (فرض العين) وبين العلم المفروض (فرض كفاية)..

فعلم التفسير والحديث وأصول الفقه وعلوم العربية بل وعلم الطب الذي هو علم الأبدان مقدم على علم الأديان..

هذه العلوم لابد منها على مستوى الأمة لا على مستوى الأفراد فهي من فروض الكفاية وفروض الكفاية هي : ما لا تستغني عنها الأمة في مجموعها ولابد أن يقوم عدد كاف من أبناء الأمة يسد الثغرة ويلبي الحاجة وإلا أثمت الأمة كلها..

إن فاقد الشيء لا يعطيه ومن ثم فالداعية الجاهل أو نصف المتعلم لا يستطيع أن يعلم غيره كما يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ::: هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ::: كيما يصح به وأنت سقيم

العلوم المطلوبة بالنسبة للداعية :

العلم المطلوب بالنسبة للداعية يتعدد :

فهو أن العلم بالدعوة العلم بأصول هذا الدين وفروضه وأحكامه..

والعلم بمصادر هذا الدين من قرآن وسنة وكيفية تفهمها.

وما يتفرغ عن هذا المصادر ويستخدمنها : الإجماع والقياس والمصلحة.. الخ.

(1) انظر: تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة؛ للدكتور يوسف القرضاوي ص 188، 189.

وهو ما يعرف باسم علم أصول الفقه.. وهذا اللون من العلم لازم ولا يكتف يدعو إلى ما لا يعلم؟

والعلم ثانياً بأحوال المدعوين : العلم بعقلياتهم وعقائدهم وظروفهم وبيئاتهم، فذلك يمكنه من حسن الاختيار لما يناسبهم وما يعالج أدواءهم..

وكان كل نبيّ يعرف ظروف قومه فيدعوهم بعد التوحيد إلى ترك ما يغضب الله.. ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]. فذلك أجدى أن يجمع بين فقه الواقع ملامساً للظروف العامة والخاصة للناس محيطاً بمشكلاتهم.. مسترشداً بما فعله الأنبياء.

فهذا هو نبي الله هود يقول لقومه : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ – ١٣٥].

وهذا صالح يقول لقومه : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ ﴾

[الشعراء: ١٤٦ – ١٥٠].

وهذا لوط يقول لقومه : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦].

وشعيب يقول لقومه : ﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨١ – ١٨٣].

وهكذا يلزم معرفة ظروف المدعوين وأدواتهم تماماً.. فالداعي طبيب الناس، والطبيب لابد أن يفحص أولاً ليحدد الداء قبل أن يصف الداء..

إلى جانب الوعي بثقافة الجمهور المخاطبين وطبقاتهم وبيئاتهم ومراكزهم الاجتماعية

كما في قوه ﷺ : **«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننـزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»**.

ومن العلم المطلوب عدة للداعية : العلم بالتيارات الفكرية المختلفة..

ففي عصرنا، عصر العولمة، صارت التيارات الفكرية العالمية تتحكم في العالم وتتقاسم فيه النفوذ وصار لها من التأثير والأهمية ما يجعل الإلمام بها مهماً لكل داعية لدفع أثرها من النفوس، فالكفر يسبق الإيمان.. والتخلية تسبق التحلية.. وهدم الأنقاض يسبق البناء.. قال تعالى :

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾

[البقرة: ٢٥٦].

ثم هو يجب أن **يتعرف بطرق الدعوة ووسائلها وغايتها**.. أي العلم بفن الدعوة الذي له أدواته وتقنياته..

فالدعوة إلى الله فن لا يستطيعه إلا من أتاه الله أسبابه وسعى إليها سعياً حثيثاً، فالأمر إذا كان يقتضي الموهبة والاستعداد أولاً، فيلزمه التدريب أو الممارسة ثانياً والدعوة إلى.. ليست هي الخطابة فقط ولا القدرة على الحديث بألوانه المختلفة فحسب، إنما هي قبل ذلك كله إخلاص والتزام وقدوة ومواقف يقفها الداعية لله انتصاراً للحق وانتصاراً من البغي.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في ذلك : [1]

وقد تبين لي أن الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي :

1- الثقافة الإسلامية. 2- الثقافة التاريخية 3- الثقافية الأدبية واللغوية

4- الثقافة الإنسانية 5- الثقافية العلمية 6- الثقافية الواقعية

ثم يقول : والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل فهذه الثقافات ويهضمها ويكون منها مزيجاً

(1) ثقافة الداعية؛ د. القرضاوي، ص 5.

جديداً طيباً نافعاً أشبه شيء بالنحلة التي تأكل من كل الثمرات سالكة سبل ربها، ذلك لتخـرج منها بعد ذلك شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس كما أن فيه آية لقوم يتفكرون.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

[1] الثقافة الإسلامية

مصطلح الثقافة :

ولعلّ من المناسب هنا قبل الإحاطة بخصائص الثقافة الإسلامية وغايتها وأهدافها التعرف على المعنى الاصطلاحي لكلمة ثقافة التي تعني في معاجم العربية : سرعة الفهم والتأديب والتعليم والتدريب وتقويم المعوج [1]، حيث يتراوح المعنى الاصطلاحي لكلمة ثقافة في الأدبيات الإسلامية المعاصرة من معان ثلاث :

1- أنها جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها [2].

2- الأثر الذي تطبع به المعارف الإسلامية حياة المسلمين في اعتقادهم وتقاليدهم وعاداتهم ومهاراتهم وطرق تفكيرهم ووسائل معيشتهم وسكنهم وتنظيم مؤسساتهم.. الخ [3].

3- المدخل الأكاديمي الذي يعرف طلاب الجامعات بمختلف تخصصاتهم بالأصول العلمية والفكرية والتشريعية للإسلام مع دراسة التيارات الفكرية المعاصرة كالتيارات المعاصرة كالوجودية والعلمانية والشيوعية والمادية بغرض بيان أخطارها على المسلمين وطرق التحصين منها والوقاية من أخطارها [4].

ولا شك أن المعنى الأول للثقافة هو الأساسي للمعنى الثاني الذي هو سلوك المسلمين وطرق تدبيرهم في الحياة وأن المعنى الثالث يلزمه المعنيين الأول والثاني في صورة تخصصية مجزأة للطلاب [5].

---

(1) راجع: لسان العرب؛ لابن منظور، والمعجم الوسيط؛ مادة ثقف، وراجع: نحو ثقافة إسلامية أصيلة؛ للدكتور عمر الأشقر ص 18، 19.

(2) تعريف المجمع اللغوي، راجع دراسات في الثقافة الإسلامية؛ للدكتور محمد عبد السلام وآخرين ص 8، 9.

(3) المرجع السابق؛ ص 17.

(4) مدخل إلى علوم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن الزبيدي؛ العدد الثاني من مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أغسطس 1989، ص 97.

(5) مجلة الضياء، العدد 48، ص 69.

أما الدكتور عبد الحليم عويس فيحبذ تعريف أرنولد لكلمة ثقافة أي : محاولتنا الوصول إلى الكمال البشري الكامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني كما يؤدي إلى رقي البشرية..

ثم يقول : والدين من أهم العناصر التي استعان بها الإنسان في محاولته الوصول إلى الكمال ..[1]

ثم يقول : وهذا لا يتعارض مع أي تعريف نوعي آخر.. بل هي تعريفات يكمل بعضها بعضاً..

بل ولا يتعارض مع ما يراه علماء الاجتماع من أن الثقافة يقصد بها الأنماط الدائمة لتغيير للسلوك الإنساني المكتسب [2]، والفرق بين الثقافة والعلم يتمثل في أن العلم عالمي بطبيعته، ولكن الثقافة خاصة لكل أمة بعينها.

وبذلك يمكن تحديد مصطلح الثقافة ا لإسلامية :

فالثقافة الإسلامية في حقيقتها **هي الصورة الحية للأمة**.. فهي ربانية المصدر، وثابتة، شاملة، متوازنة، إيجابية، مثالية، واقعية.. كل ذلك تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة وتحدد اتجاهها فيه.. إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تريد له الذيوع والانتشار [3].

إنها بإيجاز كما يقول فون هردر : هي دم الوجود؛ أي الدم الذي يجري في شرايين أفراده [4]، فكأن العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية والأخلاق الإسلامية، وما يحيط بها من فكر إسلامي، إنما هي الحياة للأمة الإسلامية.

---

(1) انظر: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة؛ للدكتور عويس عبد الحكيم، ص 10، 11.
(2) انظر: إبراهيم خورشيد؛ مفهوم الثقافة، مجلة الفيصل السعودية، العدد 20.
(3) انظر عمر الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص 13، طبع بيروت.
(4) الحضارة؛ ص 369.

وليس استيعاب مجموع ذلك إلا ما يمكننا أن نسميه بقلب الثقافة الإسلامية وعقلها [1].

فالثقافة الإسلامية هي الشخصية الإسلامية التي تقوم على العقيدة والشريعة والأخلاق المستقاة من مصادر الإسلام الأصيلة : القرآن الكريم والسنة النبوية .

نطاق الثقافة الإسلامية وركائزها :

في ضوء المصطلح المراد فإن نطاق الثقافة ا لإسلامية يشمل :

- العقيدة الإسلامية التي تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وما يتصل بذلك من نظرة الإسلام للإنسان من حيث أصله ومصيره والحكمة في خلقه.. والكون من حيث الأصل والحكمة والنهاية والحياة في شطريها الدنيوي والأخروي [2].
- كما يشمل أيضاً النظام الأخلاقي في الإسلام الذي يبحث في مكارم الأخلاق التي تهدي إلى الفضيلة والخير والحب والفضيلة والتسامح والرحمة والمروءة والمواساة والعدالة والإنصاف والإيثار والوفاء.. الخ.
- تأتي بعد ذلك الأحكام العملية التي يمتد أثرها إلى الظاهر [3].. المتمثلة في العبادات التي تصل بين الإنسان وخالقه من حيث أنواعها وأحكامها وحكمتها وأسرارها.. والمعاملات التي تصل بين الإنسان وأخيه الإنسان، سواء كانت على مستوى التعامل المالي أو الأسري أو الجزائي أو الدستوري أو السياسي.
- كما يشتمل المصطلح أيضاً دراسة الأصول والمصادر التي نستقي منها تلك المعارف وهي : القرآن، والسنة النبوية المطهرة، والعقل الجمعي (الإجماع)، والعقل الفردي المتمثل في المقايسة القائمة على وحدة العلة (القياس)، واستلهام المصلحة المبينة على روح التشريع ومقاصده (المصالح المرسلة)،

(1) ثقافة المسلم؛ ص 12.
(2) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية؛ للدكتور عبد الرحمن الزبيدي، ص 97، وأضواء على الثقافة الإسلامية؛ د. نادية شريف العمري ص 61 - 102.
(3) الشخصية الإسلامية؛ ص 17، طه محمد كسبه.

والاستحسان، وسد الذرائع، أو بناء الأحكام على قاعدة العفو أو البراءة الأصلية (الاستصحاب).

أهداف الثقافة الإسلامية وغاياها :

في هذا العصر الذي نعيشه حالياً حيث يموج بالعديد من التيارات والأفكار التي تكاد أن تفقد المسلم ذاته وهويته فكراً وسلوكاً..

في هذا العصر الذي يسميه البعض عصر البعض (عصر الصراع الأيديولوجي)..

في هذا العصر.. تبدو الثقافة الإسلامية ضرورية بالنسبة للإنسان المسلم.. بيد أنها تمثل للداعية عدته الأساسية اللازمة لرسالته التي يدعو بها إلى الله، وبهذا يكون الداعية على بينة من ربه وتكون دعوته على بصيرة ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبالتالي فالثقافة الإسلامية **هي فكر وهي سلاح الداعية** في هذا الصراع العالمي.. وهي الدرع الواقي والحصن المنيع لما نواجهه من تحديات..

إنها تستطيع تقديم التصور الإسلامي الشامل والنظرات الكلية للحياة من خلال تجربة ا لإسلام الحضارية المتكاملة.

وللثقافة الإسلامية هدف أعلى هو صياغة الإنسان وإعداده وتهيئته لتحقيق معنى الخلافة في الأرض: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ [البقرة: ٣٠].

وبمقتضى تلك الخلافة ينهض الإنسان بإعمار الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، وأن يأخذ مكانه في الحياة شاكراً لله.

هذا هو الهدف الأسمى الذي تسعى الثقافة الإسلامية لتحقيقه؛ وهو سلاح الإنسان في عقيدته وتصوره لتوحيد منطقه، وإصلاح نفسه وتزكية خلقه ليعيش في سلام مع داخله ومع الآخرين، وضبط سلوكه ليجانب الضرر والفساد.

* * * * *

القرآن الكريم وعلومه

فالقرآن هو المصدر الأول للإسلام وبالتالي هو المحور الأساسي للثقافة الإسلامية بما تشمله من عقائد ومفاهيم وعبادات وأخلاق وآداب وسلوكيات وقوانين وشرائع.. الخ..

فهو كتاب الدين كله.. وكتاب الزمن كله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] خالد بخلود الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كما أنه كلام الله المعجز: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وعلوم القرآن :

هي أدوات لفهم كتاب الله وهي بمثابة مدخل لابد منه لدراسة القرآن [1]..

وأول علوم القرآن العملية : علم التلاوة.

وينبغي للداعية أن يحفظ القرآن.. وأن يواظب على تلاوته ليكون أقدر على استحضاره والاستشهاد به في كل مناسبة ممكنة.. فالقرآن ذخيرة لا تنفق ومعين لا ينضب وهو الكنز والوحيد والرصيد الثمين للدعاة التي تمكنه من تأييد فكرته ومنحها نسبة إلهية.

ولتعلم القرآن وحفظه وتعليمه وقراءته فضائل كثيرة :

ففي الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري قوله ﷺ : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»** وقوله عليه الصلاة والسلام : **«مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة.. ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران»**.. (متفق عليه).

وقال عليه الصلاة والسلام : **«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»** (رواه مسلم).

(1) ثقافة الداعية؛ د. القرضاوي، ص 30.

وقال ﷺ : **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»** (رواه أحمد والحاكم).

ويدخل في علم التلاوة :

أ) علم التجويد.

ب) أدب التلاوة والخشوع : فإن وجد بكاء بكى وإلا تباكى عند آيات التهديد والوعيد الشديد.. قال عليه السلام : اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا آسفاً على فقده منه.

وقد أمرنا الله بالأول.. بقوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

وحسن لنا الثاني بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١].

وقد اعتبر علماء التجويد : أن **علم التجويد فرض** على اعتبار أن الإخلال بنطق كلمات القرآن إخلال بالمعنى.. فمثلاً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ففي كلمة (لاَ تُؤَاخِذْنَا) حيث تحتاج الأخيرة إلى مد كاف فلو لم نمدها لنطقنا الكلمة (لاَ تُؤَاخِذْنَ) وعندئذ تصبح النون ساكنة، أي نون النسوة فسيتغير المعنى..

ولذلك كان أول ما يجب أن يتعلمه المسلم أن يتعلم تلاوة كتاب الله..

وأن يتعرف على آداب هذه التلاوة.. وقد ألفت كتب كثيرة ورسائل بعضها مطول والآخر قصير منها على سبيل المثال **في علم التجويد :**

- كتاب هداية المستفيد
- فن الترتيل
- قواعد الترتيل الميسرة : إعداد فتحي الخولي
- فن التجويد

ومنها في آداب التلاوة : البيان للنووي، وكتاب آداب التلاوة في (إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي).

ولا بأس للداعية إن هو أتقن علم التجويد أن يتعرف على علم القراءات، فهي في أحيان

كـثيرة موضـحة للمعنـى، مثـل قـراءة الآيـة في سـورة هـود: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، وفي قراءة أخرى [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

والآية في سورة يس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] حيث قرئت في إحـدى القراءات: [وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرٌّ لَّهَا﴾، والآية في سـورة الحجـرات: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] قرئـت في إحـدى القـراءات [فَتثبتـوا]، وكـمـا في قـراءة الآيـة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبـة: ١٢٨] قرئـت في إحـدى القـراءات [أَنفَسِكُمْ﴾ بفتح السين وكسر الصاد أي من أزكاكم وأطهركم، وقراءة [مَـلِكِ يَـوْمِ الـدِّينِ﴾ قرآها نافع وآخرون على أنها صفة وقرآها حفص وآخرون على أنها اسم فاعل أي [مالـك يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي القاضي المترف في شئون يوما لدين، أما معنى [مَـلِكِ﴾ فهو أعم من معنـى مالك أي من بيده الأمر والنهي ومقاليد كل شيء ما ظهر منها ومـا خفـي، وكـلا المعنـيين لائق بالله تعالى وهما مدح الله عز وجل.

غير أن علم القراءات لا يجب على الكل إتقانه..

إذ هو مجال للبعض أن يتخصص فيـه، حيـث يـرى العلمـاء أنـه فـرض كفايـة؛ إذ بمعرفـة القراءات يمكن ترجيح بعض الوجوه المختلفة على بعض.. لكن ما نؤكد عليه خاصة إمـام المسجد القراءة الصحيحة للقرآن كتاب الله.

والقراءة الصحيحة هي التي توفرت فيها ثلاث شروط :

- النقل المتواتر عن رسول الله ﷺ إمام الـدعاة، أي صـحة السـند الـذي يؤكـد سمـاع القراءة عن النبي ﷺ.
- موافقة الرسم العثماني للمصحف ولو احتمالاً وبخاصة في الوقف.
- انطباق القراءة على وجه من أوجه اللغة العربية.

فإذا اختل شرط من هذه الشروط كانت القراءة غير صحيحة.

وما ورد عن كيفية قراءة القرآن كما كان يقرأه رسول الله ﷺ..

سئل أنس رضي الله عنه قراءة النبي ﷺ فقال : **«كان يمد مداً إذا قرأ بســم الله الــرحمن الرحيم يمد باسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم»**.. (صحيح البخاري).

ويمكن التعرف على علوم القرآن من بعض الكتب القديمة والحديثة..

فمن كتب القدماء :

- البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي.
- والإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي.

ومن الكتب الحديثة :

- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني.
- ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح. ومثله للشيخ مناع القطان
- وكثير غيرها مما ألف لطلاب الكليات الإسلامية..

هذا وقد نشأ منذ عصر الصحابة خمسة علوم قرآنية أساسية هي :

1- علم الناسخ والمنسوخ

2- علم أسباب النزول وأمكنة النزول

3- علم غريب القرآن

4- الرسم العثماني للمصحف

5- علم التفسير

[1] **علم الناسخ والمنسوخ :**

فقد كان سبب وجوده (أسلوب التدرج في بعض الأحكام) حتى استقرت.

وهناك أشياء حجبت ثم أبيحت لحكمة.. وهناك قضايا اقتضتها ظروف خاصة ثم استقر الحكم فيها على شيء آخر مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٦]. وليس هذا من باب البداء كما في عرف الشيعة والروافض بل واليهود، حيث يرونهما شيئاً واحداً، ولا يفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما كاملاً إلا بمعرفة هذا العلم.. بل إنه بدون معرفة هذا العلم والإلمام بمضمونه يبقى الإنسان معرضاً للخطأ.

مر ابن عباس رضي الله عنهما بقاض، فقال لـه : أتدري ما الناسخ والمنسـوخ؟ قـال: لا.. قال لـه : هلكت وأهلكت.

وقيل دخل عليّ رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يخوف الناس فقال : ما هذا؟ قالوا: رجل يذكر الناس.. فقال: ليس برجل يـذكر النـاس ولكنـه رجـل يقـول: أنـا فـلان ابـن فـلان فاعرفوني فأرسل إليه.. فقال: أتعرف الناسخ والمنسـوخ؟ فقـال: لا.. فقـال: فـاخرج مـن مسجدنا ولا تذكر فيه.

ومعرفة الناسخ والمنسوخ ضرورية للداعية لئلا يثبت المنفي وينفي المثبت..

ومن أقرب التصانيف في هذا العلم التي جمعـت الآيـات المنسـوخة في كتـب خاصـة يمكـن للداعية الرجوع إليها :

- كتاب الناسخ والمنسوخ للنيسابوري
- كاب الناسخ والمنسوخ لابن حزم
- كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس
- كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي بكر بن العربي
- كتاب الناسخ والمنسوخ لمكي بن أبي طالب

هذا وقد يكون نسخ القرآن بالسـنة وحجـتهم بـأن آيـة التحـريم بعشـر رضـعات نسـخت بالسنة، كما يجوز نسخ السنة بالقرآن كتحريم مباشرة النساء في رمضان ليلاً ونسخ بالقرآن: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

[2] علم أسباب النزول وأمكنة النزول :

وهو علم يبحث عن نزول سورة ومكانها ووقتها فمن القرآن ما هو نهاري ومنه ما هو ليل، ومنه ما هو صيفي وما نزل في الشتاء، ذلك القرآن قد نزل منجماً خلال فترة ثلاث وعشرين سنة تقريباً، نزل بعضه بمكة، ونزل بالمدينة، وبعضه نزل في أماكن خاصة معينة.. وبعض القرآن حضري وبعضه سفري:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

حيث نزل كما اتفق العلماء مراعاة لمقتضى الحال، وهذا وجه من وجوه إعجازه ومراعاة مقتضى الحال في القرآن الكريم لها دائرتان [1] :

الأولى : حين نزوله :

فلبعض آياته أسباب نزلت عندها.. وقد انقضت ودراسة القرآن في سياق ملابسات نزوله ومعرفة حوادث السيرة التي رافقت النزول يد على أنه قد وافق مقتضى الحال آنذاك وحقق الغاية التي أنزله الله تعالى من أجلها فمثلاً قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] وهو يقتضى عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الإجماع ولا يعلم ذلك إلا بأن نزولها كان في فترة السفر.

والصحابة الذين رافقوا هذه الفترة كانوا يستوعبون هذا استيعاباً تاماً حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري : **«والله الذي لا إله إلا هو ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت.. ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت.. ولا أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»**.

والثانية : ما بعد عصر النزول إلى قيام الساعة..

فعلى كل مسلم أن يقرأ القرآن وكأنه يتنزل الآن من السماء لأنه خطاب إلهي لكل البشر على مختلف بيئاتهم وهذا ما حققه القرآن أيضاً على طريقته الخاصة.

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب..

وعلى الداعية أن يتعرف على أسباب النزول ليعرف المراد من ذلك وما يتعلق بها من تخصيص أو تعميم.

ومن المراجع التي نرشحها في هذا العلم للإلمام بأبوابه :

- كتاب أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري وهو أشهر ما صنف فيه، وقد اختصره برهان الدين الجعبرى، فحذف أسانيده ولم يزد عليه

(1) انظر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويتية؛ العدد 59، ص 23.

شيئاً.

- كتاب لباب المنقول في أسباب النزول للإمام جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ، ولابن الجوزى البغدادى وللحافظ ابن حجر العسقلانى.

[3] **أما علم غريب القرآن :**

فترجع أهمية هذا العلم حالياً عظيمة حيث ابتعد الناس عن الإحاطة باللغة العربية، ومن هنا استشعر بعضهم غرابة بعض ألفاظ القرآن عليهم، مما حدا ببعض العلماء على أن يكتبوا بخصوص هذا المعنى كتباً حول غريب، مثل أبو داوود السجستاني (202-275هـ).. ومثل: كلمات القرآن تفسير وبيان لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

وقد أحسنت بعض المطابع المتولية طبع المصحف الشريف حين وضعتها على هامش المصحف المطبوع.

[4] **أما الرسم العثماني للمصحف :**

فإنه علم ضروري لأنه هو الصيغة التي كتب بها الصحابة المصحف مراعين في ذلك شروطاً كثيرة منها أن يستوعب هذا الرسم الأحرف السبعة بما يتفق منها ولغة قريش.

ومعرفة قراءة القرآن على الرسم العثماني ضرورية في حق كل قارئ.. وأما كتابة القرآن بها في معرفة ذلك فرض كفاية..

[5] **علم تفسير القرآن :**

وعلم التفسير هو أشرف العلوم على الإطلاق؛ إذ يشرف الشيء بشرف متعلقه، ومتعلق التفسير كلام الله عز وجل المنزّل على رسوله ﷺ لهداية الخلق أجمعين فيه سعادة الدارين والنجاة من الأمرين.

والغرض من التفسير معرفة النظم القرآني من حيث هو دين يرشد العالم إلى ماهية سعادتهم في حياتهم الدنيوية ومستقبلهم الأخروي وللحصول على قوة استنباط الأحكام

الشرعية على وجه الصحة [1].

عرفه الزركشي بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه [2].

وعرفه بعضهم بأنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية [3].

والبعض يعرفه بأنه : علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها [4].

وهذا التعريف مشتملاً على أقاسم القرآن التسع التي نظمها بعض شعراء الفقهاء في قوله :

إلا إنما القرآن تسعة أحرف ::: سأكتبها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكمة متشابه ::: بشير نذير يرقصه عظة مثل

وهناك فرق بين التفسير والتأويل :

قال الماتوريدي : التفسير؛ القطع على أن المراد هذا والشهادة على الله أنه عني باللفظ.. هذا فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عليه..

والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله [5].

وقال بعضهم : التفسير يتعلق بالرواية.. والتأويل ما يتعلق بالدراية [6]..

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعانى والجمل.

---

(1) انظر: نموذج من الأعمال الخيرية: محمد منير عبده أخا الدمشقي، ص 297.
(2) انظر: الإتقان؛ جـ 2، ص 174.
(3) انظر: منهج الفرقان، جـ 2 ص 6.
(4) انظر: الإتقان جـ 2، ص 174.
(5) نفس المرجع؛ ص 173.
(6) نفس المرجع؛ ص 173.

وقال أبو طالب الثعلبى: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد.

مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] وتفسيره من الرصد منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله سبحانه، والتأويل الكثرة باعتبار المعنى.

ويرى الدكتور الذهبي أن النسبة بين التفسير والتأويل هي التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، ويقول وقد نبه إلى هذا الرأي العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره [1].

وقد تنوعت التفاسير بتنوع أغراض المفسرين.. فبعض المفسرين فسروا القرآن لغوياً وبلاغياً.. ولا يخفى علينا أن بعض ألفاظ القرآن جاءت بلغات غير عربية الأصلي، أي بلغات أعجمية مثل آدم - أباريق - توراة - جهنم - إستبرق - سرادق - طاغوت - فرعون - فردوس - مشكاة - هاروت وماروت - منسأة فيسورة سبأ، مثل اليم بمنى النهر في سورة القصص، وغيرها.. لكن هذه المفردات لها جذور لغوية في اللغة العربية.. كما أنها أصبحت عربية باستعمال العرب لها قبل عصر نزول القرآن، وفيه ورود القرآن بها لا يخرج القرآن عن كونه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

ومن المفسرين من شغل نفسه بإعراب كلمات القرآن كالزجاج النحوي والنسفي.. وبعضهم من قصد تفسير وتوضيح آيات الأحكام.. ومنهم من قصد فهم إشارات القرآن حتى أصبح بين أيدي المسلمين آلاف التفاسير منها المختصر ومنها المطول، ومنها الواضح الرمزي، على أن أياً من أصحاب هذه التفاسير لم يخل تفسيره للقرآن من ثقافة عصره الذي تزامن فيه.. وكل مفسّر فسّر القرآن بما وصل إليه علمه.

والمشكلة أن ثقافة عصر من العصور قد تكون فيها أخطاء، فإذا ما حمل القرآن عليها وأخذ هذا الحمل طابع الاعتقاد تكون النتائج تحميل القرآن هذا الخطأ وهو لا يحمله..

ومن هؤلاء المفسرين ما يذهب **مذهب الرواية ويسمّى التفسير بالمأثور**، ومنها ما ينحو نحو

(1) انظر: التفسير والمفسرون؛ للدكتور الذهبي، ص 22.

الدراية، **ويسمى التفسير بالرأي**، ولكل منهما خصائصه ومميزاته وعيوبه، فما يغلب على كتب التفسير المأثور وجود الإسرائيليات فيها، وكذلك الموضوع والضعيف من الروايات..

ومما يغلب على كتب التفسير بالرأي غلبة الطابع الشخصي أو المذهبي أو الزمني على مؤلفها، وقد ورد النهي عنه في حديث: **«من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطا ومن فسر القرآن برأيه فأخطأ فقد كفر»**.

أما الروايات الإسرائيلية [1] فإنما تذكر في تفاسير الصحابة للاستشهاد لا للاعتقاد **وهى على ثلاثة أقسام :**

الأول : ما علمنا صحته مما في أيدينا مما يشهد له بالصدق، فلك صحيح.

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من ذاك فلا يؤمن به ولا نكذبه.

ويجوز حكايته وغالب ذلك مما لا فائدة تعود إلى أمر ديني كأسماء أهل الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي الشجر كانت.. وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك.

وأفضل التفاسير ما فسر القرآن بالقرآن.. فبالقرآن يفسر بعضه ولا يتناقض وذلك الآية إلى نظائرها مع سائر الآيات ذات الموضوع، فإذا لم يوجد فلنتجه إلى السنة لفهم الآية[2].

أو التفسير بالسنة الصحيحة ولا تناقض مع ذلك، ولا مع بعضها بما ي ذلك أقوال الصحابة.. فهم أدرى وفهم الصحابة إذا اجتمعوا حجة، ومنهم من فسر القرآن مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعليّ بن أبي طالب وأبي بن كعب.

(1) انظر: إسرائيليات في التفسير؛ للدكتور الذهبي، وأيضاً التفسير والمفسرون؛ للذهبي ص 178، جـ1. وهو حالياً ملحق شهرى يصدر مع مجلة الأزهر الغراء بتوجيه من الدكتور رجب البيومى.

(2) تكوين الخطيب الرشيد د. محمد عبد العاطي، ص 54.

وقد ذكر السيوطي في خطبة كتابه طبقات المفسرين أن المفسرين أنواع :

الأول : المفسرون من السلف الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

الثاني : المفسرون من المحدثين وهم الذين صنفوا التفاسير مسندة موردين فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد.

الثالث : بقية المفسرين من علماء السنة الذين ضموا إلى التفاسير التأويل والكلام على معاني القرآن وأحكامه وإعرابه وغير ذلك.

الرابع : من صنف تفسيراً من المبتدعة كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم والذي لا يستحق أن يسمى بالمفسرين، ومما اتفق عليه العلماء أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحيّ له حكم المرفوع إذا مما يرجع إلى أسباب النزول وكل ما ليس للرأي فيه مجال.. وما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال.

أما ما يكون للرأي فيه مجال فهذا موقوف عليه ماذا لم يسنده إلى النبي ﷺ وما حكم عليه بالوقوف تختلف فيه أنظار العلماء..

وقد اتخذ التفسير في مرحلة الصحابة شكل الحديث وما عدا هذا فليس معصوماً..

ورسالة الدكتوراه التي نال بها الدكتور محمد حسين الذهبي إجازته العلمية في موضوع (التفسير والمفسرون) وهي جديرة أن تضمها مكتبة الدعاة أو قل مكتبات كليات الدعوة ومعاهد إعداد الدعاة على كافة مستوياتها:

- **تفسير ابن جرير** : وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى 310هـ وعدد أجزائه ثلاثون جزءاً :

  - قال عنه الإمام النووي : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثله.
  - وقال عنه الإمام السيوطي : هو من أجلّ التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوق بلك تفاسير الأقدمين.
  - وقال عنه ابن تيمية في فتاواه : وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير

الطبري فإنه يذكر بمقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقـل عـن المتهمين كمقاتل بن سليمان..

وقد أخذ زبده ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774هـ.

- **تفسير ابن عطيـــة القـــديم** : وهـو أبـو محمـد عبـد الله بـن عطيـة الدمشـقي المتوفى سنة 383هـ.

- **تفسير الإمام الغزالي** حجة الإسلام المتوفى سنة 505هـ واسمه ياقوت التأويـل في تفسير التنزيل في 40 مجلداً.

- **تفسير البغوي** : المتوفى 516هـ والمسمى بمعالم التنزيل، وهو كتاب متوسط نقـل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

- **تفسير النسقي** : المسمى بالتيسير في علم التفسير، وهو نجم الـدين أبـو حفـص عمر بن محمد النسقي، المتوفى بسمرقند سنة 537هـ.

- **تفسير الزمخشري** : المسمى تفسير الكشـاف عـن حقـائق التنزيـل، للإمـام أبـي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى 538هـ.. قال عنه صاحبه:

إن التفاسير في الدنيا بـــلا عـــدد ::: وليس فيها لعمري مثـــل كشـــافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ::: فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

- **تفسير ابن عطية المتأخر** : المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ وهو الإمام أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن عطية، المتوفى سنة 542هـ، وقد أثنـى عليـه أبـو حيان وقيل كتاب ابن عطية أقل وأجمع وأخلص وكتاب الزمخشري ألخص وأعوض.

- **تفسير ابن العربي** : أبو بكر محمد بن بـد الله بـن أحمـد بـن العربـي الأندلسـي، والمتوفى سنة 543هـ.

- **تفسير البيهقي** : وهو أبو المحاسن مسعود بن عليّ البيهقي، المتوفى سنة 544هـ.

- **تفسير الخوارزمي** : وهو عليّ بن محمد الخوارزمي، المتوفى سنة 560هـ.

- **تفسر الرازي** : المسمى بمفاتيح الغيب، وهو الإمام فخر الـدين محمـد بـن عمـر

الرازي، المتوفى سنة 606هـ.

- **تفسير ابن العربي** : وهو الشيخ محيي الدين محمد بن عليّ الطائيّ الأندلسيّ، المتوفى سنة 628ه.

- **تفسير النسفي** : المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، وهو الإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي، المتوفى سنة 701هـ، وهذا التفسير حازت القبول لدى الأزهر المعمور ودرس أعواماً وخاصةً في المرحلة الثانوية.

- **تفسير الخازن** : المسمى باللباب في معاني النزيل؛ وهو الشيخ علاء الدين عليّ بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، وهو ملخص معالم التنزيل للبغوي، لكنه يعاب عليه ما فيه من قصص وإسرائيليات.

- **تفسير ابن كثير** : وهو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة 774هـ، وهذا التفسير من أفيد كتب التفسير بالرواية، لأنه يتكلم في أسانيد الرواة جرحاً وتعديلاً غالباً وأشهر في العناية بما رويّ عن مفسري السلف الصالح، وبيان معاني الآيات القرآنية واستنباط الأحكام منها..

ومن مزاياه أنه يتحاشى ما أطال به الكثيرون من مباحث إعرابية ونكت من فنون البلاغة أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يحتاج إليها فهم القرآن ولا التفقه فيه، ولا للألفاظ، ولكن يهتم بتفسير القرآن بالقرآن، فهو يأتي بالآيات المتناسبة في المعنى لتفسير غيرها، ويسرد بعد ذلك الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، وبيان ما يصح دليلاً ويحتج به منها وما لا يحتج به منها، ويليهما آثار الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف أهل العقيدة الصحيحة والعلم اليقين، ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالإجمال مع بيانه لبعض منكرات بالتعيين.

- **تفسير السيوطي** : للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى سنة 911هـ، المسمى بالدر المنثور في التفسير بالمأثور، وهذا التفسير مختصر من تفسير كبير للمؤلف أسماه (ترجمان القرآن)، كما قال ذلك المؤلف في أول تفسيره، وهو ا لتفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، كما أن له مع جلال الدين محمد بن

أحمد بن محمد المحلي وتفسير مصغر يسمى تفسير الجلالين.

- **تفسير الألوسي** : المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ للعلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن السيد عبد الله الألوسي، المتوفى سنة 1270هـ، قال عنه د/ الذهبي وهو من أشد التفاسير نقداً للإسرائيليات.

- **تفسير المنار** : للسيد محمد رشيد بن السيد علي رضا، حيث أكمل ما بدأه أستاذه الشيخ محمد عبده، وطريقته في التفسير أن يجمع بين صحيح المأثور المنقول وصريح المعقول الذي يبين حكم التشريع وسنن الله في الكون والإنسان ولم يستبيح لنفسه أن يحشو تفسيره بإسرائيليات من أسفار التوراة [1].

- **تفسير البيضاوي** : المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي الإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة 685هـ.

- **أحكام القرآن** لأبي بكر أحمد بن الحصاص، متوفى سنة 370هـ.

- **تفسير أبي السعود** محمد بن محمد العبادي.

- **فتح القدير الجامع بين دفتي الرواية والدراية** من علم التفسير للعلامة عليّ بن محمد الشوكاني، المتوفى بصناء 1250هـ وهو خمسة أجزاء.

- **تفسير القرطبي:** المسمى الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة ورأي الفرقان، لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي الأندلسي، أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وقد توفي سنة 671هـ رحمه الله ورضي عنه.

- **تفسير القاسمي:** وهو العلامة السيد محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، المتوفى سنة 1332هـ، وهو في خمسة مجلدات.

وأرى أن نستفيد هنا بخبرة علمائنا المختصين كالدكتور الذهبي، حيث يرشح لنا في

(1) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث؛ للدكتور الذهبي، سلسلة البحوث الإسلامية يصدرها مجموع البحوث الإسلامية بالأزهر، ص 254.

هذا المجال كتب التفسير الآتية : [1]

1- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.

2- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي.

3- الكشف والبيان عن تفسير القرآن؛ لأبي إسحاق الثعلبي.

4- معالم التنزيل؛ لأبي محمد الحسين البغوي.

5- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لابن عطية الأندلسي.

6- تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير.

7- الجواهر الحسان في تفسر القرآن؛ لعبد الرحمن الثعالبي.

8- الدر المنثور في التفسير المأثور؛ جلال الدين السيوطي.

ومن تفاسير المحدثين :

فإن الدكتور يوسف القرضاوي [2] يرشح لنا تفسير القاسمي، وتفسير المنار، وتفسير ابن عاشور، وتفسير ابن باديس، وفي ظلال القرآن، والتفسير الحديث لدوزه، وتفسير الأجزاء العشرة الأولى للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق، وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده.

ونضيف إلى هذه القائمة : صفوة التفاسير، والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، وتفسير الشعراوي، وتفسير المنير. لوهبة الزميلي، وتفسير المراغي.

ومع تطور علم التفسير نشأت الدراسات القرآنية المحددة ذات الموضوع الواحد قديماً وحديثاً، الأمر الذي توسعت به المكتبة القرآنية حتى إنك لا تجد شيئاً صغيراً أو كبيراً مما له علاقة بالقرآن إلا وقد ألفت فيه الكتب المفردة والمطولة والمختصرة [3] وخاصة إعراب القرآن، وبلاغة القرآن والمجالات الشتى لإعجاز القرآن، وأحكام القرآن والإيجاز في القرآن، ومتشابه القرآن، والسيرة من القرآن، والقرآن والعلم الحديث، والقرآن والطب

(1) انظر: التفسير والمفسرون؛ للدكتور الذهبي جـ 1 ص 201.
(2) انظر: الدكتور يوسف القرضاوي؛ ثقافة الداعية ص32.
(3) انظر جند الله؛ سعيد حوى، ص 77.

الحديث، والقرآن واليهود، وأخلاق القرآن، ومحكم القرآن.

ومن أشهر ما نرشحه للدعاة ويثري المكتبة الإسلامية في موضوع : بنو إسرائيل في القرآن الكريم دراسة لنيل إجازة العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر الشريف للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر، ومثل تفسير آيات الأحكام للشيخ علي السايس.

وهناك كتب حاولت أن تجمع الحديث عن كثير مما له علاقة في القرآن وعلومه مثل : الاتفاق في علوم القرآن للسيوطي، والرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني.. ومن الأهمية في هذا المجال الاطلاع على قواعد التفسير لابن تيمية ومقدمة في التفسير له.

أما علم إعراب القرآن: وهو فرع من فروع علم التفسير على ما ف مفتاح السعادة ولكنه في الحقيقة هو من علم النحو كما ذكر السيوطى في الإتقان.

وهذا النوع أفرده بالتصنيف جماعة منهم:

الشيخ الإمام مكى بن أبى طالب حموش المتوفى سنة 437 هـ - وأبو الحسن على بن إبراهيم الحوقى النحوى المتوفى سنة 562 هـ وكتابه أوضحها وهو في عشر مجلدات - وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى 616 هـ - وكتابه أشهرها وسماه البيان - وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسى المتوفى سنة 742 هـ - وكتابه أحسن منه وهو في مجلدات سماه المجيد فى إعراب القرآن المجيد.

وممن صنف في إعراب القرآن من القدماء الإمام أو حاتم سهل بن محمد السجستانى المتوفى سمة 248 هـ - وأبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان المالكى القرطبى المتوفى سنة 239 هـ - وأبو العباس محمد بن بريد المعروف بالمبرد النحوى المتوفى سنة 286 هـ .

* * * * *

(ب) السنة الشريف المطهرة.. وعلومها

علم الحديث والسنة هو أشرف العلوم على الإطلاق؛ إذ به تبين الكتاب الحكيم المنزل من رب غفور رحيم بواسطة أمين الوحيّ جبريل على سيد الأنبياء والرسل المحفوظ بالعصمة من رب البرية ألا وهو سيدنا محمد ﷺ.

وعلم الحديث والسنة هو ما شرعه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ وسنه لأمته، وهو النجاة لمن تمسك به والعصمة لمن التجأ إليه وعوّل عليه.. وأهله هم حفاظ الشريعة وحراسها لمن يريد العبث بها، ولولاهم لذهب الدين واضمحل وكان عرضة للتغير والتبديل في كل زمان ومحل.. وهم عدول هذه الأمة على الإطلاق والكاشفون عنها الران والحجب على الإطلاق، وخلفا النبي ﷺ في وراثة رسالته وتبليغها، وهم خيرة الأمة والمزيلون عنها كل مدلهمة.. وترجع أهمية السنة للداعية باعتبارها المرجع الثاني لهم بعد القرآن الكريم.

بركة السنة :

يقول الشاعر :

أهل الحديث طويلة أعمارهم ::: ووجوهم بدعا النبي منضرة
وسمعت من بعض المشايخ أنهم ::: وأرزاقهم أيضاً به مستكثرة

وأهل السنة هم أقرب الناس منزلة يوم القيام من خير الشفعاء :

دين النبي محمد أخبار ::: نعم المطية الفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله ::: فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى ::: والشمس بازغة لها أنوار

والسنة هي المفصلة لما أجمل في القرآن.. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ذهب العلماء إلى تقسيم علم الحديث إلى نوعين : دراية ورواية.

عرف الأول برسمين : مختصر ومطول؛ فالأول علم يعرف به أحوال الراوي والمروي من حيث القول والرد.

والثاني؛ **علم بقوانين يعرف بها** أحوال المسند والمتن من صحة وحسن وضعيف ورفع ووقف وقطع وعلو ونزول.. وكيفية الحمل والأداء وصفات الرجال وقد ونظمه الجلال السيوطي في ألفيته فقال :

علم الحواديث ذو قوانين تجد ::: يدري بها أحوال متن وسند
فذاك الموضوع والمقصود ::: أن يعرف المتبول والمردود

والمعنى أن هذا العلم : (معايير النقد للسند والمتن) أو (علم الحديث دراية ورواية) أنه عبارة عن قواعد وضوابط يعرف بها بيان صحيح الحديث من ضعيف.. وحال الراوي والمروي عدلاً ضابطاً متوفرة فيه الشروط فيقبل خبرة ويحتج به، وإذا كان غير ذلك فترد روايته ولا يحتج بها بخبرة.. ومن ذلك لزم الإلمام بعلوم الحديث مثل :

- **علم أسباب ورود الحديث وأزمنته وأمكنته:** وقد ذكره أبو الخير وفيه مصنفات كثيرة لا تحصى.
- **علم مصطلح الحديث** : وهو يهتم بالأسماء والمسميات وأسباب الضعف ومواصفات صحة الحديث [1].
- **علم أسماء رجال الحديث** : ويهتم بتاريخ الرواة من حيث مولدهم ووفاتهم وموطنهم ورحلاتهم وتلامذتهم لنستبين من ذلك اتصال الإسناد أو عدم الاتصال.

  فإذا كان الحديث سند ومتن فإن السند عبارة عن الرواة فمعرفة أحوالها علم الحديث كما صرح بذلك العراقى في شرح الألفية.
- **علم نقد وسند ومتن الحديث:** ويسمى بأصول الحديث وهو علم يبحث فيه عن صحة الحديث وض ليعمل به أو يترك من حيث صفات الرجال وصيغ الأداء.
- **علم الجرح والتعديل** [2] : علم ميزان الرجال وهو علم يبحث في الرواة من حيث ما ورد بشأنهم من تعديل يزينهم أو تجريح يشينهم، حيث يوضع كل راوٍ في درجة معينة من حيث العدالة والضبط : وقد وضع العلماء للتعديل خمس درجات أعلاها

(1) انظر السنة ومقارنتها في التشريع الإسلامي رسالة دكتوراه للدكتور مصطفى السباعي ص 126.
(2) نفس المرجع السابق؛ ص 129.

أثبت الناس وأوثق الناس وأدناها مرتبة الصدق، ووضعوا للجرح والتعديل اثنى عشر درجة أدناها مختلق وكذاب ووضعوا كل راوٍ في درجة معينة من هذه الدرجة.

- **علم التخريج** : ويهتم بغزو الحديث إلى موضوعه من المصادر المعتبرة في الحديث.
- **وعلم دراسة الأسانيد** : والحكم على الحديث ويهتم بتطبيق القواعد والضوابط والموازين ليحكم على الحديث بالصحة أو بالضعف.. ولم يغفل علماء الحديث النظر في المتن وما يجب أن يبرأ منه المتن من علامات ضعفه أو وضعه.

فإلى جانب ذلك فهناك علوم أخرى للحديث منها :

- **علم علل الحديث:** والعلل سبب غامض فادح في الحديث مع أن الظاهرة السلامة منه.
- **علم مختلف الحديث** : ويهتم برفع التناقض فيما ظاهر التناقض بين الحديث وأول من تكلم فى هذه الإمام الشافعى المتوفى 204 هـ.
- **وعلم شرح الحديث** : وتحليله تحليلياً أو موضوعياً ويهتم بشرح المفردات والأفكار واستنباط الأحكام أو جمع أحاديث الموضوعين معاً.
- **وعلم مناهج المحدثين** : ويهتم ببيان مناهج كل مؤلف حديث.. وما يحتويه كل كتاب من الموضوع.
- **علم غريب الحديث:** ويعنى ببيان معانى الكلمات الغامضة البعيدة عن الفهم[1].

وعموماً فإن هذا البحر الزاخر من العلوم لا يسبح فيه إلا هو متخصص، ونقصد من هذا تدقيق الداعية الشديد والاعتناء البالغ فيما يذكره من الأحاديث النبوية المطهرة.

- **تعريف السنة :**

تعني كل ما أثر عن الرسول ﷺ من أقوال أو أفعال أو تقرير أو تقرير أو سيرة أو حلق أو شمائل أو أخبار. وعلى هذا يسمى كل حديث خبراً ولا عكس.

---

(1) أبجد العلوم للقنوجى ص 387.

فهناك احتمال ألا تكون هذه الأحاديث صحيحة وقد تكون موضوعة أو مكذوبة أو ضعيفة، وقد اهتمت جماعة أنصار السنة المحمدية لبيان حقيقة الأحاديث وخاصة المشهورة وخاصة في مجلة التوحيد التي تصدرها عنها شهرياً.

وعلى الداعي أن يأخذ في موضوع خطبته أو حديثه أو درسه أو محاضرته أو غير ذلك من وسائل دعوية الحديث الصحيح أولاً متى وجد بمراتبه المعروفة الصحيح لذاته أو الصحيح لغيره أو الحسن لذاته أو الحسن لغيره.. وأما الحديث الضعيف فلا يؤخذ به، وأما قولهم أن الحديث الضعيف يؤخذ في فضائل الأعمال، فهذا قول مردود فمتى وجد الصحيح كان فيه غناء عن الضعيف.

علامات الحديث الموضوع : وهي كثيرة أهمها :

- أن يكون الحديث ركيكاً لا يعقل أن يصدر عن النبي ﷺ ولم الذي أُوتي جوامع الكلم، قال الربيع بن خيثم : " إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه وظلمة كظلمة الليل تنكره ".
- أن يكون الحديث مخالفاً للعقل دون إمكان تأويله أي فساد معناه.
- أن يكون الحديث خبراً عن أمر جسيم تتوافر الدواعي على تلك بمحضر الجمع ثم لا ينقله منهم إلا واحد.. ومخالفة لما جاء في الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي.
- الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير أو الوعد الصغير على الفعل الحقير، وهذا من عمل القصاصين.
- قال السيوطي : وكون الراوي رافضياً والحديث في أهل البيت كقولهم عن أن مسجد الإمام عليّ بالكوفة به عصا موسى وسفينة نوح وأن النبي ﷺ طاف به في رحلة الإسراء والمعراج عندما نبهه إلى ذلك جبريل..
- مخالفته للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها.
- صدور الحديث من راوٍ تأييداً لمذهبه وهو متعصب فقال فيه مثل من قال القرآن مخلوق فقد كفر.

- **والحديث المرفوع**: هو ما أضيف إلى رسول الله عليه السلام من أقوال وأفعال أو تقرير أو صفة سواء كان متصلاً أو منقطعاً أو مرسلاً.
- **والحديث المتصل**: هو ما اتصل سنده مرفوعاً أو موقوفاً.
- **أما الحديث المرسل**: هو رواية التابعى عن النى ﷺ.
- **الحديث الموقوف**: هو ما أضيف إلى الصحابى ووقف عنده ولم يرتفع إلى رسول الله ﷺ.
- **الحديث المسند**: هو الحديث الذى لا يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحسن.
- **الحديث المقطوع**: وهو ما وقف على التابعى قولاً وفعلاً.
- **الحديث المنقطع**: هو ما سقط من إسناده راو أو أكثر في المسند وهو من أنواع الحديث الضعيف وقد يكون مرفوعاً أو موقوفاً.
- **الحديث الضعيف**: هو الحديث الذى لا يجمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحسن.
- **الأحاديث الموضوعة**: وهى الأحاديث المكذوبة عن النبى ﷺ أو هو الحديث الذى صنعه بعض الناس ونسبه إلى النبى ﷺ.
- **أما الحديث الصحيح** : هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه وسلم من الشذوذ والعلّة القادحة [1].
- **الحديث الحسن** : ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذي يقبله أكثر العلماء.
- **الحديث السقيم** : وهو المعيوب شرها الموضوع ثم المقلوب، أعني ما قلب إسناده ثم المجهول.

---

(1) انظر: كتاب السنة؛ للدكتور عبد الله شحاته من سلسلة كتاب اليوم، وانظر الباعث الحثيث ص 21.

ومن أشهر الكتب المصنفة في الحديث :

أ) صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 256هـ والمسمى الجامع المسند الصحيح، وهو أول كتاب صنف في الحديث الصحيح فقط، وقد جمع فيه البخاريّ (9082) حديثاً [1] اختارها من بين ستمائة ألف حديث، حيث بذل في تصنيفه ستة عشر سنة حتى تم له تصنيفه على النحو الذي بأيدينا.

وصفه العلماء بأنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم كما يقول الإمام النووي.

وقال فيه ابن عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني :

صحيح البخاري لو أنصفوه ::: لما خط إلا بماء الذهب
أسانيد مثل نجوم السماء ::: أمام متون كمثل الشهب
به مقام ميزان دين النبي ::: ودان له العجم بعد العرب

ب) صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، المتوفى سنة 261هـ، وهو ثاني كتاب صنف بعد صحيح البخاري، وقد صنفه الإمام مسلم من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة واستغرق في تهذيبه وتنقيحه خمس عشرة سنة وقال : " ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة "..

وقال : "ليس كل شيء عنده صحيح وضعته هنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه؛ يرد ما جده عنده فيها شرائط الصحيح المجمع " [2].

وعدة أحاديث صحيح مسلم دون المكررات (3030) حديثاً ويبلغ مجموع ما فيه من طرق الأحاديث المختلفة، نحو عشرة آلاف حديث، أما المكرر فاختلف فيه فقيل 7275 حديثاً وقيل 8-12 ألف حديث.

وقد ورد في شرح ألفية الحديث لزين الدين العراقي :

أول من صنف في الحديث ::: محمد خص بالترجيح
ومسلم بعد وبعض أهل الغرب مع ::: أبي على فضلوا ذا الواقع

---

(1) انظر: مقدمة فتح الباري؛ ص 465 - 470.
(2) انظر: تدريب الراوي؛ ص 45.

ومما لا شك فيه أن لكل من الصحيحين مميزات خاصة لا توجد في الآخر..

ويقول د/ عبد الله شحاته وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى نقد تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم، وخالف ذلك طائفة من علماء المغرب [1].

وأما ألطف ما قاله الحافظ عبد الرحمن بن عليّ بن الديع :

تنازع قوم في البخاري ومسلم ::: لديّ وقالوا أي زين يقدم
فقلت لقد فاق البخاريّ صحة ::: كما فاق في حسن الصناعة مسلم

ولبعضهم في ذلك :

قالوا لمسلم فضل ::: قلت البخاري جلاً
قالوا البخاري يكرر ::: قلت المكرر أحلى

مراتب الصحيح بالنسبة للصحيحين :

وإن كان كل ما ورد في الصحيحين صحيحه إلا أن علماء الحديث ذهبوا إلى بيان هذه المراتب كما :

– **المرتبة الأولى :** صحيح أخرجه البخاري ومسلم جميعاً.. وهذا ما يقول فيه أهل الحديث (متفق عليه) وقد صنف في ذلك اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان.

– **المرتبة الثانية :** صحيح انفرد به مسلم عن البخاري ويلي هذه المراتب:

1- الصحيح الذي على شرطيهما ولم يخرجاه

2- الصحيح الذي على شرط البخاري ولم يخرجه

3- الصحيح الذي على شرط مسلم ولم يخرجه

4- ما كان صحيحاً عن غيرهما وليس على شرط منهما

يقول د. عبد الله شحاته : والحق أنه لم يفت الصحيحين وكتب السنن إلا اليسير [2].

وهذا اليسير في كتب السنة والمسانيد.. وفي المصنفات المختصة بجمع الصحيح فقط

(1) السنة، ص 46.
(2) انظر: كتاب السنة؛ د. عبد الله شحاته، ص 47.

الصحيح ابن خزيمه (ت311هـ) وصحيح ابن حيان (354هـ)، وكتاب المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ).

ومن كتب السنن :

1- سنن أبي داوود : وقد صنف أبو داود سننه على أبواب الفقه واقتصر فيها على السنن والأحكام وقد ضمن في كتابه القصص والمواعظ والأخبار والزهد وفضائل وغيرها.

وكان قد جمع خمسمائة ألف حديث انتخب منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنها كتابه وعدة ما فيه بالمكرر (5274) حديثاً.

وقد بين أبي داوود منهجه في كتابه فقال: ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه وما كان فيه وهن شديد بينته.

2- سنن الترمذي : للإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن سوره المتوفى سنة 279هـ؛ وهو ثالث الكتب الستة الصحيحة وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً، وقد يعرف باسم (جامع الترمذي)، ويتساهل فيه البعض فيطلق عليه اسم (الجامع الصحيح) [1].

وقد قيل فيه :

كتاب الترمذي رياض علم	:::	**حكت أزهاره زهر النجوم**
به الآثار واضحة أبيت	:::	**بألقاب أُتِمت كالرسوم**
فأعلاها الصحاح وقد أنارت	:::	**نجوماً للخصوص وللعموم**
ومن حسن يليها أو غريب	:::	**وقد بان الصحيح من السقيم**

فقد أخرج الترمذي في كتابه الصحيح والحسن والضعيف والغريب.. كما أنه جمع بين المصطلحات جمعاً لم يسبق إليه في قوله (صحيح وحسن، وصحيح غريب)، وغير هذا.. وقد ألف الترمذي على أبواب الفقه وغيره.

3- سنن النسائي : للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة 303هـ، وقد صنفه النسائي نحو خمسة عشر مؤلفاً، جلها في الحديث وعلومه،

(1) انظر: الباعث الحثيث؛ لابن كثير، ص 22.

وأشهرها كتاب السنن، ويمسى كتابه هذه (السنن الكبرى)، وقد قدمه إلى أمير الرملة فقال له : أكل ما فيها صحيح؟ قال: فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما.. فقال له: فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً فاستخلص من السنن الكبرى (السنن الصغرى) وسماه المجتبى.

والسنن الصغرى أقل السنن حديثاً ضعيفاً وهي التي بين أيدينا اليوم وهي التي يعتمد عليها المحدثون عن النسائي.

وعدة أحاديث السنن الصغرى (5761) حديثاً.. وبالجملة فكتاب السنن للنسائي أقل الكتب بعد الصحيحين ضعيفاً ورجلاً مجروحاً، وهي برتبة سنن أبو داوود أو قريباً منها، لما عرف النسائي من شدة التحري ولهذا كان كتاب النسائي ثاني السنن الأربعة.

4- **سنن ابن ماجه** : للإمام أبو عبد الله بن يزيد بن ماجه القزويني الحافظ؛ المتوفى سنة 273هـ، وابن ماجة لقب أبيه وقد صنف كتابه السنن على أبواب الفقه كما هو الشأن في صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنسائي والترمذي، ولم يلتزم فيه إخراج الصحيح فقط، فجمع كتابه بين الصحيح والحسن والضعيف والواهي، لذلك لم يدخل كثير من العلماء كتابه في الكتب السنة قبل القرن السادس، كان أول من ضمه إلى الكتب الخمسة : أبو الفضل محمد طاهر المقدسي (ت507هـ) في كتابه أطراف الكتب السنة وتبعه على ذلك أهل العلم من بعده.. لكن غالب المتأخرين على أنه سادس الستة.

وجملة أحاديث هذا الكتاب 4341 حديثاً منها (3002) أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم وباقي الأحاديث وعددها (1329) حديثاً وهي الزائد على ما جاء فيه الكتب الخمسة.

ومن كتب المسانيد :

1- **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**؛ المتوفى سنة 241هـ انتخب أحاديثه الأربعين ألفاً من 750 ألف حديث سلك فيه مصنفه مسلكاً يغير مسالك المصنفين فقد رتب كتابه على أسماء الصحابة الذين بلغ عددهم في مسنده نحو سبعمائة رجل

ومن النساء مائة ونيف أي بجملة نحو ثمانمائة من الصحابة.. مرتبة حسب الحروف الأبجدية.

وأحاديث المسند تدور بين الصحيح والحسن والضعيف، إلا أن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن ولا يعدو أصابع اليد، ويقول ابن الجوزي إن به 38 حديثاً ظهرت له سمة الوضع على زعمه.

2- مسند الدارميّ : للإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد؛ ص 208 هـ.

3- مسند أبي بكر الرازيّ : المتوفى بالرملة 292هـ، قيل له مسندان؛ الكبير المسمى بالبحر الزاخر بين فيه الصحيح من غيره، وله الصغير.

4- مسند أبي يعلي الموصليّ : والمتوفى سنة 307هـ قيل له مسندان صغير وكبير.

وإذا كانت الكتب الصحاح الستة قد رتبت أحاديثها على حسب أبواب الفقه كما رأينا.. ومسند الإمام أحمد قد رتب حسب أسماء الصحابة، فهناك طريقة ثالثة في تأليف السنة ما يسمى بالموطأ أي أن العالم بالحديث والحافظ للآثار يجمع ديواناً ومؤلفاً في ذلك ويوطئه للناس، فيواطئون عليه أي يوافقون.

قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني الأصبهاني : قلت لأبي حام الرازي: موطأ مالك بن أنس لمرسمي موطأ فقال : شيء قد صنفه ووطأه للناس حتى قيل : موطأ مالك كما قبل جامع سفيان.

5- موطأ مالك : (مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث)؛ المتوفى سنة 179هـ.

وسبب تأليفه كما قال الإمام الشافعي الذي يعتبر موطأ مالك أصح كتب السنن حتى عن البخاري.. بعث أبو جعفر المنصور إلى مالك لما قدم المدينة فقال له :

إن الناس قد اختلفوا في العراق فضع للناس كتاباً تجمعهم عليه فوضع الموطأ.

قال جلال السيوطي في (تزيين المماليك بمناقب الإمام مالك) جملة في الموطأ من الآثار عن النبي ﷺ عن الصحابة والتابعين (1720) حديثاً والموقوف (613) ومن التابعين (235).

وقال ابن حزم في كتاب (مراتب الديانة) : أحصيت ما في الموطأ فوجدت فيه من المسند خمسمائة ونيفاً وفيه ثلاثمائة ونيفاً مرسل وفيه نيفاً وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها.. وفيه أحاديث ضعيفة وهو الذي انتهى إلينا من مسند موطأ مالك.

وقال أبو القاسم بن عساكر بلغ رواة الموطأ عن مالك إحدى وعشرين رجلاً ونظمها في أبيات أولها :

رواة موطأ مالك إن عددهم ::: فعشرون عدا الضابطون واحد

وقال الحافظ ابن ناصر الدين : فتتبعت زيادة على ما ذكر فوقع لي ثمانية وخمسون سواهم من الرواة فبلغوا تسعة وسبعين ثم نظمهم في أبيات :

ومن علماء الحديث ما رتب مصنفه بحسب شيوخ الملف على حروف العجم وما روعي عنه من الأحاديث كالمعجم الأوسط والصغير للطبراني.. وكما رأينا يسمى معجم ومثل معجم الحاكم ومعجم المنذري ومعجم الذهبي ومعجم الحافظ ابن حجر.

ومن أشهر الكتب التي جمعت أمهات كتاب الحديث أو مختارات منها أو زيادات عليها مثل :

- **مجمع الزوائد للهيثمي** : جمع فيه زوائد مسانيد الإمام أحمد والبزار وأبو يعلي ومعاجم الطبراني الثلاثة وهو مطبوع في عشرة أجزاء.. جمع فيه الكتب الأصول في الحديث.. وهي الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي وسنن الترمذي لكن لم يضم إليها سنن ابن ماجه، وقال بعض العلماء لو كان مسند الدرامي مكان الموطأ، واكتفى بذكر الصحابيّ راوي الحديث.. وصنف هذه الأحاديث على أبواب الفقه تقريباً وصنف هذه الأبواب على أبواب المعجم.
- **جمع الجوامع** : لجلال الدين السيوطيّ؛ فجمع منها مائة حديث ومات قبل أن يتم تصنيفه، لكن له الجامع الصغير في أحاديث البشير وكان يقول : أكثر ما يوجد على وجه الأرض من الأحاديث النبوية والفعلية مئتا ألف حديث وهي التي جمعت من كتب ألفت في عصور مختلفة.
- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد : للعلامة محمد بن سليمان؛ ت بدمشق

سنة 1094هـ، جمع فيه بين كتابي ابن الأثير والهيثمي وأضاف إليهما زوائد الدرامي وابن ماجه، فبلغ أكثر من عشرة آلاف حديث.

- **كتاب الجامع للأصول** : للشيخ المعار منصور بن عليّ ناصف؛ جمع فيه الأصول الخمسة صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وحذف الأسانيد.
- **ومن معاجم الحديث** : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لبعض المستشرقين ومفتاح كنوز السنة وقد عربه محمد فؤاد عبد الباقي.
- **جامع المسانيد للخوارزمي.**

وقد اصطلح العلماء على تقسيم كتب الحديث بالنسبة إلى الصحة والحسن والضعيف إلى طبقات أربع:

- **الطبقة الأولى** : تنحصر في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك بن أنس وفيها من أقسام الحديث المتواتر والصحيح الأحاديث والحسن.
- **الطبقة الثانية** : وفيها جامع الترمذي وسنن أبي داوود ومسند أحمد بن حنبل ومجتبى النسائي.. وقد تساهل أصحابها فيما اشترطوه على أنفسهم وتلقاها من بعدهم بالقبول وإن كانت لا تخلو من الضعف.. وهاتين الطبقتين يستنبط منها العلماء أصول العقيدة والشريعة.
- **الطبقة الثالثة** : الضعيف من شاذ ومنكر ومضطرب كمصنف عبد الرزاق وكتب الطبراني والبيهقي.. وهذه الطبقة لا يستطيع الاعتماد عليها والاستمداد منها إلا جهابذة المحدثين المتخصصين في الحديث وعلومه.
- **الطبقات الرابعة** : مصنفات هزيلة جمعت من أفواه القصاصين والوعاظ المتصوفة وأصحاب البدع والأهوال، وهذه يجب ألا يعول عليها أحد.

كما أن لبعض هذه الكتب الصحاح مختصرات يمكن أن تكفي لمن لم تسعفه الهمة والوقت بالرجوع إلى الأصول ذاتها :

- مثل التجريد الصريح للزبيدي وهو مختصر البخاري حذف منه المكررات والمعلقات والأسانيد.
- ومختصر صحيح مسلم للمنذري بتحقيق الألباني.

والى جانب ذلك فتوجد هناك كتب الشروح وهي جدنا فيه ولا يستغنى عنه داعية كما يقول د. القرضاوي: ففيها من الفوائد الحديثة والفقهية والأصولية واللغوية والأدبية والتاريخية والأخلاقية، فهي مفاتيح لمن أراد أن يفتح مغاليق ما أشكل من الأحاديث أو بدا تعارضه في الظاهر..

ولا يسع أي عالم أن يعرض عن هذه الثروة ويبدأ وحده من جديد، فهذا مناف لمنطق العلم ومنقط العقل ومنطق التاريخ [1].

ومن هذه الكتب :

أ- **شرح البخاري** : مثل عمدة القاري للعيني، وإرشاد الساري للقسطلاني، وفتح الباري في شرح البخاري لابن حجر، وهو الذي قال فيه الشوكاني : لا هجرة بعد الفتح، والكواكب الدراراي في شرح البخاري للكرماتي.

ب- **شرح مسلم وأهمها** : شرح النووي وشرح الأبي والسنوسي والمنهاج لابن حجاج وفتح الملهم للدبوبندي.

ج- **شرح أبي داوود** : مثل معالم السنن للخطابي.. وتهذيب السنن لابن القيم، وعيون المعبود للديناوي وبذل المجهود للسهارنفوري والمنهل العذب المورود لمحمود خطاب السبكي، ولو أنه لم يكمله.

د- **شرح مسند الإمام أحمد** : مثل القول المسدود لابن حجر.

هـ- **شروح الترمذي** : مثل عارضة الأخوذي لابن العربي، وتحفة الأخوذي للمباركوري.

و- **شروح موطأ مالك** : مثل المنتقى لابن الوليد المباجي، وتنوير الهوالك لجلال

(1) انظر: ثقافة الداعية؛ ص 46.

الدين السيوطي، والمسوى للدهلوي، وأوجز المسالك لمحمد زكريا الكاند هلوي.

ز- **شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي** : في كتابه فيض القدير في ستة مجلدات وقد اختصره في شرح مختصر سماه التيسير، وقد طبع في مجلدين، والسراج المنير للغريزي، وقد طبع في ثلاث مجلدات.

وهناك كتب أخرى متخصصة **هدفها تجميع نوع معين كأحاديث** الأدعية والأذكار والمأثورات مثل كتاب الأذكار للإمام النووي، وكتاب الطيب لابن تيمية.

وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلق بها : مثل :

- كتاب الأدب المفرد للبخاري.
- وكتاب شعب الإيمان للبيهقي.
- وكتاب رياض الصالحين للنووي، وله شرح حسمي دليل الفاتحين، وقد طبع في أربعة مجلدات.
- والأحاديث التي تضمن الترغيب والترهيب للحافظ المنذري وله مختصر.

أولاً : كتب الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية :

- مثل عمدة الأحكام للحافظ المقدسي، وقد شرحه ابن دقيق العيد، ويشمل أحاديث الصحيحين فقط.
- نيل الأوطار للإمام الشوكاني الذي أخذ عنه سيد سابق فقه السنة.
- ومنتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار لابن تيمية وشرحه للشوكاني.
- وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ بن حجر.
- وسبل السلام للصنعاني.
- إلى جانب شرح بلوغ المرام للصنعاني.
- وكتب الشمائل والهدي النبوي مثل الشمائل المحمدية للترمذي، وزاد المعاد لان القيم.

ومن أهم مــا صــنف في مختلــف الحــديث وشــكله ويتنـاول الأحاديـث الـتي ظاهرهـا التعـارض مـن حيـث الجمـع والتوفيـق بينهـا كتـاب تأويـل مختلـف الحـديث للـــدينوي (ت276هـ).

وفي أسباب ورود الحديث : البيان والتعريف لمحمد كمال الدين الحسيني.

أما ما صنف في غريب الحــديث : وتوضـيح مفرداتـه والجمـل الغريبـة في الحـديث فأهمها :

- غريب الحديث لأبي عبيد.
- والفائق في غريب الحديث للزمخشري
- والنهاية في غريب الحديث
- والأثر لابن الأثير
- ومشارق الأنوار للقاضي عياض.

ومن أهم المصادر والمراجع التي صنفت في أصول الحديث وعلومه ومصطلحه :

- كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأفكار للصافي.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزارزي.
- وأصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب.
- المدرسة الفقهية للمحدثين للدكتور عبد المجيد محمود
- علوم الحديث لابن الصلاح

- الجرح والتعديل لابن حاتم الرازي.

وهنا كتب عامة في السنة للرد على شبهات حول السنة والتعريف بها وبيـــان الحاجة إليها مثل :

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، ونـال بهـا درجـة الدكتوراه في الحديث من الأزهر الشريف.
- الحديث والمحدثون للدكتور محمد محمد أبو زهو.
- ظلمات أبي رية لمحمد عبد الرازق حمزة.
- والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب.
- أبو هريرة راوية الإسلام لمحمد عجاج الخطيب.
- كتاب دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين للدكتور محمد محمد أبو شـهبة طبعـة مجمع البحوث الإسلامية بمصر وفي نفس المجال كتاب الرد على الشـبهات في السـنة للدكتور أحمد عمر هاشم طبع وزارة الأوقاف المصرية.

مراتب أهل الحديث:

وأرى قبل أن نختم حديثنا عن علـوم الحـديث أن نـذكر مـا قالـه المنـاوى: لأهـل الحـديث مراتب هى:

الطالب: وهو المبتدئ.

ثم **المحدث:** وهو من يتحمل الحديث ويعتنى به رواية ودراية.

ثم **الحافظ:** وهو من حفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً ووعى كل ما يحتاج إليه.

ثم **الحجة:** وهو من أحاط علمه بثلاثمائة حديث.

ثم **الحاكم:** وهو من أحاط علمه جميع الأحاديث المروية متناً وإسناداً وجرحاً وتعـديلاً وتأريخاً.

ثم **أمير المؤمنين في الحديث:** وهو أعلى هذه المراتب.

وكلمة أخيرة أهمس بها في أذن الداعية؛ قال وكيع [1] : " إذا أردت حفظ الحديث فاعمل به.. ولا تكتم شيئاً منه".. وعليه أن يحفظ أكبر قدر من الأحاديث بما فيها من العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والسير وشروحها، فهي من الأهمية بمكان.

* * * * *

(1) انظر: الباعث الحثيث؛ لابن كثير، ص 158.

(ج) علوم العقيدة.. والتوحيد

وعلم التوحيد من أجل العلوم على الإطلاق إذ يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله..

والتوحيد إفراد الله بالخلق ذاتاً وصفة وفعلاً أي ليس لغيره تأثير ما مطلقاً.

ويسمى أيضاً علم الكلام وعلم أصول الدين والعقائد ولكل وجهة.

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية مؤيدة بالأدلة الشرعية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب أهل السنة، ومن هنا تأتي أهمية الإلمام بهذا اللم لكل مسلم عامة، وللداعية خاصة.

ألا ترى أن التوحيد كان أول دعوة للرسل وأول منازل للطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.. قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود عليه السلام لقومه : ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وبالجملة قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فما جاء نبيٌّ من لدن آدم إلى سيدنا محمد ﷺ إلا بهذه الدعوة وهذه الكلمة، وهي التوحيد وهو ما جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وكان عليه السلف ودام عليه الخلف، وهو الإيمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله من الإيمان بملائكته ونبيه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره (أو ما يعرف بالغيبيات).

وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم عقائدهم الحقة ودينهم الصحيح من الرسول ﷺ.. فكان أحدهم إذا قرأ قوله تعالى أو تُلِيَ عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]، فهم منه أن الخالق الذي أوجد السماوات والأرض وما بينهما واحدا لا ثاني له في ملكه يتصرف فيه كيف يشاء.

وإذا سمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] فهم من ذلك أن ربه يتصف بقدرة يقدر بها على كل شيء.. وإذا سمع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] علم أن لله سمعاً وبصراً.. وإذا سمع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ [المائدة: ٩٩] علم أن الله متصف بصفة العلم.. وإذا سمع قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] فهم أن لله صفة الإرادة.. وإذا سمع قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] علم أن الله تبارك وتعالى متصف بصفة الكلام.. وإذا سمع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهم أن لله صفة الحياة.. وكذلك إذا سمع قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. وما شاكل ذلك من الآيات المتشابهة فيها أفعاله وصفه الله بها نفسه اعتقدوا وسلموا بها بدون تأويل أو تحريف أو تعطيل وتصحيف منهم..

وكذلك ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من الأحاديث الصحيحة في البخاري وغيره من النزول والمجيء والمشي والهرولة وغير ذلك يؤمنون به وينزهون الرب من كل ما يماثل ويشابه المخلوق ومصداقاً لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] في النفي والإثبات، فقد أخبر الله في هذه الآية تنزيهه نفسه عن وضرب الأمثال في الصفات والأفعال، وظلوا على ذلك حتى ظهرت الفرق الإسلامية الخوارج والشيعة.. ألخ، كل يدعي أنه على صواب ويملك الحق وغيره لا يملك ذلك وظهر علم الكلام وأول من ألف فيه محمد ابن محمد المعروف بابن الحنفية، كما جاء في مقدمة ابن خلدون الشهيرة وظهر المتكلمون عن الصفات وتقييدها بصور (التجسيد) وهذا ليس من الدين في شيء.

ولا شك أن التوحيد الذي نشأ عليه الإسلام أمر فطري تقبله العقول ولا تعارضه المدارك الصحيحة.

ومن هذا يظهر لك أحقية مذهب السلف الصالح المبني على التمسك بالكتاب والسنة عن ضلالات المذاهب الأخرى مثل فكرة خلق القرآن التي يقال إن بشر المريس هو أول من

زرعها في زمن الرشيد، ولهذا يجب على الدعاة أن يلموا بالشبه التي يوردها الخصوم ويردوا عنها بما يزيل الأستار لتظهر الدسيسة التي تحتها.. وهذا ما دعا كثيراً من علماء المتقدمين إلى الاستدلال على التوحيد بالعقل وحث علماء السنة على لزوم معرفة الأدلة التفصيلية وخاصة للدعاة الذين يجب أ، يواجهوا بها الملحدين، وهؤلاء مكلفون بمعرفة الطرق للدفاع عن الحق واتخاذ الوسائل التي تؤثر على عقلية الخصم حتى يثوب إلى رشده، وهذه الدلائل التفصيلية لازمة وكافية لهذا الفريق لقوة الدفاع والرد على ترهات الملاحدة وشبهاتهم.. وخاصة في زمان العولمة وإعلام القرية الكوكبية الواحدة وتبقى العقيدة زاهية نقية، فإنه وإن قيل الاختلاف في الفقه فهو في الاعتقاد مردود ومادام الأمر كذلك فينبغي أن يحتاط [1].

علم أصول الدين المسمى بالكلام، وقال الأرنيقى: هو علم يقترن معه علم إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبهة عنها، وموضوعه ذات الله تعالى وصفاته.

تعريف العقيدة :

والعقيدة في اللغة : ما اتعقد عليه القلب واستمسك به وتعذر تحويله عن قبوله للإثبات والنفي من غير ترجيح أحدهما.

وفي الاصطلاح : العقيدة من الاعتقاد هوا لإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل.

ومن المعلوم أن جميع الأعمال الصالحة التي يعملها أي إنسان ابتغاء وجه الله تعالى موقوف قبولها عند الله على صحة العقيدة التي يتكلم عنها هذا العلم (علم العقائد)، لأن الانحراف عن العقيدة انحراف عن الإيمان، والانحراف عن الإيمان هو الكفر، والله تعالى لا يقبل من كافر عملاً [2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]. لذلك قال جميع علماء الإسلام أن هذا العلم مفروض تعليمه على الرجل والمرأة وعلى كل مسئول من والد ووالدة ومعلم ووصي

(1) انظر: جند الله؛ سعيد حوى، ص 111.
(2) انظر: تبسيط العقائد؛ حسن أيوب ص 9.

ومرب وأمثالهم أن يهتموا بتنشئة الأطفال على مبادئه على أن يعطي كل حسب قدرته العقلية النفسية فيتدرج في تعليمه [1].

وبدأ فيتعلم أسماء الله الحسنى؛ فمن أحصاها دخل الجنة، ثم يتعلم صفات الذات العلية المتصفة بالكمالات المنزهة عن النقائص وهي :

1- الوجود	وضده	العدم
2- القدم	وضده	الحدوث
3- البقاء	وضده	الفناء
4- قيامه بنفسه	وضده	احتياجه لغيره
5- المخالفة للحوادث	وضدها	المشابهة للحوادث
6- الوحدانية	وضده	التعدد
7- الإرادة	وضدها	الكراهية
8- القدرة	وضدها	العجز
9- الحياة	وضدها	الموت
10- العلم	وضده	الجهل
11- السمع	وضده	الصمم
12- البصر	وضده	العمى
13- الكلام	وضده	البكم

وقد صنف في علم العقائد والتوحيد الكثير من التصانيف منها المطول ومنها الرسائل المختصرة.. **نرشح منها الكتب الآتية لاطلاع الدعاة :**

- لمعة الاعتقاد لابن قدامة
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل الصابوني ت 44هـ
- العقيدة الواسطية لابن تيمية
- نهاية الإقدام لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت 547هـ
- الأسامي للإمام أبي الحسن الأشعري

(1) نفس المرجع السابق؛ ص 10.

- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز وهو شرح لكتاب عقائد الطحاوي لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الملك الأزدي
- شرح العقائد النسفية للتفتازاني
- شرح العقائد لمنصور الطبلاوي
- التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب
- اعتماد الاعتقاد للشيخ حافظ الدين عبد الله بن أحمد أبو البركات النسفي
- عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي
- عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر جابر الجزائري
- رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده
- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني
- تلبيس إبليس لابن الجوزي
- الله جل جلاله لسعيد حوى
- تجريد التوحيد المفيد والنبوات لابن تيمية
- الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب
- الإبانة عن أصول الديانة للشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

ومن الكتب المبسطة التي نرشحها في هذا المجال :

- تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن أيوب.
- متن الجوهرة في علم التوحيد وعقيدة المؤمنين للدكتور طه عبد السلام خضير.
- ومنهاج المسلم للجزائري.

وذلك بخلاف كتب العقيدة للأساتذة المحاضرين في الجامعات مثل أصول العقيدة الإسلامية للدكتور عبدالمقصود عبد الغني.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(د) أصول الفقه

ولعلم أصول الفقه تعريفان :

أولاً : باعتباره مركباً إضافياً مكون من جزئين : مضاف ومضاف إليه؛ كلمة أصول وكلمة فقه..

والأصل **لغوياً** ما ينبني عليه غيره.. أو ما يتفرع عليه غيره أو هو منشأ الشيء.

أما في **الاصطلاح** فيطلق على الدليل ومنه أصول الفقه أي أدلته الشرعية الكلية من حيث أنها كيف تستنبط منها الأحكام الشرعية.

أما معنى كلمة **(فقه لغويا)** أي الفهم مطلقاً، وقيل دقة الفهم والفطنة والفهم والعلم بالشيء، وقيل هو الشق والفتح.

واصطلاحاً فقد عرفه البيضاوي فقال : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

عرفه الشيرازي وإمام الحرمين بأنه **معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد** [1].

ثانياً : باعتباره علم وفن كما عرفه البيضاوي بأنه " معرفة دلائل الفقه إجمالاً وكيفية الاستفادة منها وهو حال المستفيد ".. ويعرفه ابن الحاجب بأنه : العلم بالقواعد التي يتصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية بالنظر والاجتهاد في الأدلة..

ولا خلاف بين علماء الأصول حول الكتاب (القرآن) باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي.. يليه السنة.

أهمية هذا العلم للداعية :

ولابد للداعية من دراسة هذا العلم ليعرف مصادر الأمور ومرادها ويضع كل شيء في

---

(1) انظر: دراسة أصولية في المقدمات والحكم الشرعي؛ للدكتور عبد الحي عزب عبد العال ص 3 - 15، وانظر التعريفات للجرجاني والمفردات للراغب الأصفهاني ص 284.

محله ويلم بالقدر المطلوب فيمكنه من فهم الكتاب والسنة ومواقع الإجماع حتى لا تكون فتواه مخالفة للإجماع.. فإن هذا العلم هو ميزان الفقه ليضبط الفقيه ويمنعه من الخطأ في الاستنباط، وبيه يتبين الاستنباط الصحيح من الاستنباط الخاطئ.

فالظاهرية يقصرون المصادر على ثلاثة : الكتاب والسنة والإجماع، والشافعية يزيدون القياس والاستصحاب، والحنفية يضيفون لتلك الخمسة : الاستحسان والعرف، أما الحنابلة فيضيفون المصالح وسد الذرائع، والمالكية تتعدد لديهم الأدلة فتصل إلى ثلاثة عشرة هي بالترتيب : القرآن – السنة – الإجماع – عمل أهل المدينة – القياس – الاستحسان – المصالح وسد الذرائع – العرف والاستصحاب..

المهم أن يصل الداعية إلى الدليل.

وكتب هذا العلم كثيرة منها القديم والحديث..

فمن الكتب القديمة :

- إرشاد الفحول للشوكاني
- وجمع الجموع والرسالة للشافعي
- المستصفى والمنخول للغزالي وهو شافعي
- ونوادر الأصول للحكيم الترمذي
- الأحكام في أصول الأحكام للآمدي
- وشرح الكوكب المنير للفتوحي
- منتهى السول في علم الأصول للآمدي
- أصول الميزدوي وهو من الحنفية
- والموصول في علم الرازي
- تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي
- والبحر المحيط للزركشي.

ومن الكتب الحديثة :

- كتاب الشيخ أبو زهرة في أصول الفقه
- كتاب الشيخ عبد الوهاب خلاف
- كتاب سلام مدكور
- كتاب الخضري
- كتاب زكريا البرديسي
- المختصر في الأصول للشيخ ابن عثيمين
- الأصول لزكي شعبان
- أصول الفقه للمبتدئين للأشقر

ومن الكتب في تخريج الفروع على الأصول :

- كتاب شهاب الدين محمود الزنجاني
- مفتاح الوصول لأبي عبد الله محمد بن أحمد التلمساني
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنودي
- القواعد والفوائد الأصولة للبعلي
- تأسيس النظر لعبيد الله بن عمر الدبوسي

ومن المناسب أن يقرأ الداعية كتاباً في أصول الفقه (فقه مذهبه) ويطلع أيضاً على بعض الأصول لغير مذهبه.

* * * * *

(هـ) علم الفقه الإسلامي

إن الفقه الإسلامي جزء من الشريعة التي جاءت لخير الإنسان وسعادته في معاشه الدنيوي ومعاده الأخروي، وقد مر الفقه الإسلامي بأربعة أدوار.

1- دور النشأة : ويشمل عصر النبوة وانحصرت مصادره في القرآن (200-500 آية) رداً على التساؤلات (يسألونك أو يستفتونك)، وفي السنة التي تتميز بالتدرج في التشريع، وقد جوز الرسول لمعاذ الاجتهاد وكان للسنة الدور الرئيسي في بيان ما أجل وتقييد ما أطلق وتخصص ما ورد عاماً بالقرآن وغاية هذا الدور 11هـ.

2- دور التأسيس : وتبدأ بوفاة الرسول وينتهي بسقوط الدولة الأموية (132 هـ) ويشمل عصر الخلفاء وفقه الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ويتميز بنشأة مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي بالمدينة في عهد عثمان بن عفان.

3- دور النضج والكمال : وبدأ بقيام الدولة العباسية وينتهي بقفل باب الاجتهاد في أواخر القرن الرابع الهجري ويمثل العصر الذهبي وظهور المذاهب الإسلامية الكبرى.

4- دور التقليد والجمود والتعصب المذهبي : ويبدأ بقفل باب الاجتهاد وينتهي بإلغاء الخلافة العثمانية (1924م).

وقد ذهب جمهور العلماء أنه لا يجب عن المقلد التمذهب بمذهب معين بحيث لا يجوز له الخروج عنه، بل أن يعمل في مسألة بقول أبي حنيفة وفي أخرى بقول مالك أو الشافعي وابن حنبل، واختار هذا الآمدي وابن الحاجب والكمال بن همام والرافعي وغيرهم [1] ونادى الشوكاني بالتفقه بعيداً عن هذه المذاهب الأربعة.

يقول سعيد حوى [2] والواقع أن المذاهب الأربعة التي استقرت عليها الأمة جمعت عشرات المذاهب الأخرى، فهي تمثل أقصى صورة من صور التجميع

(1) المرجع السابق؛ ص 160.
(2) جند الله؛ سعيد حوى، ص 122.

والتوحيد.. ثم هي فيما بينها متفقة على حوالي 70٪ من المسائل وكثير من المسائل الاختلافية كان الخلاف في هل هي سنة أو فريضة أو بينها.. وهكذا فإننا ضد التعصب المذهبي.

ومن هنا فإنا نوصي الداعية أن يقرأ ويحفظ متناً في الفقه مع شرحه على مذهب معتمد مثل : متن بداية المبتدي للقدوري في مذهب الحنفية، أو العمدة أو متن الإقناع في المذهب الحنبلي لابن قدامة، أو المنهاج في الفقه، أو متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، وكتاب تحفة الفقهاء للسمرقندي..

إذ لا مانع من دراسة الفقه على مذهب معين في بداية التحصيل العلمي ثم يتوسع فيقرأ أمثال كتاب (معاني الآثار) وكتاب الزيلعي وفتح القدير في مذهب الحنفية أو كتاب المجموع للنووي في مذهب الشافعية، والمقنع لابن قدامه، أو المهذب للشيرازي، ليحكي اختلاف الفقهاء في المذهب..

ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تبين أدلة الآراء المختلفة في المذهب : كالكافي لابن قدامة في المذهب الحنبلي معاً.. ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تحكي مذاهب السلف والمدارس الفقهية المشهورة وتذكر أدلتهم وما دار بينهم من مناظرات ومحاورات كالمغني لابن قدامة، ومؤلفات ابن المنذر والمحلي لابن حزم وابن تيمية وغير ذلك من مؤلفات أهل الإنصاف الذين لا يتعصبون لمذهب من المذاهب ولا يقصدون إلا الحق وتبني الصواب.. وقد قيل "من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بالفقيه"، كما قيل "من حفظ المتون حاز الفنون" (1).

ولو أن بعض المعاصرين دراسة الاختلافات الفقهية واعتبرها من الأمور التي تطمس معالم الدين الحق (2) والحقيقة أن اختلاف الفقهاء سعة في الشريعة ومرونة في الفقه وثروة فكرية وتشريعية؛ إذ هي وجهات نظر مختلفة ناشئة عن

(1) انظر: تكوين الملكة الفقهية؛ د. محمد عثمان شبير، ص 133 وما بعدها.
(2) انظر: خطيئة المذاهب للدكتور محمد طلبه زايد، ص 20.

اجتهاد في النصوص الظنية، وقد أجمع العلماء على جواز الجدال في الفقه والتناظر فيه، لأنه يحتاج إلى رد الفروع إلى الأصول وتصحيح الأدلة.. أما الجدال في العقيدة فلا يجوز لأنه يؤول إلى الانسلاخ عن الدين.

ومن كتب الفقه الإسلامي :

في الفقه الحنفي :

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع؛ لعلاء الدين أبي بكر مسعود الكاساني، ت 587هـ.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقاق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ت 743هـ بهامشه البحر الرائق وبهامشه حاشية شهاب الدين أحمد الشبلي.
- رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار وهوا لمعروف بحاشية ابن عابدين.
- شرح فتح القدير لكمال الدين بن الهام ت681هـ مع تكملته نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار لقاضي زادة ت988هـ على الهداية شرح بداية المبتدي تأليف المرغناني ت593هـ وبهامشه شرح العناية على الهداية والعناية للبابرتي ت786هـ، وحاشية سعدي جلبي ت945هـ.
- المبسوط؛ لشمس الدين السرخسي.
- الدر الحكام في شرح غرر الأحكام؛ لمحمد بن فراموز الشهير بمنلا خسرو ت885 هـ، وبهامشه حاشية العلامة أبي الخلاص حسن بن عماد بن علي الوفائي الشرتبلالي ت 1069هـ.
- الخراج للإمام أبي يوسف وبهامشه الكتاب الممى بالجامع الصغير في الفقه للإمام ابن الحسن الشيباني، وشرح السيد الكبير؛ لمحمد بن الحسن الشيباني ت189هـ.

في الفقه المالكي :

- المدونة الكبرى لمالك بن أنس الأصبحي ت179هـ رواية سحنون.

- الملتقى شرح الموطأ؛ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ت494هـ.
- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية، لمحمد بن أحمد بن رشد ت 525 هـ.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد المشهور بالحفيد وبفليسوف قرطبة ت 595هـ.
- مواهب الخليل شرح مختصر خليل لمحمد بن عبد الرحمن الخطاب ت954هـ.
- شرح منح الجليل على مختصر خليل محمد عليش ت1299هـ.
- الفروق؛ أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن القرافي 684هـ.
- إدرار الشروق على أنواء الفروق؛ سراج الدين الشاط بأسفل كتال الفروق.
- تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية للشيخ محمد علي حسن مفتي المالكية بمكة شرح الزرقاني : على مختصر خليل، وبهامشه حاشية النباتي.
- شرح الخراشي على مختصر خليل؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي ت 110هـ.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون ت799هـ.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير؛ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، ت1230هـ.
- بلغة السالك لأقرب المسالك؛ أحمد بن الصاوي 1241هـ، حاشية على الشرح الصغير للدردير.
- العقد المنظم للحكام فيما يجري في أيديهم من العقود والأحكام؛ أبو محمد عبد الله بن سلمون الكناني مطبوع بهامش كتاب تبصرة الحكام.
- الذخيرة؛ للعلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي،

ت684هـ.

في الفقه الشافعي :

- الأم؛ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت204هـ، وكذلك لـه الرسالة.
- مختصر المزني، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ت 264هـ.
- المهذب؛ إبراهيم علي بن يوسف الشيرازي، ت476هـ.
- الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي؛ أبو حامد الغزالي، 505 هـ.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام؛ عز الدين عبد السلام؛ ت 660هـ. المجموع شرح المهذب؛ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، ت676هـ.
- شرح منهاج الطالبين؛ جلال الدين المحلي.
- مغني المحتاج إلى شرح المنهاج؛ شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، ت977هـ.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهـاج؛ شمـس الـدين محمـد بـن أبـي العبـاس الرملـي، ت 1004هـ وبهامشه الرشيدي.
- حاشية البجيرمي على شرح المنهاج للبجيرمي ت1221 هـ.
- حاشية على تحفة الطـلاب؛ عبـد الله حجـازي بـن إبـراهيم الشـرقاوي الأزهـري، ت1227هـ.
- إعانة الطالبين حاشية فتح المعين؛ أبو بكر الدمياطي.
- الأحكام السلطانية؛ للماوردي، ت 450هـ.
- حاشية البجوري على شرح ابن قاسم الغزي.

في الفقه الحنبلي :

- المغنى؛ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه، 620هـ، على مختصر الخرقي 334هـ.
- الفتاوى الكبرى؛ شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المشـهور

بابن تيمية؛ ت728هـ.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين؛ أبو عبد اله محمد أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ت751هـ.
- كشف القناع على متن الإقناع؛ منصور بن يونس البهوتي؛ ت105هـ.
- السياسة الشرعية في إصلاح الدعي والدعية لابن تيمية.
- الأحكام السلطانية؛ للقاضي أبي يعلي محمد بن حسين الفراء، ت 458هـ.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية؛ لابن القيم الجوزية.

في الفقه الظاهري :

- المحلى؛ لابن محمد بن حزم، ت456هـ.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الثقافة التاريخية بدراسة السيرة النبوية.. والتاريخ الإسلامي

السيرة النبوية من المصادر الهامة للداعية، لذلك كان من المتعين عليه أن يعني عناية كاملة بالتعرف الكامل على وقائعها وأحداثها، لأنها حياة كاملة للنبي ﷺ الأسوة والقدوة والمثل الأعلى لكل مسلم في كل مناحي الحياة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهي الترجمة الصادقة لحياته ومعاملته لزوجاته وأصحابه في سفره ومقامه وفي حربه وفي سلمه.. **والسيرة هي السنة العملية.**

كما أن السيرة تعين على فهم كثير من آيات القرآن الكريم، فلقد كان القرآن موجهاً للنبي ﷺ ومسدداً له في كثير من تصرفاته الأسرة وغير الأسرية.. كما أن فيها الكثير من قصص الأنبياء التي تستهوي المستمع وتملك لبه.. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

كما أن في دراسة السيرة **تثبيت للإيمان**، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]. فإذا كانت سير الأنبياء تفعل ذلك فكيف بحاجتنا إلى سيرة سيد المرسلين.

إن الإيمان يقتضي محبة رسول الله وكمال متابعته: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] وهذا بالضرورة يستلزم أحواله من شمائل ومغاز وسير.

كما أن السيرة النبوية هي سنة نبوية تؤخذ منها **الأحكام التشريعية والآداب النفسية** والتعاملية مما يستلزم دراستها ودراسة تاريخ الخلفاء الراشدين وأهم أعمالهم وحياة كبار الصحابة الذين رباهم فأحسن تربيتهم ومن التاريخ نأخذ العبرة والعظة..

أما علم التاريخ:

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والقراء وغيرهم ورسولهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك.

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكات التجارب.

وعموماً فقراءة التاريخ العام للأمة الإسلامية من أهم عوامل **تكوين الشخصية**، ومن أهم عوامل شعور الأمة بذاتها وشعور الفرد بالفخر بالانتماء والولاء لله ثم رموزها، فالتاريخ هو ذاكرة الأمة وسجل أحداثها، كما أن التاريخ كثيراً ما يعين على فهم الواقع الماثل وخاصة إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع، فما أشبه اليوم بالبارحة.

ولتحقيق هذه الجوانب كلها نقترح قراءة ما يلي :

- السيرة النبوية لابن هشام.
- السيرة النبوية لابن كثير.
- الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم السهيلي.
- الرحيق المختوم؛ لصفى الدين عبد الرحمن المباركفوري.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ علي بن أبي الكرام بن الأثير.
- الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر العسقلاني.
- حياة الصحابة؛ للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي
- أنساب الأشراف للبلاذري
- الأنساب؛ أبو سعيد عبد الكريم محمد السمعاني
- نور اليقين؛ للخضري
- السيرة النبوية؛ سعيد حوى
- منهاج السيرة النبوية؛ لابن تيمية.
- أعلام النبوة؛ للماوردي
- بدائع السالك في طبائع الممالك؛ أبو عبد الله بن الأزرق

- البداية والنهاية؛ لابن كثير
- المغازي للواقدي المتوفى 468 هـ.
- الكامل في التاريخ؛ لابن الأثير
- القول المبين في سيرة المرسلين؛ د. محمد الطيب النجار
- طبقات ابن سعد الكبرى؛ محمد بن سعد الزهري
- تاريخ ابن خلكان.
- تاريخ الخطيب البغدادى: عشر مجلدات
- تاريخ الحافظ ابن حجر العسقلانى: مجلدان
- تاريخ الحافظ ابن عساكر: 57 مجلدًا
- بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب؛ محمد شكري الألوسي
- تأملات في سيرة الرسول ﷺ؛ د. محمد السيد الوكيل
- تاريخ الإسلام للذهبي، وصنف التاريخ الكبير ثم الأوسط المسمى بالعبر، والصغير المسمى دول الإسلام.
- تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير
- تنظيمات الرسول الإدارة في المدينة؛ صالح أحمد العلي
- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم؛ محمد السيد أحمد يوسف
- جوامع السير؛ لابن حزم، ت 456
- حديث القرآن في غزوات الرسول ﷺ؛ د. محمد بكر آل عابد
- حقوق النبي ﷺ على أمته؛ د. محمد بن خليفة التيمي
- الحكومة الإسلامية؛ أبو الأعلى المودوي
- خاتم النبيين ﷺ؛ للشيخ محمد أبو زهره

- دراسات في السيرة النبوية؛ د. عماد الدين خليل
- الدرر في اختصار المغازي والسير؛ يوسف بن عبد البر
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة؛ للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي
- سفراء الرسول؛ محمد شيت خطاب
- الرسول القائد؛ محمد شيت خطاب
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد؛ محمد بن يوسف الصالحي
- سير أعلام النبلاء؛ للذهبي
- السيرة النبوية؛ للذهبي
- السير والمغازي؛ ابن إسحاق
- السيرة النبوية الصحيحة؛ د. أكرم العمري
- تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى
- السيرة النبوية : دروس وعبر؛ د. مصطفى السباعي
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون؛ علي بن برهان الدين الحلبي
- السيرة النبوية؛ محمد السوباني
- السيرة النبوية : عرض دقيق وتحليل أحداث؛ علي محمد الصلابي
- صحيح السيرة النبوية؛ للطرهوي – محمد رزق
- صحيح السيرة النبوية؛ إبراهيم العليّ
- الصراع مع الصليبيين؛ لأبي فارس
- الصراع مع اليهود؛ لأبي فارس
- صلح الحديبية؛ محمد أحمد باشميل
- غزوة أحد؛ أحمد عز الدين

- غزوة أحد : دراسة دعوية؛ محمد بن مدجج
- فقه السيرة؛ للغزالي
- مجموعة الوثائق السياسية؛ محمد حميد الله
- معجم البلدان؛ ياقوت الحموي
- هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب؛ لأبي بكر الجزائري
- واقعنا المعاصر؛ محمد قطب
- وقفات تربوية مع السيرة النبوية؛ أحمد فريد

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

مصادر الثقافة التحسينية

الثقافة الأدبية.. واللغوية

إن المرء لا يستطيع أن يفهم كتاب الله وسنة رسوله بغير التمكن من اللغة العربية وعلومها؛ فاللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان وصحة الأداء، فضلاً عن أثرها في السامع بل صحة الفهم أيضاً، فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المراد يمجها الطبع وينفر منها السمع [1].

وقديماً قالوا : **النحو للكلام كالملح للطعام لتحسينه** للمذاق بالإضافة لفائدته في تقويم اللسان.

ومن أهم الوقائع والأسباب في وضع هذا العلم نذكر الآتي [2] :

أ – ما أورده ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) قائلاً : سمع أعرابي مؤذناً يقول : أشهد أن محمداً رسول الله (ينصب رسول).. فقال : ويحه يفعل ماذا ؟

ب– ورُويَ أن علياً – رضي الله عنه – سمع أعرابياً يقرأ (لا يأكله إلا الخاطئين) فوضع النحو.

ج– ورُويَ أن أبا الأسود الدؤلي قالت له ابنته : ما أحسنُ السماء، فقال : نجومها قالت : إني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقالت لها : إذن قولي : ما أحسن السماء.. فحينئذ وضع النحو وكان أول من رسم التعجب.. وقيل : إنما وضعه بتوجيه من الإمام عليّ كرم الله وجهه.

ويتميز النحو بظاهرتي : الإعراب؛ وهو تغيير الكلمات لفظاً أو تقديراً.. والبناء؛ وهو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لفظاً وتقديراً..

وذكر النحاة : أن الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال والبناء أصل في الأفعال فرع في الأسماء، أما الحروف فهي مبنية على الأصل فيها ولا يتطرق إليها الإعراب لا أصلاً

---

(1) انظر: ثقافة الداعية؛ للقرضاوي، ص 98.

(2) اللغة العربية بين الفصحى والعامية؛ خالد مفلح عيسى لله ص 23 وما بعدها.

ولا فرعاً.

تلك هي اللغة العربية التي خطب بها الخطباء وشعر بها الشعراء ونزل بها القرآن الكريم.

فينبغي للداعية معرفة علوم اللسان العربي من نحو وصرف وبيان وأدب ليتمكن من فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حق الفهم ومعرفة مقاصد الكتاب والسنة ومعانيهما.. وهي من أهم أسس الثقافة الإسلامية.

يقول ابن تيمية : " **إن تعلم اللغة العربية من الدين وأنه فرض واجب لفهم مقاصد الكتاب والسنة ومراد الشارع من خطابة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** "[1].

وقال ابن خلدون : " ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة "[2].

وينبغي للداعية أن يشرع بدراسة متن من متون النحو كالألفية لابن مالك وشروحها، أو قطر الندى أو شرح ابن عقيل وشرحه.. ثم ينتقل إلى كافية ابن الحاجب وشروحها ومغنى اللبيب وشروحه، حتى تحصل له الملكة في النحو.. وينبغي أن يطلع على مختصر من مختصرات المنطق ليفهم ما يورده مصنفو النحو، ثم ينتقل إلى دراسة الصرف فيحفظ الشامية وشروحها ولامية الأفعال.. ثم بعد ذلك ينتقل إلى دراسة كتب المعاني والبيان والبلاغة ويا حبذا أن يحفظ متناً من المتون وشرحه.. ثم بعد ذلك يطلع على مؤلفات اللغة المشتملة على بيان المفردات كالمصباح المنير والقاموس المحيط ولسان العرب وصحيح الأزهري.. الخ.

قال الشوكاني : " وأن يثبت له من كل فن : النحو والصرف والمعاني والبيان من هذه ملكة يستحضر بها كل ما يحتاج إليه عند وروده عليه والنظر في الدليل نظراً صحيحاً ".

كما أن القراءة في كتب الأدب والاقتباس منها ويختار ما يناسب كل مستمع فيعطي كلاً حسب قدرته، فيخاطب العامة بالأسلوب السهل البسيط الذي يجد مدخلاً إلى قولهم ومداركهم.

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم؛ ابن تيمية، ص 207.
(2) مقدمة ابن خلدون؛ ص 501.

ويخاطب أهل المدارك العالية ما يناسبهم من الأسلوب عملاً بقول الرسول ﷺ : **«أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»**. وفي المثل يقولون : " لكل مقام مقال ".

ومن المهم أن يحفظ الداعية الكثير من الأشعار الدينية وخاصة شعر الرقائق والمواعظ الذي يحث على الفضيلة ويدعو إليها وينفر من الرذيلة ويحذر منها...

ويأخذ الشعر أهميته في نفس الداعية بما لـه من نظم مؤثر وسهولة من الحفظ والاستيعاب تستميل المستمع بقدر ما تصوغ الحكم والأمثال في قوالب جذابة ومركزة تبقى في الذاكرة زبداً، ومن ثم يستمر تأثيرها : إن الكلام إذا حول نظماً : فرح الحزين.. وحرك الرزين.. وقرب من الأمل البعيد [1]..

والشعر جمال كله بإمكانياته، وقد جاء في الحديث: **«إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً»** رواه أحمد وأبو داود وقالت عائشة رضي الله عنها " روماً أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم " وكان ابن عباس وعائشة من أروى الناس للشعر.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(1) انظر: تكوين الخطيب الرشيد؛ د. محمد عبد المعطي، ص 73.

الثقافة العلمية (الكونية)

في عصر تتعاظم فيه قيمة العلم ويوصف بأنه عصر العلم، يعد العلم مدخلاً للإيمان كعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والتشريح؛ تلك العلوم التي تعتمد على الملاحظة والتجربة وتخضع للقياس والاختبار.

وإذا كنا هنا نؤكد على أهمية الثقافة العلمية وخاصة للداعية فلا نطلب منه الغوص في أعماقها والوصول إلى دقائقها وغير مطلوب منه أن يتخصص فيها، لكن المطلوب منه أن يعرف عن كل شيء شيئاً أي معرفة تزيل الجهالة عن جوانب العلم التي تعرف عند علمائها بسنن الله الكونية " ولا يجمل بالداعية أن يعيش في دنيا يسيرها العلم ويدير رجالها ولا يدرك الأوليات والأساسيات لهذا العلم " [1].

وعليه أن يدرك مخاطر نظرية النشوء والارتقاء لداروين التي تقف تشكيكاً في الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، أو الاستنساخ.. الخ.

وليس هذا كل ما في العلم.. فمن الحقائق العلمية ما يمكن للداعية استخدامه في تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه ونصرة قضاياه ودفع شبهات خصومه مثل بدايات الخلق ونشأة الكون وانتهاؤه والبعث والجزاء والرد على حجج وأباطيل المنكرين والملحدين والمشركين والإيمان بأن للكون إلهاً واحداً خالقاً مبدعاً قادراً على كل شيء.

ويشرح عبد الله ناصح علوان الجوانب الأساسية التي يمكن حصادها من ذلك في ثقافة الداعية : فعن طريق العلم يستطيع أن يؤيد كثيراً من الأحكام الشرعية ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح كتحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير واللواط والزنا والمخدرات..

وهناك مجال يدخل العلم ويصول ويجول فيه وهو بيان سبق القرآن والسنة لكثير من الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث مؤخراً، وهو ما يعرف بالإعجاز العلمي فهو مدخل لهداية غير المسلمين وطريق لتثبيت المتشككين، أما ما يدخل في سياق التوافق الدقيق ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فليس هذا من الإعجاز العلمي في الحقيقة وإنما أطلق عليه العلماء

(1) ثقافة الداعية؛ ص 113.

التفسير العلمي وليس الإعجاز العلمي [1]، ويمكن بهذا وتلك تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى البعض مثل أن النحل إنما يتقيأ العسل إذا علمنا أن للنحل معدتان واحدة للطعام والأخر لفرز العسل، ومثل اعتقاد البعض أن حديث الذباب ليس صحيحاً، وقد أثبت العلم صحته وقد بيّنا ذلك في مؤلفنا (الإعجاز العلمي في السيرة النبوية) ص 42 وما بعدها.

إن الداعية الذي يحسن استخدام حقائق العلم في المجالات التي ذكرناها يجد طريقه إلى أهان الناس وعواطفهم سهلاً معبداً ويقع كلامه في نفس المثقفين العصريين موقع القبول وحسن التأثير [2].

ونحن نوصي الداعية بالاطلاع على بعض الكتب التالية والتي تربط بين العلم والإيمان مثل :

1- كتب الكاتب الإسلامي عبد الرزاق نوفل ومنها القرآن والعلم الحديث - الله والعلم والعلم الحديث - المسلمون والعلم وغيرها.

2- كتب الدكتور جمال الفندي ومعظمها طبع بمعرفة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومنها العلم والإيمان ولماذا أنا مؤمن ؟

3- كتب د. مصطفى محمود مثل القرآن محاولة للفهم العصري والدكتور منصور حسب النبي مثل القرآن الكريم والعلم الحديث ووحيد خان مثل الإسلام في عصر العلم.. والإسلام يتحدى - والدكتور كارم غنيم وله العديد من الكتب والمقالات في الإعجاز العلمي في مجلات منبر الإسلام ومنار الإسلام والمجاهد ومقالات د.أحمد فؤاد باشا في مجلة الأزهر - وللعالم التونسي محمد الطاهر عاشور تفسير أحسبه علمياً هو التحرير والتنوير.. وكذلك بديع الزمان النورسي، وقد أعد د. كارم غنيم نبتا بأهم كتب الإعجاز العلمي يمكن الرجوع إليها في كتابه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من ص 274 إلى ص 341.

* * * * *

(1) ثقافة الداعية لعلوان الإعجاز العلمي في السنة للمؤلف، ص 31.
(2) ثقافة الداعية؛ للقرضاوي، ص 118.

الثقافة الواقعية

يقول د. القرضاوي :

ومن أهم ما يلزم الداعية التسلح بألوان من الثقافة ما سميناه بالثقافة الواقعية ونعني بها الثقافة المستمدة من واقع الحياة المعاصرة وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن [1] وأهم مشكلاتهم من حوله وفي داخل العالم الإسلامي وفي خارجه من الصحف والمجلات الدورية السيارة والمطبوعات الجديدة مما يجعل الداعية متصلاً بالناس مسايراً لركب الثقافة ملاحقاً للتطور الفكري والحضاري، فإذا أغلق الداعية عقله عنها واكتفى بما تعلمه وحفظه من الثقافة الإسلامية فإنه يقف عند حد معين وسقف بسيط من الثقافة والفكر، بل المهم أن يكمل ثقافته بما سُميّ بالثقافة الواقعية.

إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم؟.. حتى يعرف كيف يدعوهم وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟.. ويعرف واقع العالم الإسلامي والجغرافية والاقتصادية والسياسية وأسباب تخلفه وعوامل ضعفه وأسرار القوة فيه وإمكانات تكامله اقتصادياً ومشكلات أقلياته وأماكن انتشارها واقع القوى المعادية للإسلامية من يهودية وصليبية وماسونية وشيوعية وعلمانية ومادية ووجودية وواقع الأديان المعاصرة وواقع المذاهب السياسية المعاصرة [2].

وواقع مؤسسات الدعوة الإسلامية وواقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام والمناهضة له من غزو ثقافي فكري أجنبي وإرساليات التبشير والتنصير ومؤسسات الاستشراق ونزعات الاستغراب ومخططات إحياء الدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية.. وكيف نشأت الفرق في الإسلام.

ولا ينسى الداعية واقع البيئة المحلية المحيطة ولو من مصادره الحية المباشرة بلقاء الناس ومخالطتهم والاتصال بهم ومشاهدة أحوالهم والاستماع إلى أحاديثهم في السفر والحضر ومعايشتهم..

قال عليه الصلاة والسلام : **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»**.. رواه البيهقي.

---

(1) نفس المرجع؛ ص 119.

(2) تجديد الخطاب الديني والتيارات الثقافة المعاصرة للمؤلف، ص 92 وما بعدها.

ومن أهم كتب الفرق :

- الفصل في الملل والنحل لابن حزم، والملل والنحل والعواصم من القواصم لابن العربي.
- الفرق من الفرق للبغدادي.
- آراء الخوارج للطالبي، فرق الشيعة للنوبختي.
- تاريخ المذاهب الإسلامية؛ الشيخ أبو زهرة.
- الأديان والفرق المعاصرة
- الإسلام والاستشراق؛ الدكتور محمود حمدي زقزوق
- الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي؛ الدكتور عبد العظيم المطعني
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام؛ الدكتور غالب بن علي عواجي
- فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة؛ د. محمد علي الصلابي
- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف؛ د. يوسف القرضاوي كتاب الأمة.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين؛ فخر الدين الرازي
- هموم الأمة الإسلامية؛ د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة الأسرة
- تيارات حضارية في التاريخ الإسلامي؛ د. عبد الحليم عويس
- الإسلام والغرب؛ د. زقزوق من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- الإسلام وقضايا العصر؛ د. زقزوق
- الإسلام في مواجهة حملات التشكيك لمجموعة من الأساتذة، وزارة الأوقاف
- الفكر الإسلامي المعاصر؛ د. محمد البهي
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية؛ للشيخ محمد الغزالي
- اشتراكية الإسلام؛ د. مصطفى السباعي
- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن؛ محمد السيد حمد يوسف

* * * * *

الثقافة الإنسانية للداعية

ونعني بالثقافة الإنسانية ما يحتاجه الداعي من علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والأخلاق والتاريخ، فموضوعها هو الإنسان في الماضي والحاضر، فرداً وفي جماعة أو مجتمع منتجاً أو مستهلكاً.. أي باختيار الإنسان حيث كان وكيف يكون؟.. والإنسان هو نفسه موضوع الدعوة الإسلامية باعتباره محلاً للعناية والتزكية.

كما أن الإلمام بهذه العلوم **يعين على فهم الناس**، مع العلم أن هذه العلوم لها سموم ورشحات ضارة كنظرية فرويد للتحليل النفسي (1)..

وقد قيل : عرفت الشر لا للشر لكن لاستبداله بعمل الخير.

[1] علم النفس الدعوي :

ومن أهداف دراسته للداعية (2) :

- الاعتبار والعظة بالتفكر في الإنسان وعظيم خلقه ودقة صنعه.
- فهم الإنسان والتعرف على طبيعة تكوينه وطبيعة السلوك الإنساني ودوافعه مما يعين الداعية على نفسية من يدعوه.
- الحكم على السلوك من حيث الصحة وعدمها والسواء والشذوذ والفطرة والاكتساب والضرورة والتحسين.
- تيسير الدعوة إلى الله بالوصول إلى الطرق والأساليب المناسبة لدعوة النفس البشرية وهدايتها واكتشاف العوامل والأساليب الفاعلة والمؤثرة في جذب النفس وتشويقها إلى طريق الخير.
- تسهيل التربية وذلك بمعرفة طبائع المتربي وخصائصه والبحث عن أنجح السبل للاستفادة من طاقاته وقدرته ولبيان قيمه واتجاهاته.

ويكون الداعية على معرفة بهوى النفس وميولها واتجاهاتها وتأثرها وتأثيرها في

(1) انظر: مجلة منار الإسلام الإماراتية العدد 363، ص 24 - 26.
(2) انظر: مجلة الرابطة؛ العدد 442، ص 36 - 40.

المجتمع الذي نعيش فيه حتى يمكن للداعية توجيهها.. كما أنه يفيد في فهم كثير من النصوص الدينية.

كما أنه يزيد الداعية فهماً لأسرار كثير من الأحكام الشرعية فيزداد إيماناً بكمال عدل الله وحكمته فيما شرع، فيكون أقدر على بيان ذلك لغيره من الناس.

[2] علم التربية :

فالدعوة والتربية صنوان لا ينفصلان وقد كان رسول الله ﷺ داعية ومربياً في آن واحد: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]، أي يربيهم، ولذا ينبغي للداعية أن يلم بهذا العلم، **فالداعية مربٍ فاضل، لذلك ننصحه بالاطلاع في هذا المجال على :**

- أصول التربية في الإسلام؛ الدكتور عبد الفتاح جلال
- منهج التربية؛ محمد قطب
- نحو التربية الإسلامية الحرة؛ الأستاذ أبي الحسن الندوي
- منهج القرآن في التربية؛ محمد شديد
- في أصول التربية الإسلامية؛ الدكتور عبد الغني عبود
- فلسفة التربية الإسلامية؛ الدكتور عمر التومي

[3] تعلم اللغات الأجنبية الحية :

وخاصة للأمم التي يراد دعوتها إلى الإسلام، لأن الدعوة المباشرة أجدى وأنفع من الدعوة عن طريق مترجم، وقد ثبت أن النبيّ ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية، يقول : فتعلمتها في سبعة عشر يوماً. رواه أحمد.

وقد قال الشاعر :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ::: فتلك له عن الملمات أعوان
فأقبل على درس اللغات وحفظها ::: فكل لسان في الحقيقة إنسان

[4] علم الاجتماع :

وهو العلم الذي يعني بدراسة المجتمع البشري في مختلف أحواله وحالاته وتحليل ظواهره والكشف عن قوانينه، ويعد علم الاجتماع بمفهومه الغربي من أهم العلوم المعاصرة التي حققت مقاصدها في التبديل الثقافي والغزو الفكري للأمة الذي لا يؤمن بالوحيّ الإلهي وشكك فيه، بل وكل الغيبيات وأن الدين نوع من السحر، ويتمثل خطورته في شموليته وتناوله للقضايا المختلفة، كما أن ميادينه متسعة، وقد وطدت (قواعد المنهج في علم الاجتماع) منذ ظهورها في القرن التاسع مع أركانها في العالم الإسلامي [1].

وإن كانت المكتبة العربية قد امتلأت بالكتابات التي تروج لأفكار علم الاجتماع الغربي وتخالف العقيدة بأقلام مؤلفين من المسلمين أنفسهم من ذلك [2] :

- عون الشريف قاسم في مؤلفه : من قضايا البعث الحضاري.
- عبد الكريم الخطيب في مؤلفه : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه الاجتماعى.
- أحمد الخشاب في مؤلفه : التفكير الاجتماعي.
- هشام علي صادق وعكاشه عبد المتعال في مؤلفهما : تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية.
- سناء الخولي في مؤلفها : مدخل إلى علم الاجتماع.
- زيدان عبد الباقي في مؤلفه : ركائز علم الاجتماع، وغيرها.

وإن عملية التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع **تعد من فروض الكفاية**، ومن منطلقات فكرية تنسجم مع عقيدة الإسلام ونظرته إلى الدين وهناك محاولات على هذا الطريق مثل :

- المدخل إلى المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع؛ للدكتور مصطفى محمد حسين.
- المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية؛ الأستاذ عمر عوده.

---

(1) انظر: مجلة منار الإسلام؛ صفر 1424هـ، ص 44 - 48.
(2) انظر: مجلة الأزهر؛ مقال للدكتور رجب بيومي، رجب 1422هـ، ص 1091.

- الإسلام وبناء المجتمع؛ الدكتور أحمد العسال.
- قضايا في الاجتماع الإسلامي المعاصر؛ الدكتور محمد الفيومي.
- المجتمع الإسلامي المعاصر؛ الأستاذ محمد المبارك.

[5] **علم الأخلاق :**

وهو قسم من الحكمة العلمية وموضوعه الملكات النفسانية من حيث تعديلها من الإفراط والتفريط ليكون فى أولاه بعيدا وفى أخراه حميدا، ويدخل في نطاق علم الفلسفة بنظرياته المختلفة ومدارسه المتعددة ويهتم بالبحث عن قيمة الخير كما هو معلوم للتعرف على أنواع الفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى بها النفس وبالرذائل لتجنبها. ومن الكتب النافعة في هذا المجال :

- الفلسفة الخلقية؛ الدكتور توفيق الطويل.
- المشكلة الأخلاقية؛ ترجمة د. عبد الحليم محمود.
- مباحث في فلسفة الأخلاق؛ الدكتور محمد يوسف موسى.
- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه.
- مقدمة في علم الأخلاق؛ الدكتور زقزوق.
- وللدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : كلمات في مبادئ علم الأخلاق، فلسفة الأخلاق في ضوء الإسلام.

[6] **علم الفلسفة :**

ويحسن بالداعية **الإلمام بعلم الفلسفة واتجاهاتها** المادية والروحية والوضعية والمثالية ليتمكن من فهم الأفكار المعادية للإسلام التي غزت كثيراً من عقول أبناء المسلمين اليوم مثل الوجودية، وحتى يتمكن من الرد على المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه.

وأما ما كان منها في الموجودات التى وراء الحس وهى الروحانيات ويسمى علم ما وراء الطبيعة، وهذه لا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها لذلك تهجم البعض على

الفلسفة، وهذا ما فعله أبو حامد الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة، والدكتور عبد الحليم محمود في كتاباته مثل الإسلام والعقل، وكذا ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل وافقه صحيح المنقول في الصريح المعقول.

إلى جانب أن ينتفع بثمار الحكمة منها " فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها" رواه الترمذي وابن ماجه..

ومن أفضل ما كتب في ذلك :

- الدين للدكتور محمد عبد الله دراز.
- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، تهافت الفكر المادي التاريخي، وكلاهما للدكتور محمد البهي.
- وقصة الإيمان بين العلم والفلسفة للشيخ سليم الجسر.
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار.
- كتب د. محمود حمدي زقزوق : تمهيد للفلسفة، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت – دراسات في الفلسفة الحديثة – مدخل إلى الفكر الفلسفي (مترجم عن الألمانية) – مقدمة في الفلسفة الإسلامية – الدين والحضارة – الدين والفلسفة – الإسلام وقضايا الإنسان.

[7] **علم الاتصال.. والإعلام الإسلامي :**

حيث أن كل وسيلة من وسائل الاتصال هي صناعة تقويم تهتم بنقل الرسالة ذاتها في آن واحد أو تقريباً لمجموعة واسعة من الأفراد [1].

وهناك قاعدة في ذلك تقول : أن **الأقوياء هم الذين يمتلكون الإعلام** ويسيطرون على قنوات الاتصال التي ينتقل الإعلام خلالها، ومن هنا يجب أن يهتم الداعية بدراسة علم الاتصال ووسائله، والإعلام الإسلامي واستحداث التقنيات الحديثة لتوصيل دعوته إلى الجماهير.

---

(1) انظر: وسائل الاتصال: نشأتها وتطورها؛ خليل صابات، ص 5.

[8] علم الاقتصاد العام.. والاقتصاد الإسلامي :

وإذا كان موضوع علم الاقتصاد هو البحث في المشكلة الاقتصادية التي تعني قلة الموارد وكثرة السكان بوجه عام، فإن علم الاقتصاد الإسلامي يربط بين حل المشكلة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي وشرع الله.

وعلى الداعية الإطلاع على مبادئ علم الاقتصاد وكيف يساهم الإسلام في حل مشكلة الفقر ودور الزكاة في ذلك باشتراكية الإسلام الحقة [1].

والداعي العصري يجب أن يكون موسوعة شرعية وعلمية شاملة على علم بكل علوم العصر حتى علم الفلك، والجيولوجيا بدراسات مبسطة..

وعموماً فلا يجب أن يغيب عن ذهن الداعية أن محور عمله أساساً هو الإنسان؛ عقله وقلبه في أشق وأصعب جوانبه فيستعد لذلك ويتسلح بكل ما يهمه.

* * * * *

(1) انظر مجلة الأزهر؛ رجب 1422هـ، مقال الداعية المعاصر د. رجب بيومي، ص 1090 - 1097.

الفصل الثالث
فــي تكويــن الدعـاة

ولأن الداعية شخصية غير عادية فإن الإعداد للدعاة عملية مركبـة مـن عـدة مراحـل تسـتغرق وقتاً طويلاً، فهي تستمر من المهد إلى اللحد، ويبدأ التكوين ويستمر في عدة مراحل.

- **مرحلة التنشئة والتأصيل.**
- **مرحلة التأهيل.**
- **مرحلة التدريب والتنمية الدعوية.**

المقصد الأول:
المرحلة الأولى: مرحلة التنشئة

فينبغي أن ينشأ في بيئة سوية عن الانحراف ويلتمس الدين سلوكاً وقولاً، ويدرب فيها على المحاورة والإقناع.

فقد ذكر الرسول ﷺ أهمية التنشئة في الحديث الشريف حيث يقول : **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر فيهم : شاب نشأ في طاعة الله»**..

وإذا كانت مراحل النمو كما يحددها علم النفس التربوي تنقسم إلى ثلاث مراحل هي:

– **مرحلة الرضاعة** : وهي من الولادة إلى نهاية السنة الثانية

– **مرحلة الحضانة** : وتقع بين الثالثة وسن السادسة، وأهم معالمها النفسية :

تمركز الطفل حول نفسه والحاجـة للرحمـة والعطـف والحنـان واللـين، والحاجـة للعـب والمزاح والحركة، مما يستوجب تلبيتها وإشباعها بطريقة صحيحة ومراعاة ذلك.

– **مرحلة التمييز** : وتبدأ من سن السابعة وهي تمثل نقلة نوعية في حياة الفرد.

وفيها يبدأ في تحمل التبعـات المناسـبة والعبـادات الشـرعية كالصـلاة والصـوم المتقطـع وغيرها لقدرته على التمييز، وقابليته للتدريب والتعليم.

بل إن مرحلة ما قبل الولادة وقبل أن يتشكل الجنين وتكون من الأهمية بمكان، وخاصة في الإسلام، لذلك لا نعجب أن دولة الصين تسجل تاريخ ميلاد الطفل، ليس من لحظة نزوله للحياة بالميلاد، ولكن من بداية حمله.

لذلك جعل الإسلام للأبناء حقوقاً على الآباء حتى قبل أن يوجدوا لعلّ أهمها حسن اختيار أمه..

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ويقول الرسول ﷺ: **«تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن»** [1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«زوجوا في الحجز** (**أي المنبت الصالح**) **فإن العرق دساس»**، يعني الوراثة أصلاً [2].

ويقول : **«إن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»** [3].

ومن حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه كما في الحديث الشريف فيتخير له أحب الأسماء.

رُوي عن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إليه بابنه فقال إن ابني هذا يعقني، فقال عمر للابن : أما تخاف الله عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا، فقال الابن: يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق؟ قال: نعم حقه عليه أن ينتخب أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب، فقال الابن فوالله ما استنخب أمي وما هي إلا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ولا أحسن اسمي فقد سماني جعلاً ولا علمني من كتاب الله آية واحدة..

فالتفت عمر إلى الأب وقال: تقول ابني يعقني فقد عققته قبل أن يعقك قم عني [4].

والشكل التالي يوضح لنا مراحل تكوين الدعاة

(1) رواه ابن عدي في الكامل وابن عسارك؛ الجامع الصغير، جـ 1، ص 223.
(2) رواه ابن عدي في المرجع السابق.
(3) رواه النسائي ومسلم.
(4) انظر: تنبيه الغافلين؛ السمرقندي، ص 46.

[1] فالأسرة المسلمة والبيت المسلم أولاً للتكوين النفسي

فقد حث الإسلام على تكوين الأسرة على أن يعيش الفرد في ظلالها، ولا يقوم مقام الأسرة شيء آخر، والطفل لابد له من النشأة في أسرة وإلا نبت ونما مبتور العواطف شاذ السلوك.

وحاجته إلى أمه وأبيه حاجة أصيلة لا يغنيه عنها حاجة أخرى أو تعهد أو ولا ترضي فطرته بديلاً عنها، فيظل مفتقراً أبداً إلى حماها متعطشاً إلى عواطفها ومشاعرها.

وللأسرة كذلك وظائفها الخاصة في ميدان التربية لا يغنى عنها عامل آخر.

وعلى الأسرة يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة بل في المراحل التالية لها كذلك.

فالأسرة هي التي تجعل من الطفل حيواناً مدنياً وتزوده بالعواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع وفي البيت [1].

أولاً : الأب :

إذا كانت البداية الحقيقية للأسرة بالأبوين الأب والأم، فعلى كل منهما تقع أعباء تربية الطفل ونموه جسمياً ونفسياً ودينياً..

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ::: على ما قد عوده أبوه

فهو القدوة وهو المثل الأعلى داخل البيت وخارجه وتهيئه البيئة الصالحة للأبناء.

ثانياً : الأم :

ويأتي دور الأم الذي لا يقل أهمية عن دور الأب في التربية، وإن كانت هي الطرف الثاني في تكوين الأسرة.. وقد قال حافظ إبراهيم فأبدع :

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها ::: أعددت شعباً طيب الأعراق

---

(1) الأسرة والمجتمع؛ د. وافي، ص 20.

وقد كرّمها الرسول ﷺ حينما سأله أحدهم : من أولى بحسن صحبتي؟ قال عليه السلام: أمك ثم أمك ثم أمك.. قالها ثلاثاً ثم قال بعد ذلك : أبوك.

فهي التي تحمل وتضع وترضع ثم الحضانة والتربية والعطف، وتتحمل في سبيله المشاق وخيرهن من اهتمت برضاعة طفلها رضاعة طبيعية استجابة لقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وذلك لما للرضاعة من مكانة حيوية في حياة الطفل.. فقد جعلها الإسلام مسئولية تربوية وواجباً شرعياً على الأم تأثم إذا قصرت فيه.

جاء في المنار في تفسير هذه الآية : إن لبن المرضع يؤثر في جسم الطفل وفي أخلاقه وسجاياه، ولذلك يحتاط في انتقاء المراضع، ويتجنب استرضاع المريضة والفاسدة والأخلاق والآداب [1]..

وجعل الإسلام حضانة المولود في سنيه الأولى إلى من يقوم بحقوقه ويستطيع القيام بتربيته وتعليمه.

يقول ابن القيم : الصبي في هذه الحالة ضعيف العقل يؤثر البطالة واللعب فإذا اختار من يساعده على ذلك لا يلتفت لاختياره وكان عند من هو أنفع له وأخير ولا تحتمل الشريعة غير هذا.

والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

والرسول ﷺ يقول : **«مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»**.

وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه : علموهم وأدبوهم وفقهوهم فإذا كانت الأم تتركه في المكتب وتعلمه القرآن والصبي يؤثر اللعب ومعاشرة أقرانه وأبوه يشجعه على ذلك، فأمه

(1) المنار، جـ 2، ص 416.

أحق به بلا تخيير ولا قرعة وكذلك العكس ومتى أخل أحد من الأبوين بـأمر الله ورسـوله في الصبا وعطله والآخر مراع لـه فهو أحق به وأولى.

وقـال ﷺ : **«لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»**، لأنـه فيمـا بعـد هـو صدقة جاريـة.. وقـال : **«حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً»** رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي رافع(1).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الله ﷺ : **«كفـى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»** رواه أبو داود (2).

أ) **وفي إسلام علي ابن أبي طالب** وهو ابن عشر سنين ما يـدلنا علـى مـا للبينـة مـن الأثـر الظاهر في نشأته رضي الله عنه.. قال ابن إسحاق : كان أول ذكر من النـاس آمـن برسـول الله ﷺ وصلى معه وصدق بما جاء من الله تعالى : علي بن أبـي طالـب، وهـو يومئـذ ابـن عشر سنين وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حجـر رسـول الله ﷺ قبـل الإسـلام وذلك بسبب الضائقة المالية التي كان يعيش فيها أبو طالب مع كثرة عياله فأخذ الرسول ﷺ علياً يربيه، فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً فاتبعه عليّ وآمن به (3).

ب) وعن أبي هريرة قال أخذ الحسن بـن علـيّ رضـي الله عنهمـا تمـرة مـن تمـر الصـدقة فجعلها في فيه فقـال رسـول الله ﷺ : **«كخ كخ.. ارم بها.. أما علمـت أنـا لا نأكـل الصدقة»** متفق عليه (4).

ج) وللأبناء حق التعليم : علي وليّ أمره أن يعلمه ما هو فـرض عليـه حـين يبلـغ وأن يوجهه لتوجيه الحسن وفي وصية لقمان لابنه ما يبين لنا هذا :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾

[لقمان: ١٣]، وذلك لتمكين العقيدة.

(1) الجامع الصغير؛ جـ 1، ص 55.
(2) راض الصالحين؛ ص 146.
(3) سيرة ابن هشام؛ جـ 1، ص 162.
(4) رياض الصالحين، ص 149.

ثم يقول: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ [لقمان: ١٧ – ١٩]، وهكذا ثنى لقمان في موعظته **بإقامة الصلاة** والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. والقيام بهما أمر يحتاج إلى الصبر، ثم التواضع للناس والاعتدال في السير وخفض الصوت.

د) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** رواه الترمذي[1].

ويحذر المصطفى ﷺ من مخالطة قرناء السوء، وعلى الأسرة مراقبة ذلك فيقول: **«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً.. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة»** متفق عليه[2].

قال الشاعر:

واحذر مصاحبة اللئيم ::: فإنها تعدى كما يعدى السليم الأجرب

وقال آخر:

وكل إلف يلوف بإلفه ::: حتى الطيور على أشكالها تقع

وقال آخر:

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً ::: إن القرين إلى المقارن ينسب

(1) رياض الصالحين، ص 48.

(2) رياض الصالحين؛ ص 173.

وعلى الأم تقع المسئولية الكبرى لإعداد الطفل ورعايته وعبر نفسياً، وعبر الإسلام على ذلك بلفظ (الحضانة).

والحضانة في اللغة مشتقة من الحضن والصدر والعضدان وما بينهما.

وهي في الشرع كلمة وفترة من العمر عرفها المالكية : " حفظ الولد في مبيته وذهابه ومجيئه والقيام بمصالحه من طعام ولباس وتنظيف جسمه وموضعه " [1].. وهو تعريف يكاد يحصرها في جوانبها المادية.

أما تعريف الحنابلة فإنه يتسع للوظائف النفسية للحضانة بقولهم: " وتربية الصغار مما يضرهم وتربيتهم بعمل مصالحهم كغسل رأس الطفل ويديه وثيابه وتكحيله وربطه في المهد وتحريكه لينام ونحوه [2].

ومن مسئوليات التربية المشتركة بين الأبوين : تربية العقيدة الصحيحة :

وقد أشار القرآن الكريم إلى دور الأم في هذا الصدد من خلال الربط بين ابن نوح الذي كفر وأمه قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠]، وتدل الآية على تعاون الأم مع الأب في تنشئة أولادهما تنشئة صحيحة التي يقول فيها الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

النمو النفسي : إذ يقول علماء نفس النمو أن مرحلة التمييز التي تبدأ عند الطفل من السابعة من عمره تتأثر :

أ) بالعامل الذاتي : وظهور استعداداته الذاتية وأهمها :

- القدرة على التمييز والمحاكاة العقلية من خلال الواقع ومن هنا تبدأ محاكاة القدوة.
- **القدرة على الحفظ** : فهل استمرت الأسرة في تحفيظ الطفل في هذه السن حفظ ما

(1) انظر حاشية الدسوقي؛ جـ 2، ص 526.
(2) كشف القناع للبهوتي، جـ 5، ص 495.

يستطيع من قصار سول القرآن ومن أسماء الله الحسنى وأسماء الأنبياء بدلاً من حفظ ما شاء الله من الأغاني الهابطة وأسماء لاعبي الكرة.

- القدرة على التقليد واكتساب العادات مثل تعويد الطفل على صيام ما يقدر عليه من نهار رمضان، قال الغزالي : "إذا بلغ الصبي سن التمييز فينبغي ألا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصيام في بعض أيام رمضان".
- القدرة على الحركة واللعب واكتساب المهارات فيمكن استثمارها في تعليم الطفل حركات الوضوء والصلاة.

ب) **العامل البيئي** : وهو كل ما يحيط بالطفل في بيئته ومن خلال تعلمه ممن حوله بأنواع التعليم الاجتماعي بأساليب عدة منها القدوة الحسنة عن طريق عدد من المبادئ وأهمها :

- مبدأ التطابق بين القول والفعل ومن هنا يستوعب عادة الصدق والكذب ممن حوله
- مبدأ عرض النموذج
- مبدأ التكرار
- العامل الغائي : وقد حدد الإسلام للمسلم في كل عمل من أعمال الجوارح أو نشاط يقوم به غاية أو هدف وفق المنهج الشامل لحياة المسلم (1).

النمو الخلقي : وتنقسم إلى ثلاث مراحل :

[1] المرحلة الظاهرية الانقيادية :

وتقع في سن العاشرة وما قبلها وفيها يتجه الفرد إلى السلوك الشكلي الذي لا عمق فيه.

[2] المرحلة الاقتناعية الانقيادية :

(1) مجلة الرابطة، العدد 442 شعبان، 1422هـ، ص 28.

وتبدأ من سن الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة وما بعدها.. وفيها يتأصل السلوك ويكتسب بعداً باطناً وجذوراً داخلية، وتبدأ مرحلة الوعي الحقيقي بالمعاني الخلقية والتعليلات النفسية والاجتماعية للضوابط والأخلاق والاتجاهات وما يعرف بالضمير ويمكن ملأها بأركان العقيدة والشعور بوجود الله ومراقبته والإيمان باليوم الآخر والقضاء خيره وشره فيرضى به ويصبر على بلائه ويشكر لنعمائه.

[3] مرحلة الرقابة الذاتية :

وتقع في سن الخامسة عشرة وما بعدها.. وفيها تكون استعدادات المراهق العقلية والنفسية في حالة تكامل وقوة ووعي ويكون الشعور بأهمية الالتزام الخلقي أكثر عمقاً وتكتسب المبادئ الخلقية قيمة عظيمة وبعداً لدى الفرد، كما يكون لدى الفرد نوع من الرقابة الذاتية الداخلية المرتبطة بالوعي بالنظام الخلقي فيحاسب نفسه ويراقبها ويضبطها حتى لا يتخرج عن ذلك النظام.

ولقد قسم عالم النفس (كولبرج) مراحل النمو الخلقي عند الناشئ إلى ثلاث وهي :

1- المستوى ما قبل الخلقي (من 4-10) وفيه نوعان هما :

- الطاعة خوفاً من العقاب
- الطاعة لجلب السرور والمنفعة

2- مستوى الامتثال العرفي للمبادئ (من 10-13) وفيه كذلك نوعان هما :

- الحصول على ثقة الآخرين والعلاقة الطيبة بهم
- الاستجابة لرغبة السلطة

3- مستوى القبول الذاتي للمبادئ (13 فما فوق) وفيه نوعان هما :

- الاتجاه إلى مفاهيم العقد الاجتماعي والتوجه الذاتي، ويمكن في هذه الفترة تعريف الأبناء بمفهوم العورات ومعنى بلوغ الحلم وأوقات الاستئذان وتعريف البنات بستر العورة وعدم التبرج وتعويدهن المشية المستقية التي لا تكشف مفاسد الجسد، وهكذا **يعمل البيت المسلم على تربية الروح في أبنائها في خطين عريضين واضحين هما :**

- عبادة الله سبحانه بالفرائض والنوافل تدريجياً وفق ما شرع عبادة بالاختيار.
- النظر والتأمل فيما خلق لأخذ الاعتبار والوقوف على الحق [1].

▪ وغرس مبادئ الإسلام في نفسه ليشب مسلماً صالحاً ربانياً فمن شب على شيء شاب عليه..

- ومن ذلك ما رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله.. ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله»**..
- وروى الطبري وابن النجار عن عليّ كرم الله وجهه أن النبيّ ﷺ قال : **«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»**.
- ولقد كان رسول الله ﷺ وهو معلم البشرية لا يترك فرصة ولا موقف إلا قدم النصح للأطفال وأرشد إلى السلوك الصحيح، ومن ذلك ما قاله للطفل سلمة الذي كان في حجره في آداب الأكل: **«سم باسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»** رواه الشيخان.
- وروى ابن السني عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ رأى رجلاً معه غلام فقال للغلام: ((من هذا؟)) قال: أبي، قال عليه الصلاة والسلام للغلام: ((فلا تمش أمامه ولا تسخب له ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه)).

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(1) تربية الناشئ: د. علي عبد الحليم محمود، ص 185.

(ب) المسـجد
وكيف يمكن استثمار معطياته المتميزة
في بناء الإنسان والمجتمع

والمسجد في لغة العرب : اسم لمكان السجود.. والجامع نعت للمسجد الذي فيه الجمعة وإن كان صغيراً وعرفا اسم للمكان الذي أعد للصلاة وكل موضع يتعبد فيه الله.. والسجود أشرف أفعال الصلاة وأن بيوت الله في الأرض المساجد.

حيث يستمد المسجد في الإسلام شرفه ومكانته السامية من صلته بالإسلام وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية باعتباره وسيطاً وكونه رمزاً وشعيرة من شعائر الإسلام.

وقد أمر الله عباده ببنائه ورفع عمده وعمارته: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٨].

كما يستمد مكانته من كونه مضافاً إلى الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

وهو مصدر الإشعاع الحضاري والمعرفي للإسلام لتوجيه المجتمع إيمانياً ومادياً[1].

وهو مؤسسة العلم تعلماً وتعليماً، وهو دار للإفتاء وساحة القضاء، قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ [ص: ٢١].

كما أن للمسجد دوراً عظيماً في **التنشئة والتطبيع والتوجيه الاجتماعي** للفرد وللمجتمع الإسلامي، فهو يعلّم الفرد كيف ينشأ نشأة اجتماعية بعيداً عن الأنانية وحب الذات، والانتقال من السلبية إلى الإيجابية والتفاعل والتعاون، وبصلاحه يصلح المجتمع، ومن هنا فإن المسجد يمثل حجر الزاوية في تكامل الشخصية.

والمسجد يعلمه كيف **يحب الجماعة** التي ينتمي إليها ويتعاون مع أعضائها لرفعة شأنها

(1) مجلة الأزهر؛ شعبان 1417هـ، ص 1466.

والتكافل الاجتماعي، وفي المسجد تتلاشى التفرقة بين الناس بعضها بعضاً فيتعلم التواضع وأن طريق الجنة يبدأ من المساجد والسجود (واسجد واقترب).

والمسجد هو الدعامة القوية إلى جوار البيت التي يقوم عليها بناء الفرد المسلم، ومن ثم المجتمع المسلم، حيث يعمل على تماسك الأسرة المسلمة الخلية الأولى للأمة الإسلامية عن طريق ما يلقى من محاضرات وخطب وعظات في جميع شئون الحياة، فهو مركز إشعاع حضاري للمسلمين.

والمسجد تدريب للمسلمين على النظام والنظافة والطاعة والضبط والانضباط، فإذا صاح المؤذن الله أكبر ترك المسلمون جميعاً كل ما هم فيه من عمل واتجهوا إلى المسجد ملبين دعوة الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

ونشير هنا إلى الوظيفة التي يجب على الناشئ المسلم [1] أن يؤديها نحو المسجد لينشأ عليها ويتعودها :

[1] معرفة آداب المسجد والالتزام بها في صلة يومية خمس مرات يومياً :

- فلدخول المسجد أدب يتمثل في أن يدعو الداخل بداء ورد عن رسولنا ﷺ : **«أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»**.
- ومن آداب المسجد أن يصلي من يدخله ركعتين تحية للمسجد قبل أن يجلس.
- وعن أدب الجلوس في المسجد أن يجلس الإنسان حيث ينتهي به المجلس ولا يتخطى رقاب الناس.
- معرفة الأماكن التي تحرم فيها الصلاة وهي سبعة مواطن المزبلة والمحرزة والمقبرة وقارعة الطريق وفي الحمام وفي معاطن الإبل وفوق بيت الله الحرام.. استثناء من قوله عليه السلام وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.
- معرفة آداب المكث في المسجد : فلا يمكث في المسجد إلا وهو على وضوء، وفي

(1) تربية الناشئ المسلم؛ ص 430.

المسجد يتعلم خفض الأصوات في المسجد في صلاة أو في غير صلاة، ومن آداب المسجد ألا يباع فيه شيء ولا تنشد فيه ضالة ولا تناشد فيه الأشعار.

[2] حب المسجد والإقبال عليه :

قال عليه السلام : «**من غدا إلى المسجد** أو راح **أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**». فإن المسلم لا يكتمل إيمانه **إلا بالتردد على المسجد** والمواظبة **على حضور الجماعات..**

فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**».

وروى ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه**»، وفي رواية أخرى : «**والملائكة يصلون عليه في مجلسه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، الله تب عليه ما لم يحدث فيه ولم يؤذ فيه**».

[3] اجتناب ما يكره في المساجد :

روى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :

" خصال لا تنبغي في المساجد :

- لا تتخذ طريقاً
- ولا يشهر فيه سلاح
- ولا يقبض فيه بقوس
- ولا ينشر فيه نبل
- ولا يمر فيه بلحم نيئ

- ولا يضرب فيه أحد
- ولا يقتص فيه من أحد
- ولا يتخذ سرقا "

فهذه أمور لا يجوز أن تمارس فيه لتظل لها قدسيتها وقداستها؛ إذ يكفي أنها بيوت الله.

[4] تعهد المسجد وتنظيمه وتنظيفه :

فعلى المسلمين تعهد مساجدهم بالتنظيف والتطهير والتطيب وإخراج أي أذى منه، فقد روى ابن ماجه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : **«من أخرج من المسجد أذى بنى الله له بيتاً في الجنة»**.

وروى ابن ماجه بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بالمساجد أن تبنى في الدور وأن تطهر وتطيب.

وهكذا يكون للمسجد الدور المهم الذي يلي الأسرة (البيت) في تربية الناشئ في الإسلام.. الناشئ في طاعة الله، وبذلك تتكون عقليته وبها ذاتها تتشكل نفسيته ويصبح الإسلام مقياساً لجميع أفكاره عملياً وواقعياً وهو الأمر الذي ينشئ ي الإنسان عقلية إسلامية ونفسية إسلامية أيضاً فيجعل من الإسلام فكره وسلوكه وعقيدته ويصبح شخصية متزنة [1].

* * * * *

(1) الشخصية الإسلامية سمات وتحديات؛ محمد طه كسبه، ص 8، 9.

ج) دور الحضانة.. ورياض الأطفال وكتاتيب تحفيظ القرآن في التنشئة الإسلامية

فالإسلام يعامل الناشئ المعاملة التي تنضجه بل تبكر بنضجه؛ إذ يشعره بالمسئولية منذ زمن باكر في حياته، فيحبذ حفظه للقرآن الكريم وتعلمه في الكتاتيب العامة.. وفي دور الحضانة، وفي رياض الأطفال.

والفرق بين دور الحضانة، ورياض الأطفال أن الأولى منشأة إيواء تتبع وزارة الشئون الاجتماعية (التضامن الاجتماعي حالياً) لإيواء الأطفال من أي سن حتى سن الخامسة، وخاصة أبناء المرأة العاملة. وليس لها منهج معين، فغالباً تقوم على تحفيظ قصار السور بخلاف رياض الأطفال، فهي لها مناهج معتمدة وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم، وللأسف لليس من بينها مقرر لحفظ القرآن في هذه السن.

أما الكتاتيب : فغالباً ما يلتحق بها الأطفال الغير راغبي أولياء أمورهم في الالتحاق بدور الحضانة أو رياض الأطفال ويوهبونهم لتحفيظ القرآن الكريم للالتحاق بالمعاهد الأزهرية مستقبلاً.

والكتاتيب : جمع كُتَّاب كما في اللسان وهو موضع تعليم الكتاب للصبيان.

والمكتب : أيضاً في رأي الفيروز أبادي موضع التعليم وجمعها مكاتب [1].

وهكذا نجد أننا لو رجعنا إلى الاستعمال الاصطلاحي لكلمتي (مكتب وكُتَّاب) لوجدنا أن كليهما مستعملاً بمثابة موضع التعليم الأولي لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب، لكنه غالباً ما يرتبط اسم الكُتَّاب في الأذهان بتعليم القرآن الكريم، مما يجع لنشأته تعود إلى ظهور الإسلام غالباً.

وقد وجد الكُتَّاب لتعليم القرآن أول ما وجد في المسجد، حيث كان الأطفال يتحلقون في حلقات حول معلم القرآن.. ثم ظهرت كتاتيب ملحقة بالمسجد وأخرى مستقلة عنها تماماً، حيث يروي الإمام الشافعي أنه لما ختم القرآن دخل المسجد، مما يوحي باستقلال هذا عن ذاك [1].

---

(1) انظر: لسان العرب والقاموس المحيط؛ مادة كتب.

(1) ابن عبد البر؛ جامع بيان العلم وفضله (1/ 198).

المهم أن القرآن الكريم هو المحور الأساسي الذي تدور حولـه الدراسة في الكتاب [1].

وتلاوة القرآن الكريم وحفظه مدرسة كاملة لتربية الروح :

- روى الطبريّ بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : **«من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمـه الله تعالى»**.
- وروى البخاري بسنده عن عثمان بن عفان رضـي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.
- وروى البيهقي عن أبي إمامة : "خيركم من قرآن القرآن وأقرأه لحامل القـرآن دعـوة مستجابة يدعو بها فيستجاب لـه".
- وفي حديث آخر: **«إن شاء أعده لـه في الدنيا وإن شاء أخّرها إلى يوم القيامة»**.
- وروى الخطيب والديلمي في مسند الفردوس عن أنس قـال : قـال رسـول الله ﷺ : **«إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن»**.
- وروى تمام عن أبي إمامة قال : قال رسـول الله ﷺ : **«اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن»**.
- وروى الخطيب عن عبد الله بن مسعود، قـال : قـال ﷺ : **«اقرءوا القرآن فـإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف بعشر ولام حرف بعشر وميم حرف بعشر فتلك ثلاثون، كل حرف بعشر حسنات»**.
- وروى أبو القاسم بن حيدر في مشيخته عن عليّ عن النبي ﷺ قـال : **«أهل القرآن أهل الله وخاصته»**.
- وروى الحاكم في تاريخه عن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ : **«حملة القـرآن هـم المعلمون كلام الله والملتمسون لنور الله من والاهم فقد ولى الله ومن عاداهم فقـد عادى الله»**.

(1) انظر: معاهد التعليم الإسلامي؛ د. سعيد إسماعيل، ص 85.

- وكذلك روى الديلمي عن أبي إمامة قال : قال رسول الله ﷺ : **«حامل القرآن حامل راية الإسلام من أكرمه الله، من أهانه فعليه لعنة الله»**.
- وروى الترمذي وابن ماجه عن عليّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ : **«من قرأ القرآن فحفظه فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفّعه الله من أهل بيته كلهم قد استوجب النار»**.
- وروى ابن عساكر عن إبان بن أبي عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما من رجل علم ولده القرآن إلا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملك وكساهما حلتين لم ير الناس مثلهما»**.
- وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **«من تعلم القرآن في صغره اختلط بلحمه ودمه ومن في كبر فهو ينفلت منه وهو يعود فله أجره مرتين»**.

والكتاتيب تحفظ القرآن بطريقة التلقين أولاً حتى يكون للسماع أثره في ثبات الحفظ وجودة التلاوة، أو بطريقة الكتابة على اللوح بلوح يكتبه ويقرأه على شيخه قبل أن يحفظه ويسمعه ثم يعيده ويثبته مرة بعد مرة، ولا تقتصر مبادئ الدين على حفظ القرآن الكريم فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى دراسة أولية في الفقه والتفسير والسيرة النبوية وقصص الأنبياء والعقيدة، وهذا النوع من الدراسة بهذا الشكل يحتاج إلى ملازمة ا لفقيه أو العريف في كل تنقلاته وترحاله من مكان إلى آخر.

وهذا المنهج مع ملاءمته لتلك المرحلة له جوانب تربوية هامة منها :

الارتباط بين التلميذ وأستاذه حيث يشرب منه مبادئ العلم وأخلاقياته، واستقامة لسانه ولغته العربية عن طريق سماع شيخه وعن طريق القراءة والمناقشة، علاوة على أن هذه الطريقة القائمة على الصلة الدائمة بين التلميذ وشيخه تصقل عقلية الطالب مما يعطيه الثقة في نفسه فيؤدي دوره في الحياة غير منقوص [1].

---

(1) انظر مجلسة منار الإسلام؛ عددي ربيع الأول والآخر 1416هـ..

ثم يأتي دور الشيخ في متابعة ما حفظه التلميذ من القرآن فيما مضى بتسميعه حصة في صورة حزب أو جزء يومياً، وعندما يختم التلميذ حفظ القرآن يقيم والده احتفالاً شعبياً يحضره الأهل والأصدقاء ويعرف بالختمة. أما عقاب من لا يحفظ أو يهمل في ذلك الضرب بالعصا والفلكة، وقد بدأ هذا النظام يختفي ونوصي بتعليم القرآن بطريقة جماعية وليس منفردة ونبدأ في الحفظ بقصار السور من نهاية القرآن من جزء عم ثم تبارك ثم جزء قد سمع، وهناك دعوة إلى إنشاء مدارس تفهيم للقرآن الكريم بدلاً من تحفيظه حالياً، وذلك ليلقن التلاميذ بدلاً من الحفظ الجاف [1].

وعموماً نقترح في المرحلة الأولى ما قبل المدرسة (الروضة) وهي قسمان:

أحدهما: من 18 شهراً حتى ثلاث سنوات وتخصص كلها تماماً للتعليم عن طريق اللعب وحفظ بعض الأناشيد الدينية مثل واحد الله هو ربي اثنان هما أبي وأمي..

والثانية: من سن الرابعة وحتى الخامسة وفيها يتعلم الطفل الوضوء والصلاة ومبادئ العقيدة وقواعد السلوك الإسلامي مثل آداب الأكل والطعام وحفظ بعض الأدعية : مثل دعاء السفر ودعاء دخول البيت ودعاء الخروج منه، وفي المرحلة الابتدائية من السادسة حتى الثانية عشرة يتعلم الطفل : القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والدين ويتم تأكيد الإيمان والتوحيد.

* * * * *

(1) الوعي الإسلامي؛ 432، ص 60.

د) دور المدرسة.. أو المعهد
في تربية النشء وبناء المجتمع (في التكوين الثقافي)

لفظ المدرسة من الألفاظ المولدة المشتقة عد العرب من الفعل (درس).

أما فنياً فالمدرسة هي مكان لتدريس عدد معين من الطلاب على أيدي أساتذة مخصوصين مواد دراسية معينة ذات مستوى معين، ولها منهاج محدد، والدراسة فيها منظمة ومنتظمة لتوجيه حياة الناشئين ومساعدتهم على مواجهة ظروف الحياة في المجتمع، وذلك في ضوء ما اختاره هؤلاء الأفراد من قيم وأنظمة ومعارف.

والثابت أن التعليم الإسلامي لم يعرف المدرسة بمعناها الفني والاصطلاحي إلا بعد أكثر من ثلاثة قرون من ظهور الإسلام، ويقال أن نظام الملك الوزير السلجوقي هو أول من بنى المدارس في العصور الإسلامية، وبالتالي فإن أول ظهور لها هو عام 459هـ (1067م).

وقيل أن أقدم ما عرف من نشأة المدارس فهي المدرسة الصادرية (391هـ).

وعموماً فالمدرسة هى مؤسسة تربوية تعني بنقل التراث الإسلامي، ونشر الثقافة الإسلامية، والابتكار والتجديد العلمي والتماسك الاجتماعي..

ومهمة المدرسة في هذا العصر مهمة صعبة، حيث تكمل مهمة الأسرة الأساسية، ولذا ينبغي أن تعمل المدرسة على التواصل مع الأسرة والمحافظة على دورها لتكون الحلقة الأساسية في التربية وليكون التعاون بين المدرسة والأسرة تعاوناً عملياً لأن تخلف دور الأسرة أو غياب فاعليتها يؤدي إلى انعدام التعاون بين المدرسة والبيئة [1].

فالمدرسة مؤسسة اجتماعية تضم فريقاً من المختصين في التربية وذات أهداف ونظم واضحة تنقل حضارة الأمة وثقافتها للأجيال الناشئة بتربية النشء وتعليمهم للنمو السليم

(1) دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع، د. علي بن مرشد، ص 24 - 28.

في الحياة وتشكيل شخصياتهم واكتشاف مواهبهم وتنمية قدراتهم، علاوة على تكوين عاداتهم وقيمهم.

والمدرسة كذلك تمثل بيئة اجتماعية ومؤسسة تربوية تضم عناصر أساسية هي :

المتعلم والمعلم والمنهج وما يتبعه من خطط دراسية ومقررات والبيئة المدرسية والإرشاد والتوجيه والإدارة..

وكل عنصر من هذه العناصر له تأثيره ودوره في العملية التربوية وهذه التأثيرات تتضافر وتتعاون لتحقيق أهداف المدرسة عموماً.

إن عملية التربية هي عملية خلقية هدفها الأول الارتقاء بشخصية الفرد وخبرة الجماعة والسعي لتحقيق الكمال الخلقي والنضج الشخصي.

ومن هنا يأتي دور المدرسة في التربية في الاهتمام بعلم الأخلاق وغرس القيم التي هي أساس من الأسس التي تبني شخصية الإنسان وبالتالي يبنى عليها المجتمع المسلم.

ودور المدرسة في غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة كبير وهو مطلوب تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وتعويدهم على حب عمل الصالحات وفعل الخيرات ليعمروا الأرض وينفعوا الناس بعلمهم الذي تعلموه.

وتبرز شخصية المعلم التي غالباً ما تطبع على تلاميذه لأنه القدوة لهم، فهو صاحب رسالة ومثل أخلاقية فيجب أن يكون على خلق قويم ملتزماً بالسلوك الطيب والخلق الحميد، فضلاً عن علمه الواسع.

وفيما يؤخذ على مؤسسات التعليم في مجتمعاتنا ظاهرة انصراف الطلاب عن مادة التربية الإسلامية وهي التي تشكل الفرد وتصنعه في ضوء مثل عليا وقيم سامية وتحميه من الانحراف وتعرفه طريق الهدى والرشاد وتحبب إلى نفسه حميد الخصال وفعل الخيرات، وفي

هذا تماسك المجتمع وقوته.

في هذا الوقت الذي نحتاج فيه إلى أن يتربى شبابنا على الدين الإسلامي وأن ينشئوا على مبادئه وأن يتخلقوا بخلقه حتى يستطيع مواجهة التيارات المادية والانحلالية التي تموج بها الحياة من حولنا، وحتى يمكنهم أن يتحصنوا بالدين وأن يصمدوا أمام التحديات التي يلقي بها أعداء الإسلام كل يوم في وجه المسلمين.

وتبدو هذه الظاهرة الخطيرة في مدارسنا في غياب الطلاب عن حصص الدين وفي استهتارهم بمقررات ومناهجه والإهمال في حفظها واستعيابها، وعدم الانخراط في أنشطتها كجماعة الخطاب وقراءة القرآن، حتى أصبح ما يتعلمه التلاميذ في دروسه لا يكسب الطلاب السلوك الذي يريده الإسلام وخلطه القيم الأصيلة بالقيم الدخيلة.

وحتى يمكن إعداد المتعلم بالقيم الموجهة للسلوك والضابط للسلطة الذاتية فإننا نقترح هنا :

في المرحلة الإعدادية : والتي تبدأ في سن الثالثة عشرة غالباً، وفيها يستمر تأكيد الإيمان الديني بمخاطبة العقل وتنمية الشخصية وبناء الجسم وتغذية العقل بالمعرفة، واكتساب المهارات اليدوية الأساسية وفهم المراهق نفسه ومجتمعه وعالمه وعلاقته بها بالمعاملات كما شرع الله والتي تشكل المعايير الخلقية التي تحكم السلطة الذاتية في ضوئها، وهي معايير مستمدة من قيم الدين ومثله.

أما في التعليم الثانوي : نطالب بأن تأخذ مدرسة المستقبل بنظام المدرسة الشاملة التي تجمع بين الجانب الثقافي، والإعداد المهني والتعليمي الديني، وتنقسم الدراسة إلى أكثر من شعبة ولا تقتصر على الشعبتين العلمية والأدبية فقط، وإن التشعيب المقترح كالآتي في التعليم الثانوي :

– **شعبة عامة** : القسم العلمي – والقسم الأدبي

– **شعبة فنية** : زراعي – صناعي – تجاري – نسرى

– **شعبة دينية** : قسم للعقيدة – وآخر للحديث وثالث للفقه – ورابع للقرآن وعلومه..

حيث تكون السنة الأولى عامة، ويبدأ التشعيب من الصف الثاني إلى ثلاث شعب، ويبدأ التخصص في الصف الثالث كما هو موضح، وينبغي أن تكون بعض المقررات اختيارية، وبعضها إجباري وبالأخص التربية الدينية واللغة العربية والقرآن.. وأن تتفتح أنواع التعليم بعضها على بعض في كل الاتجاهات بلا حواجز أو حدود.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(هـ) وسائل الإعلام

هناك ثلاث مؤسسات تربوية كما رأينا : هي الأسرة والمسجد والمدرسة تشكل شخصية الطفل في مجتمعاتنا.. ولكل منها دوره المؤثر في أبعاد شخصيته : العقلية والروحية.

ومن المعلوم أن مسئولية البيت تتركز على التربية الجسدية وتدريس المبادئ الخلقية والسلوكية وبعض المهارات العقلية عن طريق التوجيه والحوار والقدوة التي يجسدها الوالدان تجاه الطفل بل والمتابعة والمراقبة لهما حتى في اختيار أصدقائه.

والمسجد: تتركز رسالته بالدرجة الأولى في التربية الروحية، فعطاء صلاة الجماعة والاصطفاف فيها لا فرق بين غني وفقير وأمير وخفير، وفيوضات قراءة القرآن الروحية والنورانية، وتجليات الرحمة الإلهية على رواد المسجد لا تنقطع ولا تنتهي..

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلونه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»**.

أما المدرسة: فمهمتها - كما هو معروف - يتمحور حول التربية العلمية والعقلية والثقافية واستكمال بناء الشخصية من خلال مناهج تعليمية ومدرسية تربوية.

فهلا حققنا لهذه المؤسسات التربوية الثلاث التواصل والتنسيق بينها ليتكامل التيار.

بناء الإنسان الذي وصفه أحدهم بقوله : إن بناء المصانع أمر سهل ميسور.. لكن **الشيء الصعب هو بناء الإنسان**. إن الإشكالية الأساسية تكمن في التناقض بين المناهج المأخوذ بها في مدارس عالمنا العربي وأغلبها علمانية ومنهج المسجد ومنهج البيت.. ثم إن مجهودات هذه المؤسسات وتوجيهاتها تكاد تتحطم على

صخرة عتيدة هي وسائل الإعلام.

والإنسان مدني بطبعه يؤثر ويتأثر، وبقدر ما يعرض على منافذ الحس والإدراك من سمع وبصر يكون مقدار التأثير، ومرحلة الطفولة المتأخرة مرحلة خطيرة لقربها من مرحلة المراهقة لأنها مرحلة شديدة التأثر والالتقاط، فهي مرحلة النمو السريعة في كل الجوانب من سلوكية ولغوية وعاطفية، وللمجتمع المحيط بالطفل تأثيره في نموه واتجاهاته وخاصة ما يقع أثره على الجوانب السلوكية.. والكارثة أن أوقات الفراغ عند الأطفال والمراهقين مسخرة فقط للتليفزيون.

وفي أيامنا غزت المجلات الخليعة بيوتنا من الميكي ماوس إلى البوكيمون أي من الفأر الأمريكي إلى الدب الياباني.. ولا نخفي رؤوسنا في الرمال ونتعامى عما يعرضه التليفزيون من برامج يطلق عليها ترفيهية، ومنها أفلام العنف التي يعرضها التليفزيون، فإذا بأطفالنا يقلدونها ويستوعبونها ويتقمصون ما فيها من عنف، وكذلك ما تقوم به الفضائيات ونحن نعيش عصر القرية الواحدة، فتقوم بالبث المباشر الذي قد يستهدف العقيدة والنيل من القيم الإسلامية الغالية.

ويرى بعض خبراء الإعلام [1] أن دور الأسرة بدأ يتراجع عما قبل بسبب الغزو الإعلامي، بل إن هناك معركة قائمة اليوم بين الأسرة ووسائل الإعلام وإن كافية خفية لا يعرف أحد مداها، ولنا أن نتمثل قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه ::: إذ كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

فإن أجهزة الإعلام كما يقول الدكتور محمود عمارة تهدم في ساعة ما يبنيه الدعاة في عام [2].

ويقول : **إن الواعظ معذور** إذن أمام هذه المفارقات، بل أقول أمام هذه التحديات، ومن هذه البرامج يعرضها التليفزيون الموضة في الأزياء، وقص الشعر، ولبس الباروكة، وألوان المساحيق، ومذاهب الرقص باسم الفن الرفيع.. إلى غير ذلك من هذا الغزو الوافد

(1) انظر: مجلة الوعي الإسلامي؛ العدد 328، ص 63 - 65.
(2) انظر: نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية؛ د. محمود عمارة، ص 239.

والحضارة الغربية.. فيرى الناشئ هذا في بيوتنا ساعات وساعات، ثم نتساءل : أين دور الدعاة ؟ أين ذهبوا في مجتمعنا ؟ ونتذكر قول الشاعر :

ألقاه فى اليم مكتوفاً وقال لـــه ::: إيـــاك إيـــاك أن تبتـــل بالمـــاءِ

وللأسف فإن الميزانيات الضخمة مرصودة لمثل هذه البرامج ترويجاً لها بطبيعة الحال، بينما تندب البرامج الدينية حظها، والتي هي متواضعة في أغلب الأحيان.

ومرة أخرى : كيف يبلغ بناء الواعظ تمامه.. إذا كان التيار كاسحاً على هذا النحو، وكانت إمكاناته مع ذلك ضعيفة إلى هذا الحد ؟ (1)

إن الإعلام العلماني يخاطب الفئة الضعيفة واللامبالية في المجتمع بأسلوب تافه ومبتذل لأنه لا يرتكز على أسس عقائدية أخلاقية ذات مبتغى وهدف بناء، وإنما يسعى فقط لإيصال ما يريد إلى جمهوره حتى وإن كان الأسلوب غير أخلاقي، فارغ المحتوى، وغاية ما يطلبه هو أن يؤثر على مستمعيه بأية صورة كانت.

لكنا – ونحن في عصر السماوات المفتوحة والفضائيات – نريد إعلاماً إسلامياً يرى الأحداث والقضايا والأخبار والعلاقات من منظور إسلامي وإبلاغ الناس دعوة الله بما جاء به القرآن ورسخه رسول الإسلام يعمل على تسخير الوسائل والأساليب الإعلامية من أجل بيان الحقائق الإسلامية ويصل إلى قلوب الجماهير بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويعمل على غرس الثقافة في النفوس ويصون المفاهيم الإسلامية من التحريف ويؤصلها من أجل الحفاظ على هويتنا.. تبليغ رسالة الإسلام وتوضيح صورته.. وتعبئة الأمة الإسلامية بالمعنويات، ويرد على شبهات المشككين في الإسلام، ويربط بين الدين والحياة ويبين أنهما جزء لا ينفصلان، ويعمل على بث الفضيلة ومحاسن الإسلام، والتنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال، وإشاعة العلم الشرعي والفقه الإسلامي، وتوجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة الإسلامية.

ولن يتأتى ذلك إلا من خلال : المصداقية، والأصالة، والمعاصرة، والحكمة في الدعوة،

---

(1) نفس المرجع؛ ص 241.

والدعوة على بصيرة، وإحاطة تامة بالفكر الإسلامي، واستيعاب الوسائل الإعلامية للتكنولوجيا وأهم تقنيات العصر.

إننا ونحن نعيش في عصر ثقافة العولمة، عصر المبالغات بالصوت والصورة من أجل تبليغ وتغليب الأفكار، وإننا لم نتسلح لمواجهة الآلة الإعلامية الدولية الجبارة، فإننا سنخسر، ونخسر كثيراً أمام وسائل الإعلام المنظورة والتي تضخ من خلالها سيولاً متدفقة من ثقافة أصحابها وقيمهم الهابطة، ثقافة الإلحاد والجنس، وقيم رأس المال [1].

فهل من مجيب ؟! نحن نريد أن نكون ونتحاور مع الحضارات بإعلام إسلامي وإلا فسوف لا نكون [2].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(1) مجلة منار الإسلام: رمضان 1423هـ، ص 6 - 9.
(2) نفس المرجع؛ صفر 1427هـ، ص 92.

المقصد الثاني:

المرحلة الثانية: مرحلة التحصيل والتأهيل النظامي بالجامعات

في مصر مثلاً أعرق جامعة عرفها التاريخ هي جامعة الأزهر [1]، فكلياتها المتخصصة في علوم القرآن والقراءات بطنطا، وكليات أصول الدين والدعوة الإسلامية بالقاهرة وأسيوط وطنطا والمنوفية والمنصورة بها أقسام: التفسير والحديث والعقيدة والفقه وعلوم الدعوة والإرشاد، وتمنح درجة الليسانس (العالية) بعد دراسة منتظمة أربع سنوات يستوعب طالب العلم فيها العلوم الشرعية وغيرها من العلوم اللازمة لإعداد الداعية وتثقيفه الثقافة المناسبة، وإن كان ينقصها مقرراً في الثقافة العلمية وآخر في الاقتصاد الإسلامي..

يلتحق بها الطالب بعد اختبار ومقابلة شخصية يتم التأكد فيها من صلاحية الدعوة والتعرف على إمكانياته عن طريق اختباره في القدرة، والوقوف على حسن مظهره، وسرعة بديهته، وتوافر حد أدنى عنده من أساسيات العلم والثقافة الدينية، وتوافر حد أدنى كذلك من قوة الشخصية وحسن السلوك.. وحفظ القرآن كاملاً أو على الأقل القدر الأكبر منه، وحفظ جملة من الأحاديث النبوية في العبادات والمعاملات والأخلاق، ووجود ميول أو رغبة في العمل في حقل الدعوة. [2]

ويا حبذا لو صاحبت الطالب أثناء فترة دراسته ومراحل إعداده بطاقة، تفيد تقدمه فى دراسته وسلوكه وقد أحسنت الجامعة صنعاً عندما جعلت الامتحان في حفظ القرآن تحريرياً وشفهياً طوال سنى الكلية، يخص كل سنة من سنوات الدراسة ربع القرآن؛ حيث يمتحن الطالب في الربع الأول للقرآن، وفي السنة الثانية في نصف القرآن، وفي السنة الثالثة في ثلاثة أرباعه، وفي السنة الرابعة في حفظ القرآن كله. كما أعادت الجامعة إلى صحن الأزهر التحلق حول أعمدته ودراسة كتب التراث باسم كلية الدراسات الإسلامية والعربية.

هذا واستعانت وزارة الأوقاف الإسلامية بخريجي كليات اللغة العربية والشريعة والقانون

---

(1) انظر: الأزهر جامعاً وجامعة؛ محمد كمال السيد، ص 208.

(2) انظر مجلة: منبر الإسلام؛ صفر 1426 هـ، ص 95.

والدراسات الإسلامية والعربية ودار العلوم من خطبة الجمعة، وكذلك حملة الماجستير والدكتوراه من هذه الكليات من اعتلاء منابرها وخطب الجمعة.

وفي بلاد المغرب وتونس يقوم جامع الزيتونة منذ عام 114هـ والقروين في فاس (245هـ) بمجهود يشكر في إعداد الدعاة.

وفي المملكة السعودية تقوم كلية الدعوة والإعلام الإسلامي وكليات أصول الدين وكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية وكلية الحديث الشريف وكليات الشريعة وكليات اللغة العربية بكل من جامعة الملك سعود التي أنشئت عام 1377هـ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي أنشئت عام 1373هـ، وجامعة الملك عبد العزيز التي أنشئت في عام 1378هـ، وجامعة أم القرى التي أنشئت عام 1401هـ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي بدأ في إنشائها عام 1381هـ.. ولهذه الجامعات فروع في كل من :

دولة الإمارات العربية المتحدة - موريتانيا - إندونيسيا - اليابان - جيبوتي - الولايات المتحدة الأمريكية.

ويتلقى جميع طلاب الجامعات مكافآت شهرية ويوفر لهم السكن والكتب والرعاية الصحية، بالإضافة إلى وسائل النقل من وإلى بلدانهم التي يأتون منها، وذلك مساهمةً في إعداد الدعاة إلى الله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(ب) معاهد إعداد الدعاة

حيث قامت جماعة أنصار السنة المحمدية، وكذلك الجمعية الشرعية العاملين بالكتاب والسنة بإنشاء معاهد إعداد الدعاة مدة المعهد أربع سنوات دراسية حيث تقبل أصحاب المؤهلات المتوسطة (الثانوية العامة والدبلومات المختلفة) لدراسة العلوم الشرعية من الكتب الدراسية التي تختارها بمعرفتها، ومعظمها من المتون وكتب التراث التي ترشحها كل جماعة منها، وتعتمد خطتها الدراسية من رئيس القطاع الديني بوزارة الأوقاف المصرية [1].

وتقوم كل جماعة بتنفيذها بمعرفتها وليبلغوا درجة الدعاة، **وحيث تكون دعوتهم إلى الله على بصيرة ويجعل أحدهم كحد أدنى مستوعباً لهذه الصفات :**

- أن يكون قوي الصلة بربه وقدوة لغيره آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، قادراً على الجهر بكلمة الحق.
- أن يقصد بما يقدمه من أعمال وجه الله والدار الآخرة وأن يبتعد عن الرياء والمجاملة في الحق، زاهداً مما في أيدي الناس.
- وثيق الصلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ دراسة وتأملاً واستنباطاً وعملاً.
- أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية، ذا حجة قوية وأسلوب مقنع.
- أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله عالماً بأحكام تجويده.
- أن يكون ثروة هائلة من النصوص واللغة.

لذلك يتم انتقاء الطلاب المتقدمين على أساس حسن المظهر وإتقان حفظ القرآن الكريم، والإلمام ببعض الأحاديث النبوية، وكذلك السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والفقه، المشهود له بالتقوى والاستقامة. وهؤلاء يتم تزويدهم علماً بثقافة الداعية خلال سنوات الدراسة الأربع.

---

(1) مقابلة خاصة مع الأستاذ فتحي عثمان؛ وكيل جماعة أنصار السنة والمشرف العام على معاهد إعداد الدعاة بالمركز العام يوم 11/ 11/ 2007م..

أما المنهج العملي فيتضمن :

- التدريب على فن الخطابة وأساليبها وكيفية الإعداد للخطبة وكيف يلقيها وأن يتم التدريب تدريجياً.
- لا يمكن من خطبة الجمعة حتى يدرب عليها في أكثر من موضع، وبعد أن يمر بالتقويم والإصلاح.
- أن يدرب لسانه على النطق الصحيح للكلمات والجمل والحرص على المحافظة على الإعراب حتى يستقيم لسانه على ذلك.
- يجب أن يشمل المنهج العملي الملاحظة على جوانب السلوك والأخلاق والاستقامة على الطريق السوي حتى يكون الخطيب الإمام قدوة لمن يراه ويسمعه ويحتك به[1].

* * * * *

(1) انظر: المسجد وتأهيل الإمام؛ عبد الله قاسم، ص 311 - 312.

(ج) المراكز الثقافية التابعة لوزارة الأوقاف

ومدة الدراسة بها سنتان، ويختار الطلاب من المتقدمين لها على ألا يزيد السن عن 50 سنة، وأن يكون حافظاً على الأقل لخمس أجزاء من القرآن (أي خمسة أجزاء)، ولديه ثروة من الثقافة الدينية وأن يكون حاصلاً على مؤهل عال بشرط أن يكون غير أزهري.

وتوزع المقررات على السنتين الدراسيتين، وبعد اجتياز النجاح فيهما يقضي فترة تدريبية مدتها شهر يشرف عليه فيها قادة من القيادات العاملة بوزارة الأوقاف يومين من كل أسبوع خلال هذا الشهر يدرب فيها البنون على المحاضرات وإلقاء الخطبة والدرس، أما السيدات فيدربن فيها على المحاضرات والدرس، والجدول الآتي بعد يوضح خطة الدراسة.

ونعتقد أن مما يزيد في نفع معاهد إعداد الدعاة :

- أن يقوم بينها تعاون مثمر.
- أن تزود هذه المعاهد بوسائل جديدة ومكتملة.
- أن تنشأ حركة رحلات متبادلة بين طلبة تلك المعاهد للتعرف على الوطن والتدريب على الدعوة فيه.
- أن يعمل فيها علماء صالحون ودعاة عاملون.
- أن تنصفهم الدولة بعد تخرجهم مالياً.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

وزارة الأوقاف

الإدارة العامة لمراكز الثقافة الإسلامية

المنهج الذي اعتمده معالي الأستاذ الدكتور الوزير في 2007/5/17

المادة	عدد الساعات	السنة الأولى	المادة	السنة الثانية
التفسير وعلوم القرآن	64	سورة محمد، الفتح، الحجرات، النجم، القمر، المجادلة، الواقعة، الطلاق	التفسير وعلوم القرآن	تفسير سورة النساء كاملة من ص (1) إلى ص (164)
مدخل في علم التفسير		من ص (1) إلى ص (84)	مدخل في علم التفسير	من ص (127) إلى ص (184) من ص (231) إلى ص (237)
الحديث وعلومه	64	الكتاب كله مقرر (خمسون حديثاً)	الحديث وعلومه	خمسون حديثاً من ص (1) إلى ص (261) من ص (218) إلى ص (254)

المادة	عدد الساعات	السنة الأولى	المادة	السنة الثانية
الوجيز في علم الحديث		المقرر من : ص (7) إلى ص (19) من ص (23) إلى ص (71) من ص (103) إلى ص (114)	الوجيز في علم الحديث	المقرر من : من ص (116) إلى ص (124) من ص (137) إلى ص (141) من ص (149) إلى ص (154) من ص (156) إلى ص (160) من ص (217) إلى ص (236)
فقه العبادات	64	الطهارة - الغسل - الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج من ص (1) إلى ص (253)	فقه الأسرة	الكتاب كله مقرر مع حذف من ص (109) إلى ص (130) وهي المحرمات من النساء
			مذكرة في علم المواريث	المذكرة كلها مقررة وهي مكملة لكتاب فقه الأسرة من ص (1) إلى ص (108)

المادة	عدد الساعات	السنة الأولى	المادة	السنة الثانية
النحو	32	الكتاب كله مقرر	النحو	الكتاب كله مقرر
تاريخ تشريع	32	الكتاب كله مقرر	أصول الفقه	الكتاب كله مقرر
السيرة النبوية	32	صور من حياة الرسول (ص) في مكة الكتاب كله مقرر	السيرة النبوية	صور من حياة الرسول (ص) في المدينة الكتاب كله مقرر
تاريخ المذاهب	32	الكتاب كله مقرر	تاريخ الأديان	كتاب (الدين) الكتاب كله مقرر

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(د) إعداد الداعي ذاتياً

وهناك أمثلة لدعاة أعدوا أنفسهم للدعوة بجهود ذاتية، حيث رأى في نفسه الكفاءة والموهبة وأتقن وسائل الدعوة مثل أبو الحسن الندوي وابن باديس..

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والبصيرة : إشراقة الروح، وينشأ ذلك عن علم ممتزج بالتقوى.

فالعلم وحده ليس كافياً، والتقوى ليست وحدها كافية، بل لابد من امتزاجهما معاً.

وعندما تتشبع روح الداعية بحقائق العلوم وأسرارها ويحسن صلته بالله ويخلص نيته لوجه، فقد تكونت بصيرته واستنارت بنور الله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وتعد التقوى زاد الداعية التي يبلغ بها أعلى الدرجات، **ولكي يصل الداعية إلى درجة التيقن يجب عليه أن :**

- يعاهد نفسه على فعل الخير وترك الشر، ففاقد الشيء لا يعطيه.
- يراقب نفسه في خطواتها مراقبة ذاتية دقيقة.
- يحاسب نفسه من آن لآخر حتى يستدرك خطأه.
- يجاهد نفسه حتى يصل بها إلى ترك المعصية تماماً.

وإذا كان الإسلام أراد من أتباعه أن يكونوا دعاةً، فقد أمرهم بالتفقه في الدين أولاً ثم ينذروا ثانياً، كما جاء في الآية 122 من سورة التوبة حيث قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

إن البصيرة دقة الفهم للدين والدنيا معاً.. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

ولا يكون الداعية بصيراً إلا إذا جمع بين أمرين :

الأول : ثروة طائلة من نصوص الكتاب والسنة لتكون رصيداً عنده لأي داء وافداً ومرض عارض.

الثاني : إحاطة تامة بطبيعة البيئة وأحوالها ومتغيراتها.

فإن لم يجمع بين الأمرين فلا يصلح أن يكون داعية [1].

وفيما يلي بعض العلوم الضرورية التي لا غنى للداعية عنها :

[1] القرآن الكريم وعلومه :

- لابد من اقتران الحفظ بحسن الترتيل، فلا يغني أحدهما عن الآخر، ويحسن بالداعية أن يكون ملماً بأحكام التجويد عملياً ونظرياً بالقدر الذي يعينه على تعليم جمهور مسجده أحكام التلاوة.
- المطالعة المستمرة في كتب التفسير المختلفة، وبخاصة كتابي ابن جرير والطبري وتفسير ابن كثير.
- دراسة كتاب في علوم القرآن ليكون على بينة بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.. الخ، ويفيد في ذلك بعض المصاحف المطبوع على هامشها أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومعاني الكلمات.

[2] السنة النبوية وعلومها :

- بحيث تكون لديه الحصيلة الكافية من الأحاديث التي يستشهد في المناسبات والأحداث المختلفة، ويحسن به دراسة مختصر صحيح البخاري ومختصر صحيح مسلم ورياض الصالحين وأذكار النووي وشمائل الترمذي.
- يحفظ الحديث ليرويه كما جاء في كتب السنة ويوضح درجته ويعرف مفرداته ولغوياته وأن يعرف ما يدل لديه حتى يستطيع أن يستشهد به في موضعه [2].

[3] أصول التوحيد والعقيدة :

من الكتاب والسنة النبوية ويحسن أن يتعلم أصول العقيدة من كتاب معتمد مختصر على مذهب أهل السنة والجماعة ككتاب (لمعة الاعتقاد لابن قدامه) أو (العقيدة الواسطية لابن تيمية) ونحوها.

---

(1) انظر: مع الله؛ الشيخ محمد الغزالي.
(2) انظر: دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني؛ ص 362.

[4] علم الفقه :

- أن يدرس مختصراً في فقه العبادات والمعاملات وما يحتاجه من أبواب وليعلم أن التمذهب ليس بلازم شرعاً، مع التعرف على أحكام الحلال والحرام في المأكل والمشرب والملبس والزينة والبيت والعمل وعليه مصاحبة كتاب الإجماع لابن المنذر فهو عونه فيما أجمع عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات.

[5] علوم مكملة :

- فيلم بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي من كتب ميسرة مثل : تهذيب سيرة ابن هشام، ومن الكتب المعاصرة مثل الرحيق المختوم للمباركفوري ومطالعة سير الخلفاء والعلماء الصالحين (فإنما ترق القلوب بذكر الأحاديث وأخبار السلف الصالحين)[1].
- ومن العلوم اللازمة مفاتيح العلوم مثل أصول الفقه للمبتدئين للأشقر، وتيسير مصطلح الحديث للطحان، ومباحث في علوم القرآن للقطان، وفي أصول التفسير مقدمة ابن تيمية، وذلك بحسب الطاقة.
- ومن العلوم المكملة : علوم اللغة والأدب، فيدرس مختصراً في النحو كالأجرومية، وكتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم..
- وأيضاً الثقافة العامة ليشعر الجمهور أن محدثهم مثقف من ناحية، ومن ناحية أخرى يعيش همومهم وآمالهم، مما يكون له أعظم الأثر في نفوسهم، مع قراءة كتاب في أصول الدعوة والخطابة وكيفية إعدادها وإلقائها، وتعلم اللغات عند الحاجة.

وهنا يُطرح سؤالٌ تجب الإجابة عنه وهو : كيف يستطيع الداعية أن يحصل هذه العلوم وهو لم يلتحق أصلاً بأي تعليم رسمي ؟ وأي الطرائق أنفع له ؟

والجواب عن هذا السؤال يختلف باختلاف الحال :

أ- **إما بالتلقي والسماع من شيوخ علماء** ثقات في علمهم وتقواهم وحسن فهمهم

---

(1) صيد الخواطر؛ ص 197.

للدين والواقع معاً، فقد روي عن مالك ومحمد بن سيرين أنه قال : إنما العلم دين فانظروا عمن تأخذون [1].

ب- التعليم عن طريق القراءة، وقد قال أحد الحكماء : أخبرني ماذا تقرأ أخبرك من أنت ؟

ويضاف إلى ذلك في عصرنا شبكة الإنترنت وما تقدمه من معلومات عن الإسلام.

والأفضل أن يتم الحرص على التلقي عن الشيوخ كل في فنه، وألا يعتمد على الإطلاع المجرد وحده.

وقد قيل : "**من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه**"، وصدق الشاعر حيث يقول:

يظن الغمر أن الكتب تهدي	:::	**أخا جهل لإدراك العلوم**
وما علم الجهول بأن فيها	:::	**مدارك قد تدق عن الفهيم**
ومن أخذ العلوم بغير شيخ	:::	**يضل عن الصراط المستقيم**
وكم من غائب قولاً صحيحاً	:::	**وآفته من الفهم السقيم**

لأن من شأن الأستاذ المرشد الناصح أن يقوم ببناء شخصية تلميذه ويعمل على تنمية عقله وتهذيب سلوكه وإعداد للتفاعل مع المجتمع وقضاياه الحية وأن يراعي في تدريسه مرحلة الطالب، فيقصد إفهام المبتدئ تصور المسائل وأحكامها فقط، وأن يثبتها بالأدلة إن كان العلم مما يحتج له عند من يستحضر المقدمات، وإما إيراد الشبه إن كانت وحلها فإلى المتوسطين والمحققين [2].

يقول ابن خلدون : " إن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فلقاء أهل العلم وتعدد المشايخ يفيده تمييز المصطلحات بما يراه من طرقهم فيها " [3]

(1) الفقيه والمتفقه؛ للبغدادي، 2/ 96.

(2) انظر: بصائر ذوي التمييز؛ للفيروز أبادي، 1/ 51.

(3) انظر: مقدمة ابن خلدون؛ ص 498.

وبالرغم من اتفاق العلماء على **أن العلم الشرعي لابد لــه من التلقــي** عنا لشيوخ إلا وجدنا أن مثل عليّ بن رضوان المصري (453هـ) يدعو إلى الأخذ من الكتب مباشرة وأنها أوفق من التلقي عن الشيوخ وألف في ذلك كتاباً [1].

وقد رد عليّ ابن رضوان كثير من العلماء مثل الذهبي في سير أعلام النبلاء والصفدي في الوافي والزبيدي في شرح الإحياء، **ونخلص ردودهم فيما يلي :**

1- أن الذي يعتمد على الكتاب لم يسلم من التصحيف من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، فمثلاً ابن سينا لم يسلم من التصحيف، وقد اتخذ العلماء موقفاً من الفقهاء الذين يأخذون علمهم من الكتب لا من الشيوخ فقال أبو زرعة : " ولا يفتي الناس صحفي ولا يقرئهم مصحفي " [2]..

وقد رأى سلفنا الصالح حين قالوا : "لا تأخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي" أي من الصحف والكتب وحدها.

2- أن الذي يقتصر في علمه على الكتب يفتقد عنصر الاقتداء والتأثر بأخلاق العلماء وآدابهم وبالتالي لا يتورع، وقد قيل أن سلاطة لسان ابن حزم سبباً لذلك حتى قيل إن لسانه وسيف الحجاج شقيقان" [3]، سبب ذلك أنه لم يلازم الشيوخ ولم يتأدب بأدبهم [4].

3- إن كتب السلف وتراجم العلماء مليئة بأسماء شيوخهم وسيرتهم مع من تلقوا عنهم، كما أن كتب أهل العلم طافحة بآداب الطالب مع شيخه مما يدل ذلك على بدهية ذلك عندهم.

- ومن ذلك تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف؛ إذ العلم عبادة القلب وصلاة السحر.

---

(1) انظر: سبل أعلام النبلاء؛ للذهبي، 18/ 105.
(2) وفيات الأعيان لابن خلكان 3/ 328.
(3) وفيات الأعيان لابن خلكان 3/ 328.
(4) انظر: الموافقات؛ للشاطبي، 1/ 93.

- ومنها تقليل علائقه بالاشتغال بالدنيا والبعد عن الأهل والوطن، ومنها ألا تتكبر على العلم وألا يدخله العجب ولا يتآمر على المعلم، وأن يحترز عن الإصغاء، وألا يدع فناً من العلوم المحمودة إلا نظر فيه.
- أن لا يخوض في فن ما دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب والتدريج فيبتدئ بالأهم، فإن العمر لا يتسع لجميع العلوم، فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه،ويصرف جمام قوته في الميسور في علمه إلى استكمال علم الآخرة، لأن البناء على غير أساس لا يبني والثمر من غير غرس لا يجني [1].. وهذا ابن خلدون يقول : "مفيداً التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً " [2].
- وأن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه.
- ومنها أن يعلم أن نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره.. الخ [3].

والحقيقة أن الاعتماد الكلي في تلقي العلم على الشيوخ لا يصح، كما أن الاعتماد الكلي في تلقي العلم على الكتب لا يصح، ونرى أن يبدأ طالب العلم بالتلقي عن طريق الشيوخ، فإذا ما حصّل مبادئ العلم والوقوف على مسائله، فلا مانع بعد ذلك من الإطلاع بنفسه على كتب العلم الموثوقة، وقد فعل ذلك من قبل إمام الحرمين الجويني حينما درس علم الأصول على شيخه أبي القاسم الأسفرابيني، وأبو حامد الغزالي تتلمذ على الجويني، والقرافي تتلمذ على العز بن عبد السلام.. وتتلمذ ابن القيم على ابن تيمية.. الخ، ثم أخذوا على الكتب، فجمعوا بين الحسنيين وكان عملهم أتم وأكمل.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(1) انظر: أدب الدنيا والدين؛ ص 550.
(2) انظر: مقدمة ابن خلدون؛ ص 553.
(3) انظر: نموذج من الأعمال الخيرية؛ ص 45 - 55.

المقصد الثالث :

المرحلة الثالثة : مرحلة الصقل والتنمية المهنية للدعاة

(أ) التوجيه.. وخاصة للدعاة المبتدئين

فهناك قيادات في وزارة الأوقاف مسئولة عن التفتيش والتوجيه وخاصة للدعاة المبتدئين لصقلهم، وعلى الدعاة المبتدئين تنفيذ هذه التوجيهات التي تفيدهم في مقتبل حياتهم والأخذ بيدهم، فالقصد من التوجيه هو نقل خبرات ناجمة بمعرفة الموجهين إلى من هو محتاج لها والأخذ بيد المبتدئ مثل :

أ) توجيهات في علم التفسير للقرآن :

- جمع الآيات المتشابهة في الموضوع الواحد وتصنيفها للاستشهاد بها في موضعها.
- **الاهتمام بلباب التفسير والإعراض عن الحشو والاستطراد**، والوصول إلى بيان المراد من كلام الله تعالى، فالداعية لا يؤثر في عقول الناس وعواطفهم بالمباحث النحوية والبلاغية والفقيهة وإنما يؤثر فيهم بما يلجيه من أسرار الحق وأنوار الهداية في كلمات الله.
- **الإعراض عن الإسرائيليات** : والذي بدأ تسربه في أول الأمر قليلاً على أيدي أمثال: كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما، ممن دخل في الإسلام من أهل الكتاب وإذا به الآن تكاد تطفح به بعض التفاسير، وقد أشرنا فيما سبق على أن الإسرائيليات على ثلاثة أقسام : الأول؛ ما يعلم صحته، والثاني؛ ما هو مسكوت عنه، والثالث؛ والأخطر وهو ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفنا من شرعاً أو كان لا يتفق مع العقل، فهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته [1]، وقد نبه ابن كثير في تفسيره إلى ذلك.
- **الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة**، والتي دست على التفاسير مما أدى إلى اختلاط الصحيح من الروايات بالقسيم منها، مثل تعبير الذبيح بأنه إسحاق

(1) انظر: التفسير والمفسرون؛ للذهبي، ص 178.

بروايات وليس إسماعيل، ومثل قصة الغرانيق

- **الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة** أو الشاقة والتأويلات مهما تكن مكانة قائلها، وقد قال عليّ كرّم الله وجهه : " لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله ".

ب) توجيهات في مجال السنة :

- الاهتمام بالسيرة النبوية وخاصة الجزء العملي من السنة.
- جمع الأحاديث في الموضوع الواحد وتصنيفها والحذر من وضع الأحاديث في غير موضعها.
- مقاومة حملة التشكيك في الأحاديث الصحاح مثل حديث الذباب.
- تجنب الأحاديث المشكلة على جمهور الناس لغير الضرورة.
- روى البيهقي في الشعب عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب أو يشق عليهم»**، وقال ابن مسعود : "وما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم.
- الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية بالاعتماد على كتب السنة الصحاح في أخذ الحديث، وقد اهتمت مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة السنة المحمدية بمصر على تنقية الأحاديث منها وتحذير الدعاة من القصص الواهية التي ترد على ألسنة البعض مثل قصة ثعلبة على أنه منافق بينما كان من أهل بدر الذين قال عنهم الرسول ﷺ : **«لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر.. وقال لهم إني قد غفرت لكم»**.

ج) توجيهات في علم الفقه :

- المبالغة في تعليل العبادات بأمور دنيوية، مع أن العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد لا طلب الأدوات والوسائل، فهي مراده لذاتها بغض النظر عما رواءها من منافع وثمرات، وقد رأى أبو حامد الغزالي أن من يصوم رمضان لفائدته الصحية لا يغرها فصومه فيه نظر.

- أو التعليل للأحكام الشرعية بأمر غير جامع ولا مانع مثل تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات ليس إلا.
- وإلا فحسب الداعية أن يقول أن الله لم يحل إلا طيباً ولم يحرم إلا خبيثاً: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولم يشرع شيئاً إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها وعدم العلم بها لا ينفي وجودها فإن علمنا أعجز من أن يحيط بكل حكمة الله تعالى في شرعه أو في خلقه [1].
- الاقتصار على التعليلات المادية في تعليل الأوامر والنواهي، في الحج في نظرهم ليس إلا رحلة كشفية للتدريب على احتمال المشاق، والصيام في نظرهم إنما فرض لإراحة المعدة شهر في كل عام وهكذا.

د) دراسة العقيدة :

- أخذها من الكتاب والسنة وفق مذهب أهل السنة والجماعة مع الاهتمام بأدلة القرآن لإثبات معتقداته.
- أن نتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والقلب معاً من أجل تكوين الإيمان الصحيح وعدم الاعتماد على العقل فقط كما هو اتجاه الفلاسفة، وعلى القلب وحده كما هو اتجاه الصوفية، فشمول المنهج الإسلامي يقوم فيه الإيمان على إقناع العقل وانفعال القلب وصدق الإرادة.
- صرف الهمة إلى مشكلات العقل المعاصر والاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى مثل وجود الله تعالى وتوحيده والقدرات والغض عن المشكلات التاريخية مثل خلق القرآن.
- الاستفادة من ثقافة العصر فيما عرف **بالإعجاز العلمي** كما في كتاب الله يتجلى في عصر العلم ترجمة د.الدمرداش سرحان، والإسلام يتحدى لوحيد خان والله، والعلم الحديث لعبدالرزاق نوفل.

---

(1) انظر: ثقافة الداعية؛ القرضاوي، ص 73.

- أن تتبنى طريقة السلف في وصف الله تعالى بما وصف الله به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم [1].
- تتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم والرد عليها رداً علمياً فكرياً بلسان العصر.

هـ) توجيهات للدعاة في المجال التاريخي :

- اكتشاف العبر والعظة من حوادث التاريخ العديدة والاهتمام بها وإبرازها في المناسبات في أحاديثه.
- أن يكون ذا وعي بلفظ للوقائع التي تخدم موضوعه وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية.
- أن يعنى بسير الرجال ومواقف الأبطال وبخاصة العلماء والدعاة والصالحين كقدوة صالحة.
- أن يهتم بربط الحوادث والوقائع الإسلامية تاريخياً بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية.
- أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة وأثره في تربية الأجيال وتكوين الأمة المسلمة.

هذه بعض نماذج من التوجيهات بغرض صقل الدعاة.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(1) انظر: نموذج من الأعمال الخيرية؛ 131.

(ب) التدريب المهني للدعاة

والتدريب هو نوع من التنظيم والتعاون والتوعية، والمتابعة تهدف بمساعدة الداعي على أداء رسالته مع جماعة، ويقع غالباً على عاتق وزارة الأوقاف أن توفر تدريباً للدعاة والعاملين بها وإعادة تدريب تتناسب مع احتياجات الدعوة الإسلامية والدعاة ومشكلاتهم بغرض العمل على إيجاد حل لها ولمعوقات الدعوة، بغرض الارتقاء بكفاءتهم ورفع مستوى الأداء وتحسينه في حقل الدعوة وصقلهم وتدعيم مواهبهم.

وتوجد لهذه المهمة الهامة إدارة في الوزارة تسمى إدارة التدريب ووظيفتها تصميم وتنفيذ برامج التدريب والإشراف عليها وإعداد المواد التدريبية واختيار المدربين لهذه الدورات وجمع بيانات الدعاة المرشحين للتدريب في نهاية كل دورة تلقى تقارير وتقييم المدربين والاستفادة منها، ومراجعة نتائج التدريب واستخدامها في تحسين الدورات المستقبلية وإصدار النشرات التدريبية التي تحوي توجيهات تهم الدعاة في عملهم.

برامج التدريب ومراحله :

أ – التدريب الفوري : للعاملين الجدد والخريجين بمجرد التعيين للعمل في حقل الدعوة الإسلامية.

ب– التدريب المرحلي : كمحطات داخلية في سلم الترقي من إمام إلى إمام أول إلى مفتش إلى مفتش أول.

ج– التدريب الدوري : لاطلاع الدعاة على المتغيرات مثل : مكافحة المخدرات.. وختان البنات.

د– التدريب المستمر : من آن لآخر وإمدادهم بأحدث المعلومات والمستجدات في مجال عملهم مثل: رأي الإسلام في قضية زرع الأعضاء، وضرورة وتجديد الخطاب الإسلامي، ورأي الإسلام في قضايا الاستنساخ البشري.. الخ.

وقد أخذت وزارة الأوقاف في مصر بعمل مسابقة للدعاة في موضوع تطرحه؛ مثل دور الدعاة في النهوض بالأمة والخروج من مأزقها مما يدعوهم إلى البحث ويحفزهم لذلك.

أهم قواعد التدريب :

ونوجز هنا **أهم قواعد التدريب** ليقوم عليها المنهج في التدريب ولتحدد بموجبها الوسائل والأساليب مع الواقع البشري المتجدد وليظل الجهد البشري ينمو علماً وخبرة وزاداً ووسائل وأساليب :

- دراسة القواعد النظرية في التدريب ووعيها حتى تتضح بشكل قوي وإعادة دراستها حتى يستطيع الداعية عرضها العرض الوافي السليم.
- تقديم المثل الصادق في ميدان التدريب والقدوة الناجحة والأسوة الصادقة حتى يكون المثل الصادق والقدوة الأمينة عوناً على الإقناع والاطمئنان والوضوح.
- الممارسة الأولى التي تحمل المشاركة وتقديم يد العون لتقدم هذه الممارسة نفسها صورة عملية من الشرح والوضوح ولتيسير الممارسة والتجربة.
- الممارسة المنفردة تحت المراقبة والإشراف والدعاية والتوجيه مع ملاحظة الأخطاء وخاصة الأخطاء الشائعة ودراستها وتقويمها ومعالجتها مع ملاحظة أن لا نتخذ هذه الأخطاء بالتشهير بأصحابها.
- الممارسة الإيمانية المنطلقة عن نية صادقة وعلم وخبرة تحت مراقبة وإشراف ورعاية وتوجيه.
- فهم الواقع والاستفادة من الوسائل والأساليب المتاحة لتنمية التدريب للدعاة.
- توفير المرونة في تطبيق قواعد التدريب حتى يستوعب قدرات الدعاة ومواهبهم ومستوياتهم المتفاوتة.
- أن يمثل الإشراف والمراقبة والدعاية والتوجيه نظاماً إدارياً ومنهجاً علمياً حتى لا يصبح التدريب عملاً متفاوتاً تضيع آثاره وفوائده.

- تقويم العمل تقويماً دورياً ومستمراً فإن ذلك أساس منهج البناء ونهج الإعداد والتدريب [1].

ومن عوامل نجاح التدريب وتقويمه :

- تكليف المتدربين وتعويدهم على البحث الهادف مثل جهود العلماء في التحقيق والتخريج والتوثيق للحديث النبوي في العصر الحديث.
- وأثر التقنيات الحديثة في خدمة السنة.
- وإعلام المحدثين في العصر الحديث وأثرهم في خدمة السنة.
- الغربيون وموقفهم من السنة – شبهات المستشرقين وغيرهم حول القرآن والرد عليها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(1) انظر: نهج الدعاة وخطة التربية والبناء؛ د. عدنان علي رضا، ص 122، 123.

(ج) بحوث الدراسات العليا بالجامعات
(ماجستير ودكتوراه)

فالبحث العلمي هو الذي تتوافر فيه روح الوصول للحقيقة بحيث يكون كل طرف في موقف الحياد بين القضية المطروحة، ولا شك أن إعداد الداعي لأبحاث الدراسات العليا في شكل أطروحة درب من دروب التنمية الثقافية والمهنية للدعاة.

أ) بحث لنيل درجة التخصص (الماجستير) :

يكشف عن أفكار الطالب ومواهبه ومدى صلاحيته للتحضير لدرجة العالمية (الدكتوراه).

والأصل في هذا البحث أن يضيف جديداً للعلم ويخدم البشرية، أو يكون تحقيقاً لمخطوطة بحيث تحقيقها يضيف هاماً وجديداً للعلم، إلى جانب إعطاء الطالب فرصة للدخول في الأبحاث العميقة تحت الإشراف المباشر لأحد الأساتذة المتخصصين.

ب) بحث لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) :

ويمكن أن يكون هذا البحث **موضوعا يضيف جديداً للعلم** ويخدم البشرية أو تحقيقاً لمخطوطة لم تحقق بعد، إلا أن هذا البحث يعتمد على مصادر ومراجع أكثر وأكبر والدراسة فيه أعمق وأغزر وأوسع وأشمل ومستوعبة للموضوع من جميع جوانبه، بحيث يشهد هذا البحث على أن صاحبه أصبح ذات قدم راسخة في هذا العلم واسع الاطلاع فيه، وأنه قد نمت عنده ملكة البحث وأصبح يستطيع إجراء البحوث وحده مستقلاً دون إشراف [1].

وفي ذلك يقول حسن محمد عازل [2] : " ويعتقد كثير من الباحثين أن اتساع الموضوع يفيده من حيث الحصول على المادة العلمية وغيرها مما يتصل به، وهذا اعتقاد غير صحيح لأن الغرض من البحث ليس مجرد جمع المادة وعرضها، وإنما البحث عن حقيقة غائبة والكشف عنها ولا يتأتى ذلك إلا بالتعمق في الموضوع والإحاطة به من جميع جوانبه ومعرفة دقائقه

(1) محاضرات في قاعة البحث؛ د. أحمد مختار محمود، ص 14 - 16.
(2) في البحث الأدبي؛ ص 16، 17.

واتساع الموضوع يتنافي مع هذا، ويحول الباحث إلى مجرد جماع لآراء غيره وتختفي شخصيته.

والحقيقة أنه كلما كان الموضوع ضيفاً كلما كانت فرصته الباحث في ثبر أغواره أكبر واكتشاف خفاياه أمكن ونتائجه أصدق وأنفع ".

ومن النماذج والأمثلة لبحوث الدراسات العليا التي أثرت المكتبة الإسلامية والعربية وتعد من المراجع والمصادر الهامة للدعاة :

بحوث الدكتوراه :

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر.
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي؛ دراسة مقارنة للدكتور وهبة الزحلي التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.
- بنو إسرائيل في القرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

ومن بحوث الماجستير :

- قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية للشيخ عواض بن حمدان والتي حصل بها على درجة الماجستير من الجامعات السعودية.
- أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي للشيخ علي أحمد جواد والتي بها على درجة الماجستير حصل عليها من جامعة دمشق.
- أوليات الفاروق عمر للدكتور غالب القرشى التى حصب بها على درجة الماجستير من المعهد العالى للقضاء يالرياض.

ومن الكتب المهمة التي يهم الداعية الإطلاع عليها في ذلك :

- كتاب نحو منهج بحوث الإسلامي للدكتور علي عبد الواحد.

(د) التنمية الثقافية الذاتية

صدق من قال " **أن الجامعة تعطيك مفتاح العلم**.. أما العلم نفسه فلن تبلغ فيه مبلغاً إلا بالاطلاع الذاتي".

وهناك مثل إنجليزي بمعنى " من يمر عليه ثلاثة أيام دون أن يقرأ ويضيف جديداً فكرياً إلى معارفه فلابد أن يقول كلمات فارغة وتافهة ".

ومن هنا تأتي **التنمية الثقافية** [1] وهى مفهوم يتسع لكل مناشط الحياة الإنسانية ومختلف مناحي الجهد البشري، وهي معادل موضوعي لتنمية المجتمع ثقافياً عن طريق الدعاة سواء منهم من كان يعمل تحت المظلة الرئيسية للدولة ومن كان عمله تطوعياً محتسباً لتكون الثقافة عنصراً فاعلاً في تطوير آليات النمو ولتدعيم المجهودات التي تسخر للنهوض بمستويات الحياة ولترقية الإنسان والرفع من قدراته ولتحسين أوضاعه في المجتمع.

ومن **القواعد الرئيسية** في التنمية الثقافية الأخذ بمناهج العلم في التفكير والتخطيط والأداء، والتنمية الثقافية من المنظور الإسلامي تفرض علينا فيما تفرضه تحديد منابع الثقافة الإسلامية. وإن الثقافة الإسلامية الصحيحة ترتكزان على قدمين راسختين هما : القرآن والسنة النبوية الشريفة. وهذان البحران هما الخضم الزاخر التي تنبثق عنه كل المنابع التي تعد الثقافة الإسلامية بالقوة والحيوية والقدرة الدائمة على الإشعاع المستمر.

كما تشمل منابع التنمية الثقافية الإسلامية فيما تشمل مجموع التراث الحي الذي خلفه سلف الأمة الإسلامية لخلفها، وهو التراث الزاخر الذي لا ينضب للحضارة الإسلامية في مظاهرها المتعددة. والتنمية الثقافية أيضاً تتطلب منا القيام بعملية دقيقة لضبط المصطلحات وتقصيرها ولتجلية المفاهيم وتأصيلها حتى لا

---

(1) انظر: مجلة منار الإسلام الإماراتية العدد 383، ص 86 - 89.

تتداخل المعاني ولئلا يقع الخلط في الدلالات. ومنطلقنا في ذلك حقيقة أن السمة الإنسانية هي السمة البارزة في ثقافتنا الإسلامية، وهي السمة التي جعلتها ثقافة مؤمنة إنسانية هادفة بناءة تستجيب إلى حاجات الإنسانية البدنية والروحية **وتلبي طموحاته وتنسجم مع فطرته وتقوي في النفس البشرية حوافز الأمل والثقة** والرجاء ونوازع الحق والخير والجمال والمدخل الوحيد لتلك التنمية هو ضرورة الاطلاع الذاتي.. وتكوين المكتبات الخاصة والعامة، مما يستدعي ثقافة الداعية المسلم في حدود التحصيل الأكاديمي للعلم، والعلم الشرعي فحسب وهو على أهمته لا يعدو أن يشكل نصف الثقافة اللازمة للمهمة الخطيرة والكبيرة للداعية كما يرى د. عبد الصبور مرزوق[1].

إنما تتجاوزه إلى **حفظ القرآن كاملاً ومداومة تلاوته** وما أمكن من الحديث النبوي الشريف وإتقان اللغة العربية والإلمام بثقافة العصر والاطلاع على الصحف والمجلات السيارة، ليكون ذلك مكملاً لثقافته الشرعية ومعيناً على استكمال متطلبات القيام بواجب الدعوة إلى الإسلام.

وكما أن التحصيل الشرعي كان بالقراءة والمذاكرة، فإن إتمام دور هذا التحصيل وإكمال دائرته حتى يسرق نوره ويشع على من حوله لن يكون إلا بنشاط واجتهاد ووسائل تشكل القراءة واحدة من أعظم قواعده وأمكن أسسها.. **وألا يكون الداعية ران على عقله** الصدأ والتجمد الثقافي فلن يملك الداعية أن يكون معالجاً للواقع المريض إلا بمعرفة أمراضه وكشف أسبابها ووصف أدويتها ولن يكون مؤثراً في نفوسهم ولا مغيراً في سلوكهم إلا بالعلم والحكمة والوعي تلك التي تجتمع في إطار ثقافة خاصة لا يكتمل تحصيلها بغير القراءة الواعية المستقلة.

وهذه الثقافة **ستكون سلاحه الذي يواجه به جهل الناس** بقيم الإسلام وأحكامه وانشغالهم الفرط بشئون دنياهم هم عن أمور دينهم وغفلتهم عن اتخاذ الإسلام

---

(1) انظر: مجلة منبر الإسلام؛ شعبان 1417هـ، ص 82 - 85.

أساساً لإصلاح الواقع وبناء المستقبل، حيث تتعاقب فيه المستجدات والمتغيرات وتدور فيه علة الأحداث بسرعة تمهل حملة الدعوة وفرسان التوعية والتذكير، فينعكس ذلك على خطابهم الدعوي فبدا فقيراً معزولاً عن الواقع.

ولذلك فإن **على الداعي أن يصحب الكتاب** وألا يجفو القراءة وعليه أن يستزيد من العلم، ويزاول الاطلاع على المصادر الثقافية سواء من كتب التراث أو المجلات والدوريات التي تعتبر من أهم روافد الواعي بالحاضر ونوافذ الاطلاع على واقع الحياة.. إلى جانب الثقافة العلمية المبسطة التي باتت في أيامنا سهلة قريبة من الجميع.

فأكثر المساجد اليوم فيها **مكتبات إسلامية** عامة يفخر بها الإسلام توفر قاعدة مرجعية للدعاة (1) لاسيما كتب التفاسير وكتب الحديث الموسوعية إلى جانب كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والعقيدة والفقه المتعددة.. الخ.

كما ندعو الدعاة إلى أن يكون كل منهم **مكتبة خاصة** يرجع إليها في منزله، فالقراءة حركة إلى الأمام تنور الذهن وتضيء أجواء النفس وكشف خطاياها.. القراء فتح لمغاليق البصيرة وسبر لأغوار الطريق.. والقراءة قوة للعقل وزاد للروح وإرواء للقلب، بل هي عبادة لله تعالى.

والقراءة هي استزادة من بحر العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والقراءة تصفية لعدسة التأمل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وتجلية لعين الكشف: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وتقوية لملكية الاستنباط وتوسيع لدائرة الرؤية وتنمية ملكات التصوير والتحليل والمقارنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقد استفاد علماؤنا من مكتبات المساجد، فلنقتدي بهم مثل ياقوت الحموي

(1) انظر: المكتبات في الإسلام؛ محمد ماهر حماده، ص 5، 82.

وابن القوطي وابن خلكان[1] وابن أبي صبيعة وابن خلدون وغيرهم.

بل إن وقف الكتب عند المسلمين كان العامل الأساسي في توفير المعرفة لطلاب العلم، وأن هذا النمط من الوقف أسهم في انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة في التاريخ الإسلامي[2] في المساجد والجوامع.

وفي ختام هذا الموضوع : على الداعية الإسلامي أن يقرأ ويدرس ليحارب علمهم الغير إسلامي بأسلحة العلم، **فيحارب العلم بالعلم ويفل الحديد بالحديد.**

* * * * *

(1) نفس المرجع؛ ص 190.
(2) انظر: الوقف وبينية المكتبة العربية؛ د. يحيى ساعاتي، ص 24.

الباب الثالث:
العمليـــة الدعويـــة
وتطويـــر الخطـــاب الإسلامـــي

اتضح لنا مما سبق أن الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام علم وفن وموهبة وثقافة وتقوى وإخلاص..

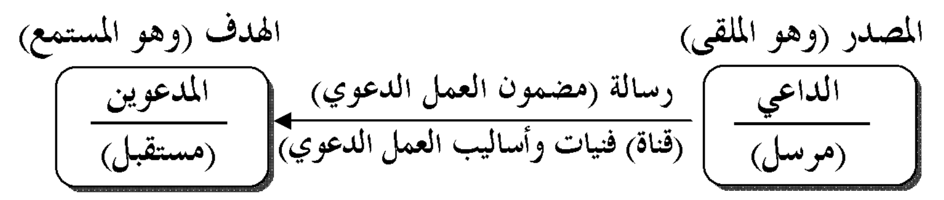
علم له أصوله وقواعده وضوابطه، وفن له خصائصه ومميزاته ومحدداته الخاصة به وثقافة أيضاً.

وعلى هذا تكون الدعوة عبارة عن مجموعة من العمليات المركبة والمعقدة والمتشابكة تحكمها مستويات ثلاثة هي : مستوى العلم والثقافة بأبعاده وقواعده ومستوى الفن والموهبة بأبعاده وقواعده أيضاً ومستوى الوجدانيات الروحية بأبعاده ومجالاته الروحية وقواعده.

* * * * *

المقصد الأول:
العملية الدعوية باعتبارها عملية اتصال بالجماهير

وقد ارتفعت عملية الاتصال الدعوي خاصة دون غيرها من عمليات الاتصال نظراً لما اختزلته في أركانها الأربعة الرئيسية : الداعية – الدعوة – المدعوين – فنيات وأساليب العمل الدعوي من كم هائل من القضايا والمسائل المميزة ذات الصلة الوحيدة برسائل ورموز ومضامين وقيم التوجيه السماوي التي لا يمكن التهاون فيها فهماً أو عرضاً أو إلقاء توصلاً أو تعبئة أو تأثير منطلقاً وممارسة ووسيلة وغاية.



فهي تهدف كعملية اتصال بالجماهير المستقبلة بالرسائل والمضامين والقيم الربانية السامية جهة وإحداث التأثير والتغيير المرغوب في سلوكياتهم واتجاهاتهم ومحاولة تشكيل تصوراتهم وقيمهم ووجداهم ورؤاهم من جهة ثانية نحو العقيدة السليمة وقواعد الإسلام، وذلك من خلال تفاعلات وتشابكات جملة من العمليات الجزئية المنفصلة النفسية والعقلية والفكرية الذهنية والجمالية، ضمن إطار العملية الدعوية الكبرى لدى العملية الدعوية الكبرى لدى الداعية أو المدعوين [1].

كما تهدف إلى حسن التعامل التقني مع سائر المنجزات والوسائل التقليدية والحربية ومحاولة تسخير مساحات منها خدمة للرسائل الدعوية السامية بما يتناسب وثقافات وقيم وتوجهات ودوافع ومستويات الرسالة الدعوية للرقي بالجماهير المدعوة [2].

وتبرز صعوبة عملية الاتصال الدعوي دون غيرها من عمليات الاتصال بالجماهير المدعوين أن الجمهور المستقبل للرسالة الدعوية محاط بزخم كبير من الرسائل الأخرى السياسية والاقتصادية والتربوية والإعلامية المنافسة التي تشغلهم عن التركيز والانسياق

---

(1) انظر د. عبد الله شحاته: الدعوة الإسلامية والإعلام الديني؛ ص33 - 38.
(2) انظر: مجلة الوعي الإسلامي؛ العدد 476، ص 28 - 30.

إليها[1]، مما يجعلها في حيرة من أمرها في تحديد واختيار الجهة المرسلة والتفاعل معها ولـن يتمكن الدعاة من ذلك إلا ببذل كـل جهـده وإمكانياتـه لجـذب انتبـاه الجمهـور المسـتقبل ووضع بؤرة الإدراك الواعية ولفت نظره لرسالته دون سواها [2].

ولن يتم لـه القيام بذلك إلا إذا أتقن عمله الدعوة والديني أيمـا إتقـان بـدءاً مـن مضـمون ونوعية الرسالة الدعوية المناسبة لجمهور المدعوين الحقيقيين والمرتقبين رسالة مروراً بالمؤثرة والفاعلة التي تتكفل بحمل رموز الرسالة الدعوية وتبليغها لجمهور المدعوين بأيسر وأسـرع الطـرق وانتهـاء بدراسـة أصـناف المـدعوين وأنـواعهم والتعـرف والإلمـام بكـل ظـروفهم ودوافعهم وميولهم المختلفة [3].

ويمكن إجمال العناصر الجذبية الأساسية فيما يلي :

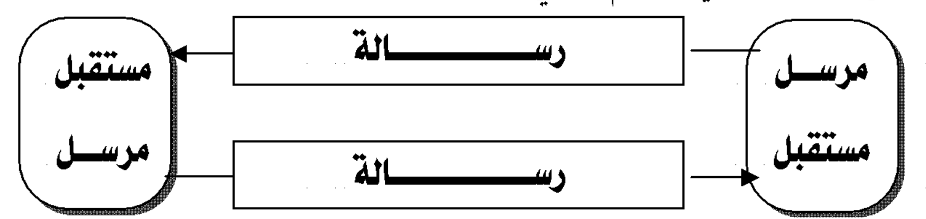
- تفهم خصائص وظروف وأوضاع وتفسيات وأحوال الجمهـور المسـتقبل الحقيقـي والمنتظر منه.
- إدراك طبيعـة الوسـيلة الدعويـة المنتقـاة ومـدى انسـجامها مـع مضـامن الرسـالة الدعوية من جهة ومع القائم بعملية الاتصال الدعوي من جهة أخرى.
- فهم دوافع واتجاهـات المـدعوين الحقيقيـة وميـولهم الدقيقـة في التوجـه نحـو أدق المضمون.
- استيعاب نوعية الوسط الجغرافي والديمغرافي الذي ستوجه إليـه الرسـالة الـدعوى ومدى فاعليه في دفع أو كبح تأثير الرسائل الأخرى، فالرسائل التي تناسب دعـوة المؤمن القوي السابق بالخبرات تختلف عن التي تناسـب المـتلقين وهـذه لا تناسـب الظالم لنفسه وهكذا.
- يفضل أن تشتمل الرسالة على جوانب عاطفية بالإضافة إلى عناصرها العقلية، مع استخدام لغة ا لحوار.

---

(1) انظر: سيد محمد سيد؛ المسئولية الإعلامية في الإسلام، 45، 55، 62.
(2) انظر: محمد العويني؛ الإعلام الإسلامي الدولي، ص 219 - 249.
(3) المرجع السابق: ص 161 - 218.

ويوضح الشكل التالي كيف أن الاتصال هو عملية تأثير متبادل عن طريق تبادل الرسائل الاتصال..

فعندما يتفاعل شخصان على سبيل المثال فإن الشخص الأول يبدأ العملية بإرسال رسالة إلى الشخص الثاني، حينما يستقبل الشخص الثاني الرد فإنه يشعر بأنه يريد أن يرسل رداً إلى الشخص الأول كما في الرسم التالي (للمشاركة والحوار) :



وعموماً فيمكن إجمال مقاصد الدعوة الإسلامية في :

- صياغة الفرد المسلم بأبعاده الأربعة (البعد العقلي التصوري والبعد العاطفي الوجداني والبعد السلوكي الاجتماعي والبعد الإنجازي الحضاري).
- صياغة وتشكيل المجتمع المسلم بمؤسساته وأجهزته كافة (الأسرة - المؤسسات التربوية - الإعلامية والثقافية).
- صياغة وتشكيل الكيان المسلم الاجتماعي والاقتصاد السياسي بمؤسساته كافة وأجهزته وهيئاته.
- صياغة عقل ووجدان وسلوك وعلاقات وقيم وثقافة من كل عوامل الغزو الخارجي والتفتيت الداخلي.
- التفاعل الشرعي مع الفرد والمجتمع المسلم في مرحلتي التغيير والبناء محليً وإقليمياً وعالمياً.
- تشكيل عقل ووجدان غير المسلمين بما يتناسب وفاعلية الدعوة الإسلامية ورسالتها التحريرية النبيلة.
- العمل على نشر قيم الإسلام النبيلة محلياً وإقليمياً وعالمياً [1].

* * * * *

(1) انظر: جمعة أمين؛ الدعوة قواعد وأصول، ص 16.

المقصد الثاني:
مصادر وأساليب ووسائل الدعوة

مصادر أساليب الدعوة :

متعددة من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح واستنباطات الفقهاء والتجارب.

1- **فمن القرآن الكريم** : نجد آيات كثيرة تتعلق بأخبار الرسل الكرام وما جرى لهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهذه الآية تشير إلى لزوم الاقتداء بنهج رسل الله في الدعوة إليه يستنير بها الدعاة ويتمسك بها الهداة لتهديهم لما هو أقوم.

2- **وفي السنة النبوية المطهرة** : أحاديث كثيرة تتعلق بأمور الدعوة ووسائلها فيستفيد الداعي منها الحل الصحيح والموقف السليم الذي يقفه إذا ما فقه معاني السيرة النبوية، فالسيرة وتوجيهاتها تطبيقات عملية لما أمر الله به رسوله في أمور الدعوة وتبليغ الرسالة [1].

3- ومازال أهل العلم يستدلون بسيرة سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين فهم أعلم من غيرهم بمراد الشارع.

4- استنباطات الأحكام الشرعية العملية من أدلتها الشرعية بمعرفة الفقهاء واجتهاداتهم مثل أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمور الحسبة والجهاد.. وهذه في مناهج الدعوة تسمى **بالمناهج الربانية** نسبة للرب جل جلاله التي وضعها لعباده.

5- كما أن للداعي تجاربه الخاصة مع الناس في مجال الدعوة ومباشرته للوسائل فعلاً في ضوء ما فهمه من المصادر السابقة.

* * * * *

(1) انظر: أصول الدعوة؛ د. زيدان، ص 412 – 415، وللمؤلف بحث عن الأساليب التربوية في أحاديث المصطفى عليه السلام.

وسائل تبليغ الدعوة.. وتجديد الخطاب الديني

التبليغ بالقول : ومنها الخطبة والدرس والمحاضرة والندوة والمناظرة والحديث.

الدعوة الفردية :

وهى الموجهة إلى شخص واحد أو إلى فئة قليلة من الناس وغالباً ما تقع عن خبرة وتثبيت مسبق ومثلها لقاءات المصادفة وجلسات المجالس ومناقشات الزملاء في العمل وحلقات البحث ونحوها.

- **مميزاها** : وهي كثيرة الحدوث، وأنها مستورة وعابرة، وأنها سهلة يسيرة، وفيها فرصة للتفتيش ودوام الإمكانية ومنها الحديث الحر، وغالباً هي مناصحة.

فعن تميم البرازي قال رسول الله ﷺ : **«الدين النصيحة»** قالها ثلاثاً، قلن لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله عز وجل ولكتابه ولرسوله والأئمة المسلمين وعامتهم»**.

- **أثرها** : على أن الدعوة الفردية ليست بطيئة الأثر ولربما كانت في بعض الظروف أسرع تأثيراً من الدعوة العامة وأسلم عاقبة منها [1].
- **آدابها** : ونوصي بالأناة والتلطف، وتوفير الاحترام للآخرين، ودراسة المحيط، والانشغال بالأهم فالمهم والاعتراف بالحق، ونتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وترك التحريض [2].

نماذج من المواعظ المختصرة:

1- قال معاوية رضى الله عنه لابن الكواء: ترى الزمان؟ قال: أنت الزمان، إن تصلح يصلح[3].

2- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى عظنى وأوجز فكتب إليه:

أما بعد: فإن رأس ما هو مصلحك ومصلح به على يديك. الزهد في الدنيا وإنما

(1) انظر: كيف ندعو الناس؛ عبد البديع صقر؛ ص 25.
(2) انظر: فقه إنكار المنكر؛ ص 8.
(3) انظر المصباح المضئ 2/ 42.

الزهد باليقين واليقين بالتفكر والتفكر بالاعتبار فإذا أنت فكرت في الدنيا لم تجدها أهـلا أن تتبع بها نفسك ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا فإنما الـدنيا دار بـلاء ومنـزل غفلة[1].

3- وعن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه قال: قال عمر بن عبد العزيـز: عظنـى، قلـت: اضجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخـذ فيـه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن.

4- ووعظ شبيب آله شيبة المنصور فقال: إن الله عز وجل لم يجعل فوقك أحداً فـلا تجعـل فوق شكرك شكراً.

5- ووعظ ابن السماك أمير المؤمنين هارون الرشي، فقال يا أمير المؤمنين: إن لك بين يدى الله وإن لك بين معامك منصرفا فانظر إلى أين إلى الجنة أم إلى النار؟ فبكى هـارون حتى كاد أن يموت.

* * * * *

(1) المرجع نفسه 2/ 67 (5) المصباح المضئ 2/ 81 (6) الآداب الشرعية 1/ 198 (7) المصباح المضئ 2/ 173.

الدعوة العامة - دعوة الجماهير

لتأسيس أي خطاب دعوي ولأي من الناس يراد دعوتهم لابد من بنائه على أصول راكزة، والمقصود بأصول الدعوة: المرتكزات الأساسية الواجب انطلاق الدعوة منها والغالبة على الدعوة المستمر واستقرارها الطبيعي والمطلوب أن تنتهي إليه الدعوة إلى الله في الناس : فالأصل الأول؛ الجهرية والسرية مرحلة، والثاني؛ الجماهيرية والفردية مرحلة..

قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلم في أوائل أمره: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر: ٢].

والإنذار : إعلام وإظهار أي أعلن واجهر بدعوتك بلا أسرار وكتمان بل المغالاة في السرية تنتج مساوئ ومضار دعوية منها: أن المبالغة في السرية تثير عند الناس الشكوك وسوء الظن وعدم ظهور الدعوة وجهل الناس بهم وهم في الأصل القدوة الحسنة لغيرهم..

والأخطر أن أمر الدعوة والدعاة يكون غامضاً عند عامة الناس.. والأصل في الدعوة إلى الله أن تكون جماهيرية لا فردية.. عمومية لا خصوصية.. جهرية لا سرية..

وهذا الاستقطاب الجماهيري يتطلب خطاباً خاصاً غير خطاب الأفراد وتتعين له وسائل معينة ترشده وأساليب تزينه وتنجحه[1].

* * * * *

(1) انظر: دعوة الجماهير؛ ص37 - 48.

أدوات ومكونات الخطاب الدعوي الجماهيري

تؤدي الدعوة باللسان تارة والقلم تارة أخرى.. لكل منهم مقام هو أحق به من الآخر، أما مكونات الخطاب الدعوي.

- **فهي قرآنية الخطاب :**

من جهة القضايا والموضوعات التي تهم الأمة والجماعة وفي الغالب هي تهم الأفراد مثل قضايا الولاء والبراء وقضايا الصلح من فئات المسلمين وطوائفهم والقضايا الاجتماعية العامة مثل التكافل الاجتماعي وأحكام العلاقات والصلات وآداب الزيارات والاستئذان وقضايا المرأة.

- **والأمر الثاني : عمومية الخطاب وشموليته :**

بمعنى أن يعالج الخطاب الدعوي مجموعة قضايا بسياق واحد فتتدرج كل قضية أو مشكلة تحت ذات الخطاب يتناوله السياق ويكون المتعرض له كلياً والابتعاد عن التجزيء والتفرغ دوما مقتضى يتطلبها أو حاجة ملحة عليها فيكون الخطاب الدعوي شاملاً يدعو للدين الشامل الجامع كله، فالقرآن يشير إلى شمولية الخطاب مثل: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المرسلات: ١٥]، ومثل: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾

[المطففين: ١]، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم: ٣٧].

ومن هذه المكونات للخطاب الجماهيري معروفيته ومقصديته والزمانية والمكانية؛ فالدعوة إلى الإسلام هي الدعوة الزمان كله، وغير محدودة بمكان معين وفي نطاق الاستطاعة أو فقه الممكن؛ إذ يعتمد فقه الواقع والحال التي الناس عليها. ولعلّ التدرج في أخذ الناس بأحكام التشريع وأمثلته الكثيرة الواردة في ذلك، وبياناتها المتعددة في إجابات الرسول ﷺ لكل سائل بحسب حاجته حسب حاجته حتى في العصر الواحد والمجتمع الواحد.

ومن هنا كان اهتمامنا بأسباب النزول للتعرف على الظروف والحال ومن ثم فهم الواقع والتعرف عليه بدقة، لذلك يجب انخراط الداعية في المجتمع والاندماج فيه والتعرف على مكوناته ومؤثراته.. وتنزيل النصوص إنما هو ثمرة فقه الواقع وتفاعل النص مع

الواقع[1]. ومخاطبة الناس حسب قدراتهم ومراعاة أحوال الناس في المنشط والمكره.. واعتبار حاجات الناس والرأفة بهم، فما يقال للمسلم الملتزم غير ما يقال للمسلم المنفلت العاصي لربه، وما يقال للمسلم في دار الإسلام غير ما يقال في المجتمع غير الإسلامي، **وما يقال للشباب غير ما يقول للشيوخ، وما يقال للنساء غير ما يقال للرجال، وما يقال للأغنياء غير ما يقال للفقراء، وما يقال للحكام غير ما يقال للمحكومين**[2]..

وعموماً فيمكن تقسيم الخطبة إلى نوعين :

1- خطبة تعبدية للجمعة والعيدين.

2- خطبة تأثيرية يصاحبها الإحساس والانفعال في العادة[3]..

جاء في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة[4].

* * * * *

(1) انظر: فقه الواقع، ص 43.
(2) انظر: خطابنا الإسلامي؛ في عصر العولمة؛ للقرضاوي، ص 18.
(3) انظر: كيف ندعو الناس، ص 43.
(4) انظر: لسان العرب؛ لابن منظور، جـ2، مادة خطب، 1194.

[1] خطبة الجمعة

والخطبة إحدى شعائر الجمعة، التي لا تقام إلا في المسجد ولا تصح إلا في جماعة.

وأركان الخطبة خمسة؛ يخطب الإمام خطبتين قصيرتين يقرأ فيهما آية من كتاب الله مع حم الله والصلاة والسلام على رسوله عليه الصلاة والسلام، ويوصي بتقوى الله، ويسن أن يخطب قائماً معتمداً على عصا أو سيف مواجهاً للناس، وأن يدعو للمسلمين وسلطانهم بصلاح الحال وغيره.

وأن يجلس برهة بين الخطبتين، وأن يخطب على منبر أو موضع عال، وأن يسلم على الناس إذا أقبل عليهم. وفي العيدين تكون الخطبة قبل الصلاة.

أغراض الخطبة: الدعوة إلى الصلاح والإصلاح والتمسك بالشرع والتقوى وإقامة الحق والعدل ونشر الفضائل وتسكين الفتن ومحاربة المنكرات وفض المشكلات لا إثارتها.

وشروط صحة الخطبة من الوجهة الشرعية :

1- أن تكون الخطبتان بينهما جلسة يسيرة.

2- أن تكون على طهارة ومن مستور العورة ومن تصح إمامته ذكراً وأن تكون الخطبة بالعربية ثم ترجمتها عند الحاجة مع القصد والتوسط بعدم الطول.

وأما العناصر الفنية لتكوين الخطبة : فهي مراعاة الاستهلال حيث تبدأ بمقدمة للتشويق والجاذبية وحسن البداية والوضوح، وصلتها الحميمة بالموضوع، والإشارة الخفيفة إليه[1].

ثم الدخول في الموضوع ومن أبرز سماته : وحدة الموضوع وعدم تشعبه في

(1) انظر: الدعوة وتجديد الخطاب الديني؛ محمود حبيب، ص 4.

الفكرة، وترتيب الأفكار والمعاني ترتيباً طبيعياً، وارتكاز الخطبة على الحقائق الدينية، والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع البعد عن الحديث الموضوع والضعيف، والبعد عن الأمور الخلافية، وعن التعصب المذموم، مع التركيز على الإيجابيات ورد الشبهات، ومناسبة الخطبة لمقتضى الحال في الأحداث والزمان والمكان، ويكون ذلك من خلال الإعداد الجيد للخطبة كتابياً والاطمئنان إلى صحة أفكارها ومعانيها، وشواهد بطول مناسب للخطبة.

ولا بأس بالجمع بين الإعداد الجيد وارتجال الأفكار التي سبق إعدادها على أساس حسن الاختيار من آيات القرآن الكريم والسنة.. والاختيار على أحداث الزمان ومراعاة المكان ليكون خطاب الداعية متوافقاً مع الحال والمناسبة والمخاطبين.

ثم تأتي الخاتمة والنتيجة في نهاية الخطبة؛ مثل ملخص سبوري بإبراز صلتها الوثيقة بالموضوع، والإيجاز وقوة التعبير وجودة الإلقاء والواقعية في الخطبة ويفضل تحليتها بالقصة والمثل المتصل بالموضوع مثل قصص القرآن كقصة قارون في جمع المال وعدم الإنفاق في سبيل الله، أو قصص السيرة النبوية مثل قصة الأعمى والأقرع والأبرص في شكر الله على نعمة المال بإخراج الزكاة والتصدق على الفقراء أو أن تكون القصة من حياة السلف الصالح [1]، مع الابتعاد عن القصص الواهية مثل قصة ثعلبة إذ تبين أنها غير صحيحة.

الإعداد والبناء لخطبة الجمعة:

1- وحدة الموضوع: فتشعب الموضوعات وتعدد القضايا يشتت الأذهان وينسى بعضه بعضا ويقود إلى الإحالة المحتلة وسطحية المعالجة.

2- الجدة والتغيير: فلا يلتزم الخطيب طريقاً واحداً أو وتيرة واحدة في أسلوبه وطريقة إلقائه مع المرور السريع على ما سبق علم السامع به فهو تنبه

(1) انظر: تكوين الخطيب الرشيد؛ ص 108.

للغافل وحث للمقصر.

3- طول الخطبة: باستطلاع مدى استجابة الجمهور لموضوع الخطبة، ومدى تقبلهم للاستزادة بقراءة ذلك على وجوه السامعين والتجاوب مع ذلك من جانب الخطيب بالإطناب أو الإيجاز وتوزيع النظرات على السامعين في كل جوانب المسجد والخطيب عليه أن يهدئ الثائر ويبعث الفاتر ويخفظ حدة التوتر ويشيع روح المودة، ويحسن من الخطيب أن يعود سامعيه على زمن معتدل ثابت يلتزم حدوده 1- 20 دقيقة بحيث أن ينفض الجمهور وهم متعلقون بخطيبهم من غير سآمة أو ملل أو ضجر.

4- تنويع الأساليب: كالتقرير والاستفهام والتعجب، كضرب الأمثال وقص القصص وغير ذلك واستخدام الوسائل المناسبة مما يساعد على توضيح المعانى وجذب انتباه المستمعين ففى خطبة الوداع يسأل الرسول ﷺ فيقول: أتدرون أى يوم هذا.. إلخ الحديث.

إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته **دليل على فقهه** [1] فكلما أطال الخطيب تثاءب الناس، وكل هذا يلقى معظم المسئولية على راغبي النهوض بالخطاب الديني[2]، **وتجديده يتم بالآتي :**

1- من الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر.
2- من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل.
3- من العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعلمية.
4- من الفروع والذيول إلى الرؤوس والأصول.
5- من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.

(1) انظر: ابن القيم في زاد المعاد؛ جـ 1.
(2) دليل تام إلى تجديد الخطاب الديني؛ ص 254.

6- من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد.

7- من التعصب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق.

8- من الغلول والانحلال إلى الوسطية والاعتدال.

9- من العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة.

10- من الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتضامن [1].

* * * * *

(1) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة؛ ص 24.

الموعظة الحسنة

الموعظة في اللغة: الوعظ والنصح والتذكير.

والموعظة تذكير الشخص **بما يلين قلبه من الثواب والعقاب** وضرورة الجمع بين الترغيب والترهيب في الموعظة وعدم الاقتصار على أحدهما والأفضل البدء بالترغيب مع ترك التخشين في الموعظة والأفضل اختصار الموعظة.. والجدال بالتي هي أحسن واستعمال أسلوب القصة مثل قصة أصحاب الغار الثلاثة [1].

ومن وسائل الدعوة أيضاً :

[2] الـدرس

وهو ما يراد طرحه من **معنى آية قرآنية أو حديث من السيرة النبوية المطهرة** والدرس أحوج إلى الثقة وطول التأمل والوقوف عند كل كلمة، والدرس يحتاج إلى أن يكون أحفل بالرقائق إلى تحرك القلب وتخاطب الوجدان وما يتصل بالواقع الحياتي العملي.. تسبق إلى ذلك كله براعة الاستهلال وتهيئة السامعين بالذوق واللباقة مع البعد عن المصطلحات.

الفرق بين الخطبة والدرس

الخطبة	الدرس
1. غالباً ما تكون منحصرة في موضوع واحد.	1. قد يتعدد موضوعه بسبب كثرة ما يوجه الداعية الدرس من أسئلة، وهذا يتطلب إلمامه بعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم الإنسانية وغيرها.
2. الخطبة مرتبطة بوقت معين وهو وقت صلاة الجمعة وهو فى حدود 1-20 دقيقة غالباً	2. الدرس لا يرتبط بوقت معين حيث يمكن أن يؤدى في أي وقت.

(1) دليل الإمام؛ ص 245.

الخطبة	الدرس
3. لا يستحب للمستمع لها أن يكثر الرسائل والاستفسار عما يجول في خاطره.	3. يمكن للمستمع من الاستفسار عما يجول بخاطره وبذلك نرى أن فائدة الدرس أعمق وأدق وأكثر.
4. يستحب أن تكون غير طويلة حتى لا يمل المستمع كما جاء في الحديث "أطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة".	4. قد يطيل الدرس لأن المستمع غير مرتبط بسماعة حيث يمكن للمستمع الخروج من المسجد أنى يشاء بعكس الخطبة في الجمعة حيث تأتي قبل الصلاة.

أوجه الاتفاق :

- الخطبة والدرس وكلاهما قول معد يهدف إلى الإقناع والإثارة.
- كلاهما يهتم بالناس ويعايش مشاكلهم ويحاول إيجاد الحلول من خلال القرآن والسنة.
- كلاهما يحتاج من قائله إلى الصدق والإخلاص وكثرة العلم والأسلوب الأسهل والمفهوم.
- كلاهما يخاطب العقل بالمفهوم.

[3] المحاضـــرة

وهي أيضاً من الرسائل القولية لتبليغ الدعوة ونشرها، وفيها يقوم المحاضر الداعية بمعالجة موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطة ذكر الأدلة والبراهين وذكر ما قيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال.

شروط المحاضرة الناجحة :

- أن تهدف إلى هدف معين ومحدد وتجلى هذا الهدف وتبيينه.
- **اختيار موضوع المحاضرة من صميم ما تجري به الحياة ي الواقع المحيط**، والدراسة

الجيدة للموضوع وتحليله إلى عناصر بارزة مرتبة ترتيباً طبيعياً يفضي في النهاية إلى خاتمة يحسن السكوت عليها.

- دعم كل عنصر بما يؤكده ويوضحه من القرآن والسنة والسيرة وتاريخ السلف الصالح والتاريخ العام والواقع الماثل.
- على المحاضر أن يقيم المقدمات لما يريد الوصول إليه بحيث يشرك السامعين إلى ما يريد الوصول إليه من النتائج ميسوراً.
- أن يتجنب المسائل الدقيقة المتشابهة، ولا ينقص من قدر الحقيقة أن يكررها.
- على الداعية في محاضرته **أن لا يكون جافاً** بل عليه أن يضفي عليها شيء من التحريك العاطفي الوجداني.
- المحاضرة لا تتضح إلا بمرور الزمن وكثرة إلقائها عدة مرات في أماكن مختلفة والاهتمام بالنقد الذاتي والموازنة بينهما.

وجه الاختلاف بين الخطبة المنبرية والمحاضرة (1)

الخطبة	الدرس
1. الخطبة يغلب عليها صبغة الإثارة للعواطف أو تهييج المشاعر.	1. تعتمد على التحليل والتوضيح ويغلب عليه أسلوب الحقائق.
1. جمهور الخطبة من سائر الطوائف.	2. جمهورها من الخاصة.
3. وقتها لا يصلح إلى لموضوع واحد كامل يستغرق وقتاً قصيراً.	3. تستغرق وقتاً طويلاً.
4. يغلب على عناصرها المعاني الطارئة والخواطر العارضة.	4. عناصرها محددة مقررة أشبه ما تكون بالقواعد والمبادئ الأساسية.
5. الخطيب مقيد بزمن ووقت محدد	5. المحاضرة غير مقيدة بزمن معين ولا

(1) انظر: الخطابة الدينية؛ د. عبد الغفار عزيز، ص 284.

وأسلوب معين يفهمه الحاضرون على اختلاف مستوياتهم.	أسلوب معين.

[4] المناظـــرة

تعتبر المناظرة وسيلة هامة من الوسائل القولية لتبليغ الدعوة، وهي عبارة عن حوار بين طرفين في موضوع واحد كل طرف منهما يحاول إثبات قدرته، ويحاول أن ينتصر لفكرته حيث يرى أنه على صواب وغيره على خطأ.

أهميتها في تبليغ الدعوة : حيث هي وسيلة هامة لإقناع المعارضين والمعاندين بأسلوب حكيم وحجة بالغة.

الفرق بينها وبين الخطبة : إذ الخطبة – كما نعرف – تكون من قائل واحد، أما المناظرة فهي بين طرفين أو أكثر، ولكن الخطيب قد يجد نفسه بعد الخطبة وبعد الانتهاء منها في مناظرة مع أحد السامعين، **وفي هذه الحالة يجب عليه :**

- أن يسمع وجهة نظره ويحاول أن يدلل على وجهة نظره بأدلة أخرى تؤكد كلامه بها تاركاً كل رغبة في الانتصار.
- أن يقبل على الموضوع بعقل متفتح وفكر سليم مفنداً أساليب الخصم دون أن يتحدث عن نفسه.
- أن يتواضع حتى ولو كان المناظر أقل منه علماً أو سناً.
- أن يكون ملماً بجميع أطراف موضوع المناظرة حتى يصل للجهة التي يرضاها والتي تحقق الهدف من المناظرة.
- أن يقصد من مناظرته هذه الوصول **إلى الحقيقة والحق ورد شبهة المعاندين** وتفنيد أباطيلهم.
- أن يتصف الداعية في مناظرته بالهدوء التام والأدب الجم وعدم رفع الصوت

وعدم سب وشتم والاستهزاء بمناظره.

* * *

[5] النـــــدوة

وهي عبارة عن اجتماع يحضره جماعة من العلماء يتناولون موضوعاً مبنياً كل واحد يتناوله من زاوية معينة يحاول أن يجليها ويبين كل منهم رأيه وما يعود على الناس من خير في الموضوع، وهي تقوم بدور كبير في التوعية الدينية وتبصير الناس بأمور دينهم في بعض القضايا :

1- **قضايا دينية مثل** : الاجتهاد - دعوى انتشار الإسلام بالسيف - الرق في الإسلام
2- **قضايا اجتماعية مثل** : قضية عمل المرأة - قضية المخدرات والمسكرات - قضية التحلل الأخلاقي
3- **قضايا سياسية مثل** : احتلال العراق - قضية فلسطين - الأقليات المسلمة في أوربا - قضية التقريب بين الشيعة والسنة
4- **قضايا اقتصادية مثل** : قضية العمل والإنتاج - نظرية الإسلام في حل مشكلة الفقر
5- **قضايا فكرية مذهبية مثل** : البهائية - الماسونية - القاديانية
6- **قضايا ثقافية** : الصحف والمجلات الدينية - المساجد ووظيفتها
7- **قضايا أخلاقية مثل** : أزمة الأخلاق في الإسلام - الأخلاق في الإسلام - أثر الأخلاق في بناء الأمم

[6] استعمال أسلوب القصة

حيث تعد القصة في القرآن الكريم وفي السنة **أحد أساليب الدعوة بل**

أبرزها [1].

وقصص القرآن إنما كان الهدف منه أخذ العبرة والعظة كما في بعض بيان لمبادئ الإسلام وفي مجمله هدى ورحمة للمؤمنين، ويمكن للداعية من خلال القصة تبليغ دعوته بأسلوب شيق ومتجدد، ومن خلال القصة يعلم الناس من خلالها بطريق غير مباشر مثل قصة أصحاب الغار الثلاثة وقصة : الأعمى والأعرج والأجرب، **وغيرها مع الحذر من القصص الواهية التي تثبت عدم صحتها ومن أهمها :**

- قصة كشف عمرو بن العاص رضي الله عنه عورته عند مبارزة علي رضي الله عنه وكرّم وجهه – يوم صِفِّين –.
- قصة حوار عثمان رضي الله عنه مع ابن مسعود رضي الله عنه.
- وللدكتور الطنطاوى شيخ الأزهر كتاب قيم فى القصة فى القرآن دار النشر: نهضة مصر بالقاهرة.
- قصة انتقال النور المحمدي.
- قصة ابن الأكرمين.

ويمكن الرجوع إلى مجلة التوحيد وتصدرها جماعة أنصار السنة ففيها تفنيد لأكثر القصص الواهية[2].

[7] أسلوب المناقشة (السؤال والجواب) والجدال بالتي هي أحسن

حيث يكونا للمناقشة والجدال بين شخصين أو أكثر يعرض كل جانب وجهة نظره فيما يراه ويعتقده من أمور، فالمدعو في مناقشته وجداله مع الداعي قد يصل إلى حد اتهام الداعي بالضلال المبين، فلا يعجب الداعي من ضلال المدعو ولا يخرجه من هدوئه واتزانه

(1) وللدكتور الطنطاوى شيخ الأزهر كتاب قيم في القصة في القرآن دار النشر: نهضة مصر بالقاهرة.
(2) تصدر مجلة التوحيد شهرياً للشيخ على حشيش باباً لتبصير الداعية بالقصص الواهية وتحذيرهم منها.

وشفقته عليه [1]، كما هو واضح من جواب نوح عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ [الأعراف: ٦٠ – ٦٢].

ولقد استعمل النبيّ ﷺ أسلوب السؤال والجواب في دعوته حيث جاءه جبريل في صورة إنسان يسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان، ثم على الإحسان كما في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب.

[8] ضرب المثل

فقد علم الرسول ﷺ أصحابه أن المسلم دائم العطاء مشبهاً ذلك بالنخلة..الخ.

والمثل قول واضح موجز حكيم ينتصب ذكره في العقول فيألفه الناس ويجري بينهم ويشيع في أحاديثهم.

[9] الحديث العادي

فالداعية صاحب حالة لدى الجمهور يرجو قضاءها وبلاغ أمرها [2].

وهي قبول الجمهور لدعوته والأمر فيها يقتضي من الداعية ي حديثه العادي : الدقة واللين والرقة والتودد والتزام الحكمة واللياقة واللباقة والهدى والأناة والنفس الراضية وإبعاد الرغبة عن الغلبة والانتصار والتحدي مع البعد عن التعالي والتفاصح[3].

[10] الكتـــابة

وهي من أنواع القول في الدعوة إلى الله إما بكتابة رسائل إلى من يريد الداعي دعوتهم إلى الإسلام.

وإما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجلات وغيرها، وهذه الوسائل الهامة جداً في نشر الدعوة.

ومما يلاحظه الداعية في مقاله : أنه يكتب للناس كافة، الترغيب والتلطف والأعزاء والإثارة للعقل والشعور والوجدان، ومخاطبة الفطرة، وأن ينقح مقاله في خلاصة تجاربه

(1) انظر: أصول الدعوة؛ ص 478 - 480.
(2) انظر: الدعوة وتجديد الخطاب الديني؛ ص 10.
(3) انظر: تذكرة الدعاة؛ ص291.

وواقع الحياة اليومية.

ولا عليه أن يجري قلمه بلفظ دارج أو مثل سائره أو نحوه.

*****

ب) التعليم العملي بالقدوة الحسنة (التبليغ بالحال)

ونقصد بها السيرة الطيبة والسلوك الحسن المتفق لما يدعو إليه الداعية بقوله للناس يجعله كتاباً مفتوحاً يقرأ فيه الناس الإسلام ويرونه يطبق ما يقوله عاملاً بعلمه، فالعلم كما يقول الغزالي في الأحياء ويدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الإبصار أكثر..

فيصبح الداعية كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب.. قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٣].

وفي قصة شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨].

وقال عليه السلام: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بهما كما يدور الحمار بالرحى فيعرف به أهل الناس فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه»**.

وفي المثل: الظل من العود ومتى استوى الظل والعود أعوج.. ولذلك قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ::: عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال مالك ابن دينار: " إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته عن القلوب كما يزال القطر من الصفا".

والذي يقرأ سيرة النبي محمد ﷺ إمام الدعاة يرى أنه كان يدعو الناس بحاله مع مقاله، ولقد دخل أناس كثيرون في الإسلام لما لمسوه من رحمته وشفقته وأمانته وصدقه وعمله بما يقول، وهكذا تفعل القدوة الحسنة والسيرة الطيبة فعل السحر

في جذب الناس للإسلام.

إن سلوك الداعية الإنساني يقدم النموذج الأتم للمسلم المكتمل الإيمان ومهما برع علماء وفاق حجة، فالسلوك الأمثل مناط التأثير وموضع الانصياع، ولا يزيد بالسلوك سلوك الحياة في أسلوب معيشتها وحده بل يضيف إليه سلوك الداعية حين يقوم بأعباء الدعوة مناقشاً ومجيباً ومعترضاً وموافقاً فإن سبيل الهداية يحتاج إلى سعة صدر ورحابة أفق قدر ما يحتاج إلى قوة بصيرة ويحتاج إلى غزارة علم وعمق خبرة [1].

وقد أورد الشيخ عبد البديع صقر نماذج من التربية بالقدوة مثل أن يدعو الناس لقيام الليل بالعبادة ويكون هو أسبقهم لذلك.

* * * * *

(1) انظر: مجلة الأزهر، رجب 1422هـ، مقال ثقافة الداعية المعاصر، ص 1094، للدكتور محمد رجب بيومي.

المقصد الثالث:

الخطاب الدعوي.. ووجوه تجويده وتجديده

بيان مفهوم الخطاب ودلالته :

أ) في اللغـــــة :

فقد ورد لفظ الخطاب ومشتقاته في القرآن الكريم اثنى عشرة مرة، فقد جاء في قولــه تعــالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: ٢٠]، وفي قولــه: ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣]، وفي قولــه: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ: ٣٧]، وفي الخطـاب أي بالحكم بالبينة أو اليمين، وقيل هو الفقه في القضاء..

يقول ابن منظور في لسان العرب(1) : الخطب هو الشأن والأمر صغر أو عظم.

والخطـب: الأمـر الـذي تقـع فيـه المخاطبـة والخطـاب، والمخاطبـة هـو مراجعـة الكـلام، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة.

ب) وفي الاصطلاح :

ذكر الإمام الرازي (2) أن المقصود بالخطاب : الكلام المفصل الواضح القادر علـى ضـبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايـات، وذكـر أبـو حيـان الأندلسـي أن المـراد بالخطـاب : القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اتباع ممل، والخطاب هي الرسالة.

وفي التعريفات للجرجاني أنه قياس مركـب مـن مقـدمات مقبولـة الغـرض منهـا ترغيـب الناس في ما ينفعهم من أمور.

ومصطلح الخطاب Discours تاريخياً يعني التعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا مترابطة.

معاشهم ومعادهم (3).

ثم أجيز إطلاقه على العمل البحثي بدءاً من القرن السابع عشر الميلادي.

---

(1) انظر: لسان العرب؛ 2/ 1194.

(2) تفسير الرازي؛ 2/ 164.

(3) التعريفات للجرجاني؛ دار الريان للتراث، ص 134.

وهكذا يصير الخطاب الديني في مفهومه معنىً بأمور **أهمها** :

- القدرة على التعبير والاستحالة.
- القدرة على التأثير والإقناع كما عرفها الدكتور الحوفي رحمه الله [1].

أزمة الخطاب الإسلامي الحالي :

حيث ينسب إليه ما يعانيه العالم الإسلامي الآن من تخلف وضعف وتشتت بحيث وضع البعض الخطاب الإسلامي في قفص الاتهام بتهمة : التقصير والرتابة والغلو والتكرار والنهج التقليدي الذي يقوم على الحماس بعيداً عن مخاطبة العقل وتربية النفس وشحذ الهمم والدفع إلى زيادة الإنتاج والتنمية، ولن يتأتى ذلك لا بالاستخدام للمنهج العلمي الذي يتناسب مع إيقاع العصر ولا ينفلت عن القيم والموروث الديني للأمة.

ويأتي المخرج من هذه الأزمة بالتوصية بتجديد الخطاب الديني الإسلامي الذي عناه رسولنا ﷺ بقوله : **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**. **وليس معنى التجديد أن نتخلص من كل قديم أو نهدمه أو نستعيض عنه بمستخدمات مبتكرة، فإنما يعني هذا التبديد وليس التجديد، إنما المراد بالتجديد الاحتفاظ بالقديم وترميم ما بلى منه وإدخال التحسين عليه ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وقام، من دون المساس بثوابت هذا القديم أو العبث بخصائصه الأصلية وطابعه المميز.**

وإذا كان الدين عبارة عن ثوابت ومتغيرات، فالثوابت لا تتغير إلا في طريقه عرضها على الناس، أما المتغيرات فتتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، وهناك نقد ذاتي للخطاب الديني المعاصر حيث لا يساير المتغيرات الدولية والعولمة وبالتالي لا يستوعبها، حيث يرى د. محمود زقزوق وزير الأوقاف أننا نعيش في عصر متغير تنازع خطابه في شتى الاتجاهات ولابد للمسلمين من الوعي بما يدور حولهم من متغيرات على جميع المستويات وخاصة ثورة الاتصالات والإنترنت والثورة التكنولوجية.

ويعزى ما أصاب الخطاب الديني من صدأ معرفي وانحسار ثقافي إلى :

---

(1) انظر: فن الخطابة؛ نهضة مصر، ص 5.

1- ما يعيشه الخطاب الديني من العزلة وغياب العلاقة مع الآخر والتحاور معه.

2- كما أن الخطاب الديني لا يعايش الواقع والمشكلات اليومية التي يعانيها الناس وذلك نتيجة العقم الثقافي والانفصال عن واقع الدنيا، ولذلك لابد للدعاة من التمكن من كل فقه الأولويات، إلى جانب فقه الواقع.

3- وأخطر ما يوجه إلى الخطاب الديني من نقد هو التعميم المطلق على الأشياء والظواهر.

4- وقد يفتقد الخطاب الإسلامي من صاحبه إلى القدوة قبل كل شيء.

5- انحصار الخطاب الإسلامي الحالي في التعريف بشعائر الإسلام في العبادات دون الاهتمام بدوره الفعال في المعاملات.

6- أخطر ما فيه الغلو والتشديد على الناس في عصر يحتاج إلى التخفيف والتيسير ورفع الحرج حيث يقول الرسول ﷺ : **«إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا»**.

7- ولازال الخطاب الإسلامي الحالي في معظمه يتمحور حول المذهبية ويبتعد بالدعوة إلى وحدة المسلمين شيعة وسنة.

معالم وخصائص بنية الخطاب الإسلامي في ثوبه الجديد :

حيث نريده واضحاً مرناً متنوع الأسلوب - يهدف ويسعى للإقناع - واقعياً - متواصلاً - منفتحاً على الغير - مستخدماً لأفضل وسائل الإعلام العصرية والتكنولوجيا مع النقد والتقويم الذاتي - متوافقاً مع الحال والمناسبة - يخاطب السامعين على قدر عقولهم - مع احترام معتقدات المخاطبين في الأمور الفرعية وعدم تسفيههم [1] - احترام ثقافة الشعوب الأخرى والتعامل معها من هذا المنطلق [2].

* * * * *

(1) انظر: دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني؛ ص 231 - 233.

(2) انظر: تجديد الخطاب الديني؛ الدعوى والفكرة؛ ص 112.

مسك الختام..
نماذج من خطب النبى ﷺ

1- صدر خطبته ﷺ :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا (وسيئات أعمالنا).. من يهد الله فلا مضل له.. ومن يضلل فلا هادى له.. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى[1] الساعة.. ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى..

نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه.. ويجتنب فإنما نحن به وله. (مراسيل أبى داود ص9 والسنن الأربعة عن الزهرى)

2- خطبة يحث على التقوى وافتراض الجمعة:

ألا أيها الناس: توبوا إلى الله ربكم قبل أن تموتوا.. وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا... وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له.. وكثرة الصد في السر والعلانية، ترزقوا وتؤجروا وتنصروا.

واعلموا أن الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا في عامى هذا في شهرى هذا إلى يوم القيامة.. حياتى ومن موتى.. فمن تركها وله إمام فلا جمع الله له شمله.. ولا بارك له في أمره.. ألا ولا حج له وصوم له.. ألا ولا صدقه له.. ألا وبر له.. ومن تاب تاب الله عليه.. ألا ويؤم أعرابى مهاجرا.. ألا ولا يؤم فاجرا إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه.

(إعجاز القرآن ص 111 وابن ماجة ج1 ص 173)

3- خطبته في التقوى وآثارها وهى أول خطبة له بالمدينة:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادى من يكفره

(1) أى قدامها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل.. من يطع الله ورسوله ﷺ فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحته ولا أفضل من ذكرى.. وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً – شرفاً – في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً – مسافة – بعيداً وحذركم الله نفسه – أى يخوفكم.. والله رءوف بالعباد والذى صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك يقول الله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق: ٢٩] واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥].

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١] وإن تقوى الله توقى مقته.. وتوقى عقوبته.. وتوقى سخطه.. وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة.. خذوا بحظكم ولا تفرطوا في حب الله – أى حق الله –.

قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سنته: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣].

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه: ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨]

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا

يقضـون عليـه ويملـك مـن النـاس ولا يملكـون منـه.. الله أكـبر ولا قـوة إلا بـالله العلـى العظيم.

(هكذا أوردها ابن جرير عن عبد الرحمن الخمجى البداية والنهاية لابن كثير ج3 ص 213)

4- من خطبه العامة ﷺ :

عن عقبة بن عامر الجهنى قال: خرجنا في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله ﷺ إذ كان منها على ليلة فلم يستقيظ حتى كانت الشمس ترمح فقال: ألم أقل لك يا بلال: كلألنا الفجر.

فقال: يا رسول الله ذهب بى الذى ذهب بك.. فانتقل غير بعيد ثم صلى.. ثم حمد الله ثـم أثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقـوى وخير الملة ملة إبراهيم وخير السنن سـنة محمـد ﷺ.. وأشـرف الحـديث ذكـر الله وأحسـن القصص هذا القرآن.. وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها.. وأحسن الهـدى هـدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء.. وأعمى العمى الضلالة بعد الهـدى وخـير العلـم مـا نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى ومما قل وكفى خير مما كثر وألهى.. وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامـة يـوم القيامـة ومـن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبرا، ومـنهم مـن لا يـذكر الله إلا هجـراً.. وأعظـم الخطايـا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمـة مخافـة الله، وخير وقر في القلب اليقين والارتباب من الكفر.. والنياحة من عمل الجاهلية والغلول مـن جثا .. والكن من النار والشعر من مزامير إبليس.. والخمـر جمـاع الإثـم.. والنسـاء حبالة الشيطان والشبباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا.. وشـر المأكـل مـال اليتيم.. والسعيد من وعظ غيره والشقى من شقى في بطن زمـه.. وإنمـا يصـير أحـدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر بآخر.. وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا رواية الكذب.. وكـل ما هو آت قريب.. وسباب المؤمن فسوق.. وقتال المـؤمن كفـر.. وأكـل لحمـه مـن معصـية الله.. وحرمه ماله كحرمة دمه.. ويتآل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له.. ومـن يعـف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يتبـع السمعة يسمع الله به، ومن يصبر على يضّعف الله لـه.. ومن يعص الله يعذبـه الله.. اللـهم

اغفر لى ولأمتى.. اللهم اغفر لى ولأمتى.. اللهم اغفر لى ولأمتى.. أستغفر الله لى ولكم.

(رواه البيهقى في الدلائل وابن عساكر فى تاريخه وأبو نعيم في الحلية وهو حسن غريب الجامع الصغير 2/ 175)

5- خطبة للرسول ﷺ في حجة الوداع:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير.

أما بعد: أيها الناس: اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا في موقفى هذا..

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. ألا هل بلغت.. اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.. وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة وأن أول من تبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب[1].. وإن مآثر الجاهلية مضوعة غير السدنة والسقاية والعمد قود[2] وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من الجاهلية..

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إنما النسئ زيادة في الكفر يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله.. وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والذى بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد.

---

(1) وكان مسترضعا في بنى ليث فقتله بنو هزيل.
(2) أى قصاص.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً.. لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم.. ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة.. فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح.. فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندك عوان لا يملكون لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله.. واستحللتم فروجهن بكلمة الله.. فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا.. أهل بلغت اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد.

فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.. فإنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله.. ألا هل بلغت اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب.. أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى.. ألا هل بلغت اللهم اشهد.

قالوا: نعم.. قال فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية.. ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث.. والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير واليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس وأجمعين.. لا يقبل منه حرف ولا عدة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(1).

(البيان والتبيين 2/ 15 - والعقد الفريد 2/ 13 إعجاز القرآن ص 111)

* * * * *

(1) انظر خطب الرسول ﷺ جمع محمود خليل الخطيب - دار الفضيلة.

خاتمة الكتاب

وأهـــم نتائجــه

- إن التربية هي المدخل الأساسي والضروري لتكوين الدعاة.
- وأول مقومات هذا التكوين هو الإيمان وأعني به الإيمان الذي وضحه الرسول ﷺ بقولــه: **«ما وقر في القلب وصدقه العمــل»**، حيـث يبـدأ في مرحلـة التنشـئة والتأصيل، ويأتي في ذلك دور الأسرة المسـلمة، والمسـجد، والمدرسـة في انسـجام وتناغم وترابط لانفصام لـه.

وفي المرحلة الثانية : مرحلة التحصيل والتأهيل وتلقي العلم في المدارس والجامعات..

- ذلك أن الدعوة وكل مهنة تتضمن جانبين :

الأول : جانباً علمياً من يحث التحصيل وهو معني بالمنهج ومحتواه.

الثاني : جانباً فنياً من حيث التطبيق، وهو معني بالطريقة نظرياً وعملياً [1].

- وقد تقوم بذلك معاهد إعـداد الـدعاة التابعـة لـبعض الجمعيـات كأنصـار السـنة المحمدية والعاملين بالكتاب والسنة.. أو مراكـز الثقافـة الإسـلامية التابعـة لـوزارة الأوقـاف، **وذلك بعد اختيار الدعاة المرشحين من المتقدمين على أســـس أهمها :**

1- توافر حد أدنى من أساسيات العلم والثقافة الدينية.

2- توافر حد أدنى من قوة الشخصية وحسن السلوك.

3- وجود ميول أو رغبة للعمل في مهمة الدعوة.

4- حفظ القرآن الكريم كاملاً أو على الأقـل القـدر الأكـبر منـه، ولا يقـل ن خمسـة أجزاء.

5- حفظ جملة الأحاديث النبوية في العبادات والمعاملات والأخلاق.

---

(1) انظر: تجديد الخطاب الديني؛ ص 75.

6- يا حبذا لو صاحبت الطالب أثناء فترة دراسته ومراحل إعداده بطاقة يدون بها مستواه من النواحي العلمية والخلقية.

أضف إلى ذلك المقابلة الشخصية لزيادة التأكد من صلاحيته للدعوة والتعرف على إمكانياته عن طريق اختباره في القدرة على الأداء والوقوف على حسن مظهره وسرعة بديهته.. الخ.

- **وقد يقوم الداعي الذي يأنس في نفسه القدرة على تبليغ الدعوة على إعداد نفسه ذاتياً :**

- إما بالتلقي والسماع من شيوخ علماء ثقات في علمهم وحسن فهمهم للدين وخصائصه.
- أو بالتعلم عن طريق القراءة والاطلاع وحفظ المتون لاسيما في العقيدة الإسلامية والأخلاق والفقه والتوحيد بالإضافة إلى حفظ القرآن وعلومه، والأحاديث النبوية الصحيحة والسيرة النبوية.
- **وفي المرحلة الثالثة** : مرحلة الصقل والتنمية بالتدريب في معاهد ومراكز التدريب بالأوقاف وعن طريق تنشئتها أو بإعداد البحوث والدراسات العليا بالجامعات الخاصة بالماجستير (التخصص) والدكتوراه (العالمية) أو بالاطلاع المستمر الدائم التي توسعنا فيها في البحث : للتكوين العلمي والثقافي للداعية.

* * * * *

أهم توصيات ومقترحات الكتاب

- التركيز على مناهج التعليم بأن يشترك في إعدادها إلى جانب العلماء المثقفون رجال الفكر الإسلامي.
- إضافة مادة علمية وأخرى تكنولوجية في كليات الدعوة إلى جانب دراسة مبسطة لعلم النفس الدعوي والأخلاق والاجتماع والاقتصاد.
- القيام على معاهد إعداد الدعاة بتطوير مناهجها باستمرار لتقدم لنا من تتوار فيه مقومات النجاح.
- إعداد **مرشد عام للخطباء** ويحتوي على ما يهم الخطيب بحيث تشرف عليه لجنة من المنيين لهذا الجانب الخطابي أداءً وتأليفاً.
- تقديم **نماذج من الخطب العصرية** بحيث تغطي احتياجات الأمة في الآونة الأخيرة.
- الاهتمام بالنقد الذاتي وذلك عن طريق صندوق استفتاء في كل مسجد لجمع آراء المصلين حول تحسين الأداء الخطابي.
- ولمعالجة الإطالة في الخطبة، يفضل تعقيبها بدرس وخاصة لمن رأى أن الموضوع في حاجة إلى شرح وتوضيح وزيارة بيان لتلقي أسئلة الجمهور حول موضوع الخطبة والإجابة على استفساراتهم.
- يقوم الأدب الدعوي في مناصحة الولاة على السرية وترك النصيحة في الملأ واختصار الموعظة وعدم التخشين فيها، وعدم إظهار الأستاذية [1].
- روى أحمد بسنده عن عبد الله بن أوفى : "إذا كان السلطان يسمع منك فاته في بيته فأخبره مما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه ".
- يجب أن توظف خطبة الجمعة للخروج بالأمة من وهدتها وعلاج أزمتها.
- على المسلمين أن يتفهموا أهمية خطبة الجمعة من خلال ارتباطها بصلاة مفروضة

(1) انظر: عبد الحميد البلالي: فقه الدعوة في إنكار المنكر؛ ص 175 - 202.

تؤدى في جماعة بل واعتبارها شرط صحة بها والإفادة منها [1].

- تجنب البيان المذموم حيث روى ابن حيان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«البيان من الله والغي من الشيطان وليس البيان بكثرة الكلام ولكن البيان الفصل في الحق وليس البيان قلة الكلام ولكن العيّ من سفه الحق»**.
- المزيد من **تفعيل دور معاهد تدريب الدعاة** حيث تقوم بدور كبير في صقل عقلية الدعاة إتقاناً وتمكناً من اللغة والدين وإمدادهم بالثقافات الأخرى واللغات لأنه يمكنهم من مخاطبة الآخر، وهذا يحتاج لتأهيل علمي وتدريب عملي للدعاة.
- نوصي بأن يتم تشكيل مجلس أعلى بخلاف المجلس الأعلى للدعوة يضم أساتذة الجامعات ورجال الدين والقائمين على أجهزة الإعلام والثقافة ولجنة من التربية والتعليم لوضع خطة للدعوة ومراجعها من الحين والحين.
- ضرورة توظيف سمعة الأزهر كأكبر مؤسسة دينية في العالم من أجل تقديم خطاب ديني يلقى قبولاً لدى الآخر، ونوصي بزيادة منح الأزهر للدعاة من أبناء الدول الإسلامية.
- **ضرورة إيصال الخطاب الديني إلى الغرب بلغته، وتنشيط تعليم اللغة العربية بين غير الناطقين بها.**
- وأخيراً يجب أن نتخلص من أسلوب الخطاب الموجه من قفص الاتهام لأن الشخص في موقف الدفاع عن النفس يكون ضعيفاً، ولذلك يجب أن تكون إدارة الخطاب الإسلامي للغرب **متصفة بالهدوء والسيطرة على النفس** مما ينعكس أثره على العرض العقلاني.

* * * * *

(1) انظر: تجديد الخطاب الديني الدعوي والفكري؛ ص 84 - 86.

أهم مراجع ومصادر الكتاب

القرآن الكريم

كتب التفسير :

تفسير ابن كثير – تفسير القرطبي – تفسير الطبري – تفسير الرازي – تفسير المنار لرشيد الرضا – التفسير المنير – التفسير الوسيط للدكتور طنطاوي – التفسير والمفسرون للذهبي

كتب الأحاديث والسنن :

صحيح البخاري – صحيح مسلم – سنن أبي داود والنسائي – الدارقطني – مسند أحمد – فتح الباري – صحيح الجامع الصغير للسيوطي – كنوز الحقائق للمناوي – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان – رياض الصالحين – نيل الأوطار للشوكاني

كتب المعاجم واللغة :

القاموس المحيط للفيروز أبادي – لسان العرب لابن منظور – المعجم الوسيط والوجيز؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة – التعريفات للجرجاني – المفردات للأصفهاني

كتب في الدعوة الإسلامية :

كيف ندعو؟ لعبد البديع الصغير صقر – الدعوة وتجديد الخطاب الديني؛ محمود حبيب – الخطاب الدعوي – هداية المرشدين لعلي محفوظ – علل وأدوية للشيخ الغزالي – مع الله للشيخ الغزالي – الخطابة الدينية لعبدالغفار عزيز – أصول الدعوة للدكتور زيدان – إصلاح الخطاب الإسلامى الوعظ للخولي – الخطاب الإسلامية – فن الخطابة بين النظرية والتطبيق لأبي العمايم – الخطابة للشيخ أبو زهرة – تذكرة الدعاة للبهي الخولي – تيسير الفقه وثقافة الداعية وخطابنا الإسلامي في عصر العولمة للقرضاوي – نحو أسلوب أمثل للدكتور عمارة – مشكلات الدعوة للدكتور الذهبي – تكوين الخطيب الرشيد لعبد العاطي – جند الله لسعيد حوى – تجديد الخطاب الديني والتيارات الثقافية المعاصرة للمؤلف – المسجد وتأهيل الإمام لعبدالله قاسم – دليل

الإمام إلى تجديد الخطاب الديني لوزارة الأوقاف المصرية بتقديم د. زقزوق – نهج الدعاة وخطة التربية والبناء د. عدنان رضا – الدعوة والإعلام الإسلامي د. عبد الله شحاته – المسئولية الإعلامية في الإسلام لسيد محمد – الإعلام الإسلامي الدولي للعويني – الدعوة قواعد وأصول لجمعة أمين.

كتب الفقه :

حاشية الدسوقي – كشف القناع للبهوتي – الفقه والفقيه للبغدادي – سبل السلام للصنعاني – فقه الواقع سلسلة كتاب الأمة.

كتب متنوعة :

شرح البهجوري على الجوهرة – العقائد النفيسة – أصول الدين للبغدادي – أدب الدنيا والدين – زاد المعاد لابن القيم – مجموع الفتاوى لابن تيمية – الأصول الثلاثة وآدابها لمحمد بن عبدالوهاب – البداية والنهاية لابن كثير – الموافقات للشاطبي – المقاصد العامة للشريعة للدكتور العالم – مقاصد الشريعة للمؤلف – لماذا أسلم هؤلاء الغربيون للمؤلف – فقه تغيير المنكر لبكري – إعلام الموقعين لابن القيم – كتاب الحسنة لابن تيمية – تنبيه الغافلين لابن النحاس – فقه الدعوة إلى إنكار المنكر لعبدالحميد البلالي – مفتاح دار السعادة لابن القيم – جامع بيان العلم لابن عبد البر – نحو ثقافة إسلامية للدكتور الأشقر – ثقافة المسلم للدكتور عويس – لمحات في الثقافة الإسلامية للخطيب – الشخصية الإسلامية طه كسبه – نموذج من الأعمال الخيرية للدمشقي – إسرائيليات في التفسير للذهبي – السنة للسباعي – السنة لعبدالله شحاته – الباعث الحثيث لابن كثير – تبسيط العقاد حسن أيوب – تكوين الملكة الفقهية لشبير – اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية – مقدمة ابن خلدون – تربية الناشئ لعلي عبد الحليم – الأزهر جامعاً وجامعة كمال السند – وقفات الأعيان لابن حلكان.

مجـــلات :

أعداد متفرقة؛ مجلة منبر الإسلام – البحوث الإسلامية – مجلة الضياء الشريعة والدراسات الإسلامية – مجلة منار الإسلام – مجلة الأزهر – مجلة الرابطة – مجلة الوعي الإسلامي.

الفهرس

* * * * *